المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم القرآن وعلومه

الأساليب العربية في القرآن
من خلال كتب معاني القرآن
وأثرها في التفسير

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القرآن وعلومه

إعداد الطالب
إياد بن موسى بن محمود إسماعيل

إشراف
الدكتور / حسين بن عبد الحميد البر
الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين - قسم القرآن وعلومه

العام الجامعي
١٤٢٩ / ١٤٣٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الـمقدمـَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل علينا خير كتبه بلسان عربيٍ مبين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد بين معانيَ القرآن البيان المبين ، وعلى آله وصحبه الميامين ، وعلى التابعين لهم بإحـسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإنه لا تخفى مكانةُ اللغة العربية وعلومها، ودورها الكبير في تفـسير كـلام الله ﷻ وتدبره ، ذلك أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ؛ لذلك كانت اللغـة مـن أمـات مصادرِ التفسير ومآخذه ، وأحد طرقه ومراتبه المعتبرة ، يروى عن ابنِ عباس - رضـي الله عنهما - أنه قال : (التفسير على أربعة أوجه : **وجه تعرفه العرب من كلامها** ، وتفـسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله)[(١)] .

لهذا كانت المهارةُ باللغة وعلومها من أهم شروط المفسر ، وقد جاء عن السلف التحذير والنكير على من تكلم في كتاب الله ﷻ وليس عنده معرفة بلغة العرب .

ومع هذا كله فإن اللغة وحدها لا تكفي لتفسير كلام الله ﷻ، بل ولا يجوز الاعتمـاد عليها مجردة؛ فإن ذلك يفضي في كثير من الأحيان إلى الخطأ في التفسير، لذلك يقدم علـى مصدر اللغة مصادر أخرى عند الاختلاف في فهم معنى آية[(٢)]، وقد نص شيخ الإسـلام في

---

(١) رواه ابن جرير الطبري بلفظه . انظر تفسيره (طبعة دار هجر) ١ : ٧٠ ، وفي سنده انقطاع؛ فإن سماع أبي الزناد عبد الله بن ذكوان من ابن عباس - رضي الله عنهما - فيه نظر . انظر : تهذيب الكمال للمزي ١٤: ٤٧٨ ، ولسان الميزان لابن حجر ٣ : ٢٨٤ . ورواه الطبراني من طريق أبي صالح باذام مولى أم هانئ، وهو ضعيف. انظر : مسند الشاميين ٢ : ٣٠٢ ، وتقريب التهذيب لابن حجر ١ : ١٢٠، والكاشف للذهبي ١: ٢٦٣ . كما روى الطبري هذا الأثر بمعناه مرفوعا، ولفظه : ((**أنزل القرآنُ على أربعة أحرف : حلالٌ، وحرام لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير تفسره العرب ، وتفسير تفسره العلماءُ ، ومتشابه لا يعلمه إلا اللهُ ومن ادعى علمه سوى اللهِ فهو كاذب**)) . انظر : تفسير الطبري (طبعة دار هجر) ١ : ٧٠ ، إلا أن فيه محمد بن السائب الكلبي، وهو متروك الحديث . انظر : الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ٣ : ٦٢ . ومع هذا فإن هذه الطرق تدل على أن للأثر أصلا ، والله أعلم .

(٢) فالمعنى الشرعي على سبيل المثال مقدم على المعنى اللغوي عند التعارض .

كتابه (مقدمة التفسير) على أن هذا المنهج - أعني اعتماد اللغة مجردة - أحد جهتي الخطأ في التفسير بطريق الاستدلال [١] .

والعلماء حين يتحدثون عن اشتراط العلم باللغة للمفسر ومكانتها فإن مقصودهم بذلك غالب علوم اللغة : دلالة اللفظ، وعلم الصرف، والإعراب، وعلوم البلاغة كعلم المعاني والبيان[٢]،وغيرها .

وإن من علوم اللغة الرئيسة والتي لها أثر كبير في بيان معاني القرآن علم أساليب الخطاب العربي: كالحذف والاختصار، والتقديم والتأخير، وخطاب الواحد بلفظ الجمع وعكسه، والالتفات في الخطاب، ومخاطبة غير العاقل بلفظ العاقل، والمذكر خطاب المؤنث وغيرها .

وغالب هذه الأساليب يندرج في مباحث علم المعاني، على ما استقر عليه اصطلاح البلاغيين .

ونظراً لهذه المكانة العالية للغة وأساليبها، وعلاقتها بالتفسير رأيت أن تكون رسالتي في جمع هذه الأساليب التي نزل بها القرآن جمعا استقرائيا وتحليليا من كتب معاني القرآن، مع بيان الأثر التفسيري لها[٣]، وعنونت لها بـ **(الأساليب العربية** في **القرآن من خلال كتب المعاني وأثرها** في **التفسير)**، وإنما آثرت اختيار هذا العنوان(الأساليب العربية) وهو عنوان واسع يضم علوم اللغة كلها، ولم أقيده بوجوه الخطاب العربي- وإن كان هو المقصود بالدرجة الأولى- لأن من الأساليب التي ذكرها مصنفو كتب المعاني ما لا يدخل ضمن أساليب وجوه الخطاب العربي، بل بعضها يتعلق بالمعاني أو الصيغ، فرأيت أن أدخلها ضمن البحث لأهميتها .

---

(١) انظر : كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ١٣ : ٣٥٥ .

(٢) علم المعاني: هو أصول وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقا لمقتضى الحال، بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له، فهو يهتم بالأساليب، وأحوال الكلام، وصياغته، والتراكيب، كالإيجاز، والإطناب، والتوكيد، وأنواع الأمر، وغير ذلك.
وعلم البيان : أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك المعنى ، ويدخل فيه المجاز ، والتشبيه ، والكناية . انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي ١ : ٢٣ ، والإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ١ : ١٦ .

(٣) وقد جاءت فكرة البحث بعد قراءة رسالة : (التفسير اللغوي) للدكتور/ مساعد الطيار، حيث نبه إلى أهمية البحث في الأساليب العربية وأثرها في التفسير ، فجزاه الله خيرا . انظر : التفسير اللغوي ص : ٦٧٣ .

- **أهمية البحث وأسباب اختياره** :

١. الأثر الكبير للأساليب العربية ، ودورها الكبير في بيان معاني الكتاب المجيد ، واتساع آفاق الفهم له ، والحاجة إلى إمعان النظر فيها والتعرف عليها لا سيما ما له أثـر في التفسير وجاء به القرآن الكريم .

٢. الحاجة إلى تتبع أساليب اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، وجمعها ، وتبيين أثرها في التفسير ، وفائدته الكبيرة .

٣. كون كتب المعاني من المواطن المهمة لأساليب اللغة والتي يبرز فيها أثرها .

٤. سيعطي البحث نظرة شاملة لأهم أساليب اللغة في القرآن الكريم، ويبين مدى أثرها في التفسير .

- **أهداف البحث** :

١. حصر الأساليب العربية التي نزل بها القرآن الكريم من كتب معاني القرآن ، مع إبراز أثرها التفسيري فيها .

٢. عرض الأساليب العربية التي نزل بها القرآن الكريم والتعريف بها .

- **الدراسات السابقة** :

تناولت الدراسات السابقة بعض الأساليب العربية من عدة جوانب، وفيما يلي بيان تلـك الدراسات :

١. رسالة ماجستير في جامعة الإمام بعنوان " أسلوب الحذف وأثـره في إعجـاز القرآن وبيان معانيه " لمصطفى شاهر خلوف (١٤٠٦هـ) .

٢. رسالة ماجستير أخرى في جامعة الملك سعود بعنوان " ظـاهرة الحـذف في القرآن الكريم : دراسة بلاغية " لمحمد رضى الشخص (١٤١٦ هـ) .

٣. رسالة ماجستير في جامعة الأزهر بعنوان " ظاهرة الحذف في القرآن الكـريم : دراسة تطبيقية في السور المكية " لمحمد حسن حسن غراب .

٤. رسالة دكتوراه في الجامعة الأردنية بعنوان " ظاهرة الحذف في القرآن الكريم " لحفظي حافظ أشتية ، (١٩٩٥ م) .

٥. رسالة ماجستير بجامعة محمد الخامس بعنوان " دراسة أسلوبية لظاهرة الحـذف في القرآن من خلال كتب التفسير " لعلي بوزياني .

٦. رسالة ماجستير بجامعة محمد الخامس " ظاهرة الحذف مـن خـلال تفـسير الطبري" لشمس الضحى مراكشي .

٧. رسالة ماجستير في جامعة طنطا بعنوان " أساليب حذف المضاف في القـرآن الكريم " لسلوى عبد الفتاح حسن بدوي .

٨. كتاب بعنوان " الأسرار البلاغية للحذف في سورة يوسف " لمحمد فجال .

ومن الأساليب التي كثر فيها البحث أيضا : أسلوب التقديم والتأخير، فمن الدراسات الـتي كتبت فيه ما يلي :

١. رسالة ماجستير بعنوان " أسلوب التقديم والتأخير في القـرآن " بجامعـة الإمام محمد بن سعود للدكتور زيد عمر .

٢. رسالة ماجستير بعنوان : " الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة : دراسة تطبيقية " في جامعـة أم القـرى، لخالـد بـن محمـد العثـيم (١٤١٩ هـ).

٣. رسالة ماجستير بعنوان : " التقديم بين أجزاء الجملة في القرآن الكـريم : دراسة نحوية " بجامعة أم القرى ، لعلي بن محمد بـن سـعيد الزهـراني (١٤١٤ هـ) .

٤. رسالة ماجستير بعنوان : " مخالفة الأصل بالتقديم والتأخير في القرآن الكريم : دراسة تحليلية " بجامعة القاهرة، لفريد أحمد البسطويسي (١٩٩٥ م) .

ومن الأساليب التي جرى فيها البحث أيضا - وإن لم يكن بحثا في رسالة علميـة - أسلوب المشترك اللفظي ، فمن الدراسات التي كتبت فيه ما يلي :

١. كتاب بعنوان : " المشترك اللفظي في الحقل القرآني " لعبد العـال سـالم مكرم .

٢. كتاب : " الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق " لمحمد نور الدين .

كذلك أسلوب التغليب، ومن الدراسات فيه : كتاب بعنوان " أسلوب التغليـب في القرآن الكريم " لمحمود عبد العظيم صفا .

كذلك من الأساليب الالتفات، ومن الدراسات فيه : كتاب " أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية " لحسن طبل .

- **الفرق** بين **هذه الدراسة والدراسات السابقة :**

من خلال السرد السابق يتبين أن هناك عدة فروق :

١. أن الدراسات أفردت أسلوبا واحدا جعلته مدار البحث .

٢. أن تلك الدراسات لم تشمل جميع الأساليب فهناك أساليب كثيرة لم تدرس ، مثل : (أسلوب القلب والتحويل ، والتعبير بالمفرد والمثنى والجمع كل واحد منـها عـن الآخر ، وأسلوب جعل لفظ خبر الاثنين المشركين لبعض دون بعـض وفروعهـا، وكذلك أسلوب إجراء غير العاقل مجرى العاقل ، كذلك تذكير المؤنـث وتأنيـث المذكر، كذلك أسلوب الخطاب بالمستقبل لأمر قد مـضى ، وأسـلوب الكنايـة، وغيرها) وكثير من هذه الأساليب قد لا يحتمل البحث فيه رسالة علمية .

٣. أنها لم تعتن بإبراز الأثر التفسيري لذلك الأسلوب ، بل ركزت على بيان أثـره في إعجاز القرآن وبلاغته ، وأشبع مؤلفوها القول في أنواعه وأسبابه وحصر أمثلته وما أشبه ذلك .

٤. أن النطاق الذي حدد لدراسة تلك الأساليب المفردة يختلف عن النطاق الذي حددته لدراسة الأساليب العربية، وهو : كتب معاني القرآن .

- **الإضافة التي سيقدمها البحث :**

١. سيستقصي البحث الأساليب العربية التي لم تدرس .

٢. سيعنى بإبراز أثرها في التفسير في نطاق كتب معاني القرآن .

- **منهج البحث وحدوده :**

١ - سأقوم في بحثي هذا بعمل دراسة استقرائية تحليلية للأساليب العربية في كتب معاني القرآن الخمسة، وهي : معاني القران للفراء ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ، ومعاني القرآن للأخفش ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ، ومعاني القرآن للنحاس ؛ وذلك لأصالة هذه الكتب، فهي من أوائل ما صنفه اللغويون في علم التفسير ، ولتميز أصحابها بالعناية بالأساليب العربية تأصيلا و تقريرا وتطبيقا .

٢ - سأذكر تحت كل أسلوب لمحة عنه تبين معالمه وحدوده من كلام أصحاب كتب المعاني وإذا لم يف بالغرض فمن كلام غيرهم ممن تكلم عنه .

٣ - سأذكر لكل أسلوب أمثلة متنوعة مختارة من كتب المعاني يتبين من خلالها أثره في التفسير ، كما حرصت قدر الإمكان أن أتجنب الأمثلة المشهورة .

وسأعتني بإبراز الآثار التالية بالدرجة الأولى : (أثره في فهم المعنى ووضوحه ، في تغير المعنى والخلاف والترجيح، في الانحراف والشذوذ) .

٤ - أوازن بين أقوال الخمسة والمفسرين إذا كان لهم كلام في الآية .

وسأسير في رسالتي وفق المنهج الآتي :

- عزو الآيات إلى سورها وبيان أرقامها وذلك بين معقوفين أمام الآية .

- تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به .

- ترجمة الأعلام ترجمة موجزة من المصادر الأصيلة ويكون ترتيب المصادر في التراجم حسب تاريخ الوفاة بعد المرجع الأساس .

- تخريج الأبيات الشعرية من مظانها الأصيلة، ونسبتها إلى قائليها قدر الإمكان .

- توثيق النقول والأقوال من مصادرها ما أمكن .
- شرح الغريب من الألفاظ من المصادر الأصيلة لشرح الغريب .
- لم ألتزم إتباع العلماء - رحمة الله عليهم أجمعين - بما هم أهله من ألقاب الثنـاء والتـرحم وشبهها خشية الإطالة .
- وضع فهارس فنية تساعد على الكشف عن مضامين الرسالة والاستفادة منها .

- **خطة البحث** :

تشتمل الخطة على مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول ، وخاتمة ، والفهارس ،كما يلي :

المقدمة : وتشتمل على أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، وأهداف البحث ، والدراسات السابقة وخطة البحث ومنهجه وحدوده .

التمهيد : ويشتمل على شرح العنوان و نبذة عن كتب المعاني الخمسة ومؤلفيها .

الفصل الأول : أساليب الخطاب وأثرها في **التفسير ،** وتحته ستة عشر مبحثا **:**

المبحث الأول : أسلوب الحذف وأثره في التفسير .

المبحث الثاني : أسلوب إطلاق المفرد والمثنى والجمع كل واحد منها على الآخر وأثره .

المبحث الثالث : الكناية وأثرها في التفسير .

المبحث الرابع : أسلوب إجراء غير العاقل مجرى العاقل وأثره .

المبحث الخامس : التعبير عن المذكر بلفظ المؤنث والعكس وأثره .

المبحث السادس : المقدم والمؤخر وأثره في التفسير .

المبحث السابع : أسلوب القلب والتحويل وأثره في التفسير .

المبحث الثامن : أسلوب الالتفات وأثره في التفسير .

المبحث التاسع : أسلوب قصر لفظ الخبر لأشياء متعاطفة على بعض دون بعض وأثره .

المبحث العاشر : الخطاب بالمستقبل لأمر قد مضى والعكس وأثره في التفسير .

المبحث الحادي عشر : أسلوب إخراج الأمر مخرج الوعيد والتهديد وأثره .

المبحث الثاني عشر : أسلوب الأمر بمعنى الخبر، والخبر بمعنى الأمر وأثره .

المبحث الثالث عشر : أسلوب الاستفهام وأثره في التفسير .

المبحث الرابع عشر : أسلوب الجزاء عن الفعل بمثل لفظه مع اختلاف المعنى .

المبحث الخامس عشر : الاسمان المصطحبان يضم أحدهما إلى صاحبه فيسميان جميعا به .

المبحث السادس عشر : التكْنية عن الشيء الذي عرف اسمه وإن لم يجر له ذكر .

الفصل الثاني : أساليب المعاني وأثرها في **التفسير ،** وتحته خمسة مباحث **:**

المبحث الأول : أسلوب المشترك اللفظي .

المبحث الثاني : تعدد معاني الحروف والأدوات وأثره في التفسير .

المبحث الثالث : زيادة الحروف وأثره في التفسير .

المبحث الرابع : تعدى الفعل ولزومه .

المبحث الخامس : استثناء الشيء من الشيء وليس منه (الاستثناء المنقطع) .

الفصل الثالث : أساليب الصيغ وأثرها في **التفسير** ، وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : إطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل وأثره في التفسير .

المبحث الثاني : وضع أفعل التفضيل موضع اسم الفاعل وأثره .

المبحث الثالث : مجيء صيغة (فاعل) المقتضية للاشتراك من طرفين لطرف واحد .

المبحث الرابع : وضع المصدر في موضع الاسم أو الصفة .

الخاتمـــــــة : وتتضمن أهم نتائج البحث **.**

الفهارس ، وتشمل : (الآيات - الأحاديث والآثار - الأعلام - الأشعار - المـصادر والمراجع - الموضوع) .

هذا، وأشكر الله تعالى أنْ من علي بإتمام هذه الرسالة، ثم أشكر لحكومـة المملكـة العربية السعودية وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والقائمين عليها إتاحةَ الفرصة لي لإكمال دراستي، كما أشكر كل من أعانني في هذا البحث، وأخـص بالـذكر **والـدي العزيزين** - أطال الله في أعمارهما على طاعته ومتعهما بالصحة والعافية - فقد بذلا مجهودا كبيرا حتى تيسر أمر قَبولي في هذه الجامعة المباركة، كما أشكر **زوجي** ووقوفهـا بجـانبي، ومساندتها لي طيلة أيام البحث المُضنية، كما أشكر صهري العزيز **أبا محمد عبد الله الرعود**، وعائلته المحترمين، والذي لم يألُ جهداً في مد يد العون بكل ما يستطيع، كما أشكر أستاذي **الفاضل الدكتور/ حسين بن عبد الحميد البر**- حفظه الله - الذي فتح لي بيته، وجاد علي بوقته وعلمه،وشملني بسعة صدره وحلمه، أسأل الله تعالى أن يجزي الجميع خيراً، وأن يوفقني وإياهم لرضاه، إنه قريب مجيب .

وختاماً فما كان في هذا العمل من صواب فهو من الله ﷻ وحده، وما كان فيـه من خطأ فهو من نفسي والشيطان، وأسأله سبحانه أن يغفر لي .

كما أسأله – تبارك وتعالى- أن يبارك في هذه الرسالة ، وأن يجعلها نافعة ، والحمـد لله رب العالمين .

تـمهـيد

في شرح العنوان

والتعريف بكتب المعاني الخمسة

تمهيد في شرح العنوان

والتعريف بكتب المعاني الخمسة

أولا : شرح عنوان الرسالة : **(الأسـاليب العـربية فـي القـرآن الكريم من خـلال كتب المعاني وأثرها** في **التفسير)**

- المقصود بالأساليب العربية

الأساليب جمع أسلوب ، ومن معانيه في اللغة الطريق [1] ، فالأساليب العربية هـي : الطرق التي سلكها العرب في كلامهم والتعبير عن مرادهم ، وهذا - لا شك - معنى واسع قد يضم جميع علوم اللغة ، كالأساليب النحوية والبلاغية وغيرها ، إلا أن مقصودي في هذه الرسالة أساليب الخطاب العربي : كخطاب الواحد بلفظ الجمع وعكسه ، وخطاب المؤنث بلفظ المذكر وعكسه ، والالتفات في الخطاب، ومخاطبة غير العاقل بلفظ العاقل، وخطـاب الأمر المراد به الخبر وعكسه ...وغيرها من أساليب الخطاب ، وغالـب هـذه الأسـاليب - كما سبق - يندرج تحت مباحث (علم المعاني)، وبعضها في مباحث علم البيـان مـن علوم البلاغة .

- الأثر المراد بحثه :

أما الأثر المراد بحثه في هذه الرسالة : فهو أثر هذه الأساليب في تغير المعنى ، وما قد ينتج عنه من سعة في معنى الآية ، وتعدد لمعانيها ، وما ينتج عنه من الخلاف في معنى الآيـة والترجيح بين الأقوال ، كما ينتج عنه الشذوذ والانحراف في التفسير، أما الأثـر البلاغـي - مع أهميته - فلم يكن هدفا رئيسا في دراسة الأثر .

---

(١) انظر : تاج العروس لمحمد الزبيدي ٣ : ٧١ ، والمصباح المنير لأحمد الفيومي ١ : ٢٨٤ .

- المقصود بكتب المعاني

المعاني في اللغة جمع معنى، وهو القَصد والمُراد، يقال : عنيت بهذا الكلام كذا، أي: قصدت وعمدت ، وهو مشتق من الإظهار ، يقال : عنت القربةُ ، إذا لم تحفظ المـاء بـل أظهرته ، ومنه عنون الكتاب ، وقيل: مشتق من قولهم : عنت الأرض بنبات حـسن ، إذا أنبتت نباتا حسنا [١] .

والمقصود بكتب معاني القرآن كتب التفسير اللغوي ، والتي ظهرت في حقبة مبكرة من تاريخ التصنيف فيه ، تناولت ألفاظ القرآن الكريم وآياته من منظور لغـوي في المرتبـة الأولى؛ كتفسير الغريب ، وتحليل الألفاظ ، وبيان الاشتقاق ، مع بيان أساليب القرآن الكريم الجارية على الأسلوب العربي ، وغير ذلك ، وقد خرج فيها مؤلفوها عن النهج الـسائد في التفسير في تلك الفترة من الزمن - وهو التفسير بالرواية - إلى التفسير بالرأي والاجتـهاد والاعتماد على الحصيلة اللغوية [٢] ، قصد بذلك مؤلفوها بيانَ المراد من القـرآن الكـريم وسد فراغ في بحوث احتيج إليها لم يجدوها في تفسير السلف [٣] - لعدم الحاجة إليهـا في ذلك العهد - كما هدفوا إلى إظهار مذهبهم النحوي ، ولا عجب فإن كتب المعاني هـي نتاج علماء اللغة والنحو في البصرة والكوفة .

وقد اشتركت كتب معاني القرآن مع بعضها في أمور - وإن كانوا يتفاوتون فيهـا كثرة وقلة - من أهمها :

الأول : كثرة المباحث النحوية في كتبهم .

الثاني : الاتجاه اللغوي في التفسير، وهذا يتضمن : تفسير الغريب ، والعناية ببيان الأساليب العربية ، ووجوه الخطاب .

---

(١) انظر : مقاييس اللغة لابن فارس ٤ : ١٤٦ .

(٢) قال صاحب مفتاح السعادة : ثم انتصب طبقة بعدهم إلى تفاسير مشحونة بالفوائد محذوفة الأسانيد وبرزوا فيه وبرعوا ، مثل : أبي إسحاق الزجاج . مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لأحمد بن مصطفى المعروف بـ طاش كبرى زاده ٢ : ٨١ .

(٣) انظر : التفسير اللغوي للدكتور / مساعد الطيار ص : ٢٦٨ .

الثالث : ذكر المحتملات اللغوية في القرآن الكريم .

الرابع : الاعتداد باللغة ، وتقديمها كمصدر من مصادر التفسير .

الخامس : قلة النقل عن السلف فيما يمكن تفسيره باللغة .

السادس : عدم تناول الآيات كلها بل ولا أكثرها ، بل كان منهجهم الوقوف عند بعـض الآيات التي يرون لأنفسهم في تفسيرها مقالاً ، أو تعليقا لغويا يساهم في تفسيرها .

السابع : العناية بالقراءات عرضا وتوجيها .

الثامن : العناية بالاستشهاد باللغة من شعر ، ونثر ، وأمثلة تجريدية .

هذه بعض الملامح البارزة في كتب المعاني ، ويختلف منهج كل مصنف في تناولها بحـسب مذهبه ، وثقافته ، وغير ذلك .

ثانيا : نبذة عن كتب المعاني ومؤلفيها

١ - مجاز القرآن لأبي عبيدة

أ - التعريف بأبي عبيدة :

- اسمه ونسبه ومولده ووفاته [١]

هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ولاء البصري نشأة ، لغوي نحوي يعد من علماء البصرة، وإن كانت له شخصيته وآراؤه المستقلة ، وكان عالما بأيام العرب وأنسابها ، ولـد سنة : ١١٠ هـ [٢] وتوفي بالبصرة عام ٢٠٩ ،وقيل : ٢١٠ هـ ، وقيل غير ذلك .

- عقيدته

تكاد المصادر تجمع على اتهام أبي عبيدة برأي الخوارج والميل إلـيهم [٣] ، إلا أنـه لم يوجد في كلامه ما يؤيد تلك البدعة ، فقد يكون أخفى ذلك خوفا من العباسيين ، كما لا يتضح الفرقة التي ينتمي إليها، فيحتمل أنه يرى أصول الخوارج العامة من غير تحديد .

كما اتهم أبو عبيدة بالاعتزال [٤] ، إلا أنه وجد في كلامه ما يناقض بدع المعتزلـة كإثباته صفة الاستواء [٥] وقد أجمع المعتزلة على تأويلها بالاستيلاء ، ووجد عند أبي عبيـدة بعض التأويل في باب الصفات ؛ فأول وجه الله تعالى بالذات ، وأول صفة العين بـالإرادة والمحبة [٦] وغير ذلك من التأويلات [٧] المخالفة لمنهج السلف ، فلم يثبت على منهج معين .

---

(١) انظر : معجم الأدباء لياقوت الحموي ٥ : ٥١٢ ، وإنباه الرواة للقفطي (طبعة دار الفكر العربي) ٣ : ٢٧٦ .
(٢) فيه خلاف والأكثر على هذا . انظر : المراجع السابقة .
(٣) انظر : إنباه الرواة (طبعة دار الفكر العربي) ٣ : ٢٨١ .
(٤) انظر : طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص : ١٧٧ .
(٥) انظر : مجاز القرآن ١ : ٢٧٣ و ٢ : ١٥ .
(٦) انظر : مجاز القرآن ٢ : ١١٢ و ٢ : ١٩ .
(٧) من الأمثلة على ذلك تفسيره معية الله تعالى في قولـه ﷻ :﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبـة: ٤٠] بالنـصر،=

- أبرز شيوخه وتلاميذه

تتلمذ أبو عبيدة على علماء أجلاء ، وكان أبرز شيوخه هم من علماء اللغة ، كما كان له شيوخ من علماء الأنساب والحديث ، ومن أولئك الشيوخ : أبو عمرو بن العلاء [١] وهو شيخه الأول ، و هشام بن عروة [٢]، وعيسى بن عمر الثقفي[٣]، وأبو الخطاب [٤] ويونس بن حبيب [٥] ، والخليل بن أحمد [١] وغيرهم من علماء اللغة والأنساب والحديث .

= والحفظ، وفي قوله تعالى : ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ [طه : ٤٦] بالعون. انظر: مجاز القرآن ١ :٢٦٠ و٢ :٢٠ ولمزيد من الأمثلة والتفصيل في عقيدة أبي عبيدة انظر: مناهج اللغويين في تقرير العقيدة لمحمد الشيخ علي و ص: ٨٠٦ - ٨١٩ .

(١) هو أبو عمرو بن العلاء التميمي المازني البصري المقرئ أحد الأئمة القراء السبعة ، اختلف في اسمه ، فقيل : زبان ، وقيل : العريان ، وقيل : يحيى ، وقيل : جزء ، وقيل : اسمه كنيته ، ولد سنة ٦٨ هـ ، وقيل : سنة ٧٠ هـ ، عالم بالعربية وأيام العرب وأشعارها ، توفي سنة ١٥٤ هـ . انظر : تهذيب الكمال ٣٤ : ١٢٠، ومعرفة القراء الكبار للذهبي ١ : ١٠١ .

(٢) هو هشام بن عروة بن الزبير أبو المنذر ، وقيل أبو عبد الله القرشي ، ولد سنة ٦١ هـ ، أحد أئمة التابعين في الحديث وأحد الأعلام والفقهاء ، سمع عمه عبد الله بن الزبير وأباه ، وعنه شعبة ومالك والقطان ، توفي سنة ١٤٦ هـ وقيل ١٤٥ . ينظر : الكاشف ٢: ٣٣٧ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٦ : ٣٤ ، وتقريب التهذيب ١: ٥٧٣ .

(٣) هو عيسى بن عمر البصري الثقفي أبو عمر ، قيل : إنه مولى خالد بن الوليد ، نزل في ثقيف فنسب إليهم إمام مشهور في النحو والعربية والقراءة ، أخذ عن عبد الله بن إسحاق الحضرمي ، وسمع الحسن البصري، وروى القراءات عنه جماعة منهم الأصمعي ، وأخذ سيبويه عنه النحو ، له كتاب الإكمال ، والجامع في النحو، والأخير قيل : إن سيبويه اعتمد عليه في عمل كتابه ، مات سنة ١٤٩ هـ . ينظر : معجم الأدباء ٤ : ٥١٩، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٣ : ٤٨٦ ، وبغية الوعاة ٢ : ٢٣٧ .

(٤) هو عبد الحميد بن عبد المجيد مولى قيس بن ثعلبة الأخفش الأكبر أبو الخطاب ، أحد الأخافش الثلاثة المشهورين ، إمام في علم العربية قديم ، لقي الأعراب وأخذ عنهم وأخذ عن أبي عمرو بن العلاء وطبقته، وأخذ عنه : أبو عبيدة ، وسيبويه ، والكسائي ، ويونس بن حبيب ، لم أعثر على سنة وفاته . ينظر : الوافي بالوفيات لصلاح الدين أيبك ١٨: ٤٩ ، وبغية الوعاة ٢: ٧٤ .

(٥) هو يونس بن حبيب أبو عبد الرحمن الضبي مولاهم أو مولى بني الليث ، البصري ولد سنة ٩٠ هـ ،إمام في النحو واللغة أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وحماد بن سلمة ، وسمع من العرب ، وأخذ عنه الكسائي ، والفراء وروى عنه سيبويه فأكثر ، وقال أبو عبيدة : اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ ألواحي من حفظه ، له معاني=

وأما تلاميذه فهم كثر ومختلفون في توجهاتهم وميولهم، فمنهم من برع في اللغة والنحو ، ومنهم من برع في الأدب والشعر ، ومنهم في الحديث ، ومنهم إخباريون ، إلى غير ذلك ، فمن تلاميذه : الجاحظ [٢] ، وأبو حاتم السجستاني [٣] ، والتوزي [٤] وغيرهم كثير .

ـ مؤلفاته [٥]

يعد أبو عبيدة من المكثرين في التصنيف ، وقد عد له ابن النديم [٦] في الفهرست مئة

= القرآن الصغير والكبير ، واللغات ، مات سنة ١٨٢ هـ . انظر : الوافي بالوفيات ٢٩ : ١٧٧ ، وسير أعلام النبلاء ٨ : ١٩١ ، ومعجم الأدباء ٥ : ٦٥١ ، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزأبادي ١ : ٢٤٧ .

(١) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم أبو عبد الرحمن البصري الفراهيدي الأزدي النحوي اللغوي الزاهد، كان يحج سنة ويغزو سنة إلى أن مات ، وهو أول من اخترع العروض والقوافي ، روى عن أيوب وعاصم الأحول وغيرهما ، وأخذ النحو عنه سيبويه والأصمعي وغيرهما ، له : كتاب العروض ، والشواهد ، والنقط والشكل، والعين وقد اختلف في نسبته إليه ، مات سنة ١٧٠ هـ أو ١٧٥. انظر : الوافي بالوفيات ١٣: ٢٤١ ، والبلغة ١ : ٩٩ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٤٦ ، وتلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي ١ : ٤٤٧ .

(٢) هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي ، أخذ عن النظام ، وروى عن أبي يوسف القاضي وثمامة بن أشرس ، وروى عنه أبو العيناء ، وكان أحد الأذكياء وعلامة جامعا للفنون ، وصاحب تصانيف كثيرة جدا ، من أشهرها : البيان والتبيين ، والحيوان وغيرهما ، توفي بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ . انظر : وفيات الأعيان ٣ : ٤٧٤ ، وسير أعلام النبلاء ١١ : ٥٢٦ .

(٣) هو سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم أبو حاتم السجستاني البصري المقرئ ، إمام في غريب القرآن واللغة والشعر ، له إعراب القرآن ، وكتاب الإدغام ، والقراءات، وغيرها كثير توفي سنة ٢٥٥ هـ وقيل : قبل ذلك. انظر : معجم الأدباء ٣ : ٤٠٣ ، والبلغة ١ : ١٠٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٢ : ٢٦٨ .

(٤) هو عبد الله بن محمد بن هارون التوزي أبو محمد مولى قريش ، من أكابر أئمة اللغة، مكثر من الرواية عن أبي عبيدة صنف كتاب الخيل، والأمثال، والأضداد، مات سنة ٢٣٨ هـ . انظر: الوافي بالوفيات ١٧: ٢٨١، وبغية الوعاة ٢ : ٦١ .

(٥) انظر : بغية الوعاة ٢ : ٢٩٥ .

(٦) هو محمد بن إسحاق أبو الفرج البغدادي المشهور بابن النديم ، ويعرف أيضا بابن أبي يعقوب النديم الوراق قال ياقوت الحموي : وكان شيعيا معتزليا ، توفي سنة ٣٨٥ هـ ، له كتاب فهرست الكتب ، والتشبيهات . انظر : معجم الأدباء ٥ : ٢٢٨ ، ونوابغ الرواة في رابعة المئات لآغا الطهراني ١ : ٢٤٧ .

وعشر مصنفا ، وقد قيل إنها تقارب المائتي مصنف [١] ، منها : المجاز في غريب القرآن - وليس له غيره في علوم القرآن - والأمثال في غريب الحديث ، وهو أول ما أُلف في غريب الحديث [٢] ، والمثالب في أيام العرب ، وطبقات الفرسان ، و نقائض جرير والفرزدق ، والخيل ، والإبل ، والسيف ، واللغات ، والمصادر ، وخلق الإنسان ، وفعل وأفعل ، وما تلحن فيه العامة ، وغير ذلك .

- مكانته العلمية :

بعيداً عن عدالة أبي عبيدة وأخلاقه وما اتهم به في ذلك ومدى صحته - مع أن عددا من العلماء وثقوه [٣] وقبلوا روايته – فإنه قد تمتع بمكانة علمية عالية في تخصصه وثقافة عالية في شتى العلوم ، قال عنه الجاحظ وهو من تلاميذه : "لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي [يحتمل نسبة إلى أهل السنة والجماعة، أو بتشديد الميم نسبة إلى جمع الأخبار والله أعلم] أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة " [٤] ، كما أن فيما روي من اعتراف أبي الحسن الأخفش الأوسط [٥] برفعة مكانة أبي عبيدة في العلم بغريب اللغة حتى قدمه على نفسه [٦] دليل على ذلك ، وقد جاء عن علي بن عبد الله بن جعفر المديني [٧] وذكر أبا عبيدة معمر بن المثنى فأحسن ذكره وصحح روايته وقال : كان لا يحكي عن العرب إلا الشيء الصحيح [٨] .

---

(١) انظر : وفيات الأعيان ٥ : ٢٣٨ .
(٢) معجم الأدباء ٥ : ٥٠٩ .
(٣) انظر في توثيقه : تاريخ بغداد ١٣: ٢٥٧ ، وتهذيب التهذيب ١٠ : ٢٢١.
(٤) إنباه الرواة (طبعة دار الفكر العربي) ٣ : ٢٧٦ ، ٢٧٧ .
(٥) سيأتي الحديث عنه بالتفصيل في هذا التمهيد ص : ٢٣ .
(٦) انظر : طبقات النحويين واللغويين ص : ٧٣ .
(٧) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم البصري ، أمير المؤمنين في الحديث ، سمع من حماد بن زيد وطبقته ، وروى عنه أحمد ، والبخاري وخلق كثير ، مات سنة ٢٣٤ هـ ، قيل : إن له تصانيف كثيرة ، إلا أني لم أجد من سمى له ولو كتابا واحدا . ينظر : سير أعلام النبلاء ١١ : ٤١ ، والعبر في خبر من غبر للذهبي ١ : ٤١٨ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ١ : ١٨٧.
(٨) انظر : تقريب التهذيب ١ : ٤٠٣ .

وقد اعتمد على علمه وكتبه ونقل عنه علماء جهابذة، كالبخاري في صحيحه، والطبري في تفسيره، وكان يصفه – في بعض المواضع- أنه من أهل العلم بلغة العرب ،كما استفاد منه ابن الجوزي في تفسيره ، وابن حجر في الفتح، وغيرهم ، فهذا كله يثبت شأن أبي عبيدة وعلو قدره العلمي ، ولا مندوحة من الإقرار بذلك .

ب - كتاب مجاز القرآن :

يمكن أن يعد كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة من كتب المعاني، ويؤيد هذا أنه قد نسب لأبي عبيدة كتاب بعنوان معاني القرآن [1]إضافة إلى مجاز القرآن، وقد استظهر بعض الباحثين أنهما اسمان لكتاب واحد، غير أن كل اسم عبر عن الكتاب بما فيه من المادة العلمية [2] ، وأيضا لأنه ينطلق - كما انطلقت كتب المعاني - في غاية واحدة وهي الرجوع إلى أساليب العربية المستعملة ، ومعرفة الطرق التي تسلكها في التعبير ، ثم فهم آي التنزيل التي نزلت على طريقة العرب .

وربما أُدرج كتاب المجاز لأبي عبيدة ضمن كتب غريب القرآن لبروز هذا الجانب من التفسير اللغوي فيه ، فهو متضمن للغريب بالدرجة الأولى ، ثم للمعاني، ثم للإعراب ، إلا أن التسمية المشهورة لكتابه هي : (مجاز القرآن) لكثرة ورود هذا اللفظ (مجاز) في كتابه .

- معنى كلمة (مجاز) في كتاب أبي عبيدة

معنى (مجاز) في كلام أبي عبيدة ليس هو المجاز الاصطلاحي المعروف عند البلاغيين قسيم الحقيقة، بل مراده بالمجاز : ما يجوز في لغة العرب من التعبير عن الألفاظ والأساليب؛ فيأتي بمعنى التفس ، وتأتي بمعنى الطرق التي جاء بها القرآن الكريم للتعبير عن معنى الآية ، فإذا قال عن آية : مجازها كذا ، أي تفسيرها ، وإذا قال : مجازها مجاز قولك ... ثم يأتي بشاهد من كلام العرب ، فيكون مراده : أن الآية جارية على هذا الأسلوب ،

---

(١) انظر : وفيات الأعيان ٥: ٢٣٨ ، وطبقات المفسرين للداودي ١ : ٣٠ .

(٢) انظر: مجاز القرآن ص :١٧، ١٨ ، التفسير اللغوي ص: ٣٣٥.

وهذا ظاهر في كتابه ، فكلمة (مجاز) إذاً ليست مجرد مقابل لكلمة تفسير أو كلمة معـنى بصفة مطلقة عند أبي عبيدة .

- منهج أبي عبيدة في الكتاب

مجاز القرآن من التفاسير التي اعتمدت على اللغة بدرجة كبيرة، ولا تجد فيـه مـن التفسير بالمأثور إلا الشيء القليل ، بل حتى النقل عن علماء اللغـة مـن شـيوخه أيـضا قليل ؛ لاعتداد أبي عبيدة بحصيلته اللغوية الواسعة واعتقاده أن القرآن الكريم عربي يكفي في تفسيره المعرفة باللغة ، فهو من التفاسير بالرأي ، وبهذا المنهج خرج أبو عبيدة عن المألوف في ذلك العصر من الاعتماد على النقل والرواية في التفسير، والتحرج من القـول في القـرآن بالرأي فيكون هو ومن سار على نهجه ممن شق طريقا لهذا المنهج في التفسير ... إذ كـان مسلك أبي عبيدة بعدم التزامه بآثار السلف في التفسير ، واعتماده على النزعـة العقليـة ، والتفكير الحر والنظر الدقيق المستقل .

ويعد مجاز القرآن من أوائل ما صنفه اللغويون في تفسير القرآن، وهو سابق لمعـاني الأخفش والفراء [1]، وقد كان لهذا الكتاب أثر كبير فيمن جاء بعده ، وقد اتكأ كثير مـن العلماء عليه في تفسير غريب القرآن وغيره .

وكان من طريقة أبي عبيدة أنه يحاول شرح ما يراه يستحق الشرح مـن مفـردات القرآن أو تركيب ، ثم يستشهد على صحته بآية أو حديث في المعنى نفـسه ، أو بكـلام العرب الفصيح ، وأغلب الأحيان يكون ذلك بالشعر القديم ، ويحرص دائماً على أن يؤكد صلة أسلوب القرآن بأساليب العرب ، فيذكر في ختام كلامه أن العرب تفعل هذا .

ومن الأمور التي يختلف فيها عن باقي كتب المعاني أنه لا يحتفـي بـإيراد وجـوه القراءات احتفاء غيره من أصحاب كتب المعاني [2] .

---

(١) ذكر ياقوت أنه ألفه في سنة ١٨٨ هـ . انظر : معجم الأدباء ٥ : ٥١١ .
(٢) انظر : مجاز القرآن ٢ : ١٣٧ ، ١٦٣ .

- مميزاته والمآخذ عليه

يتميز مجاز القرآن بالتفسير الدقيق لمعاني الألفاظ والتراكيب وربطها بكلام العـرب، كما يتميز بالعناية بالنقل عن الشعراء فهو عمدة في ذلك لاسيما شعر الرجز، وغير ذلك من المميزات .

ويؤخذ على أبي عبيدة وجود بعض الأخطاء العقدية في كتابه كما سبقت الإشـارة إلى ذلك في عقيدته، كما يؤخذ عليه اعتماده على اللغة بالدرجة الأولى كطريق للتفسير مما أوقعه في بعض الأخطاء والأقوال التي لا تصح ، بل إن اعتداده بمخزونه اللغوي الكبير جعله يرد بعض التفاسير الواردة عن السلف (١) .

- مكانة الكتاب عند العلماء

هذا الكتاب يعد أبرز كتب أبي عبيدة وأشهرها وأغزرها علما ، وهـو المـصنف الوحيد لأبي عبيدة فيما يتعلق بالقرآن الكريم ، وهو من أكبر الكتب المعتمدة في بابه ، فقد استفاد منه علماء جهابذة كُثُر ، وظهر أثره على مؤلفاتهم ، من أولئك : الإمام البخاري في صحيحه ، والطبري في تفسيره ، وابن حجر في الفتح ، وابن دريد في الجمهـرة ، وابـن الجوزي في تفسيره ، وغيرهم مما يدل على أنه معتمد عندهم .

---

(١) راجع تفسيره للكلمة في قوله تعالى : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٣٩] حيث فسرها بالكتاب مـن الله ، وهذا مخالف لجمهور السلف وأن المراد هو عيسى عليه السلام . كذلك تفـسيره للمتكـأ في قولـه تعـالى: ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا ﴾ [يوسف: ٣١] بالنمرق ، ورد القول الوارد عن السلف بأنه الأترج . ولمزيد من الأمثلة انظر : التفسير اللغوي ص : ٣٤٩ .

٢- معاني القرآن للأخفش

أ - التعريف بالأخفش :

- اسمه ونسبه ومولده ووفاته

هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري ، مولى بني مجاشع [١] ، نسبة إلى مجاشع بن دارم ، وهو بطن من تميم [٢] ، اشتهر بلقب الأخفش [٣] الأوسط تمييزا له عن الأخفش الأكبر والأخفش الأصغر [٤] ، إلا أن سعيد بن مسعدة هو أشهرهم ، وإذا أطلق لقب الأخفش مجردا في كتب اللغة والتفسير انصرف إليه ، أصله من (بلخ) من مدن خراسان لذلك لقب بالبلخي ، وقيل هو من خوارزم .

اختلف في سنة مولده ، وسكن البصرة ، ودخل بغداد وأقام بها مدة ، وروى وصنف بها [٥]، كما اختلف في سنة وفاته، فقيل : سنة ٢٢٥ هـ ، وقيل : ٢٢١ ، وقيل : ٢١٠ ، وقيل : ٢١١، وقيل : ٢١٥ هـ [٦]، وهذا الأخير هو أشهرها .

- عقيدته :

كان الأخفش متأثرا بالمعتزلة ، بل قد تتابع في كتب التراجم والتاريخ التصريح بأن الأخفش كان معتزليا [٧]، وقد جاء في كتابه معاني القرآن عدة شواهد صريحة تدل على ذلك، منها تأويله صفات الله جل وعلا ، فقد أول صفة الكلام عند تفسير قوله تعالى :

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء ١٠ : ٢٠٦ .

(٢) انظر : وفيات الأعيان ٢ : ٣٨١ .

(٣) لقب بالأخفش لصغر عينيه وضعف بصره . انظر : البداية والنهاية ١٠ : ٢٩٣ .

(٤) هو أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل المعروف بالأخفش الأصغر ، نحوي ثقة ، روى عن المبرد وثعلب وغيرهما ، وروى عنه المرزباني ، وأبو الفرج المعافى الجريري ، وغيرهما ، مات سنة ٣١٥ هـ ، له كتاب شرح سيبويه ، والأنواء . انظر : وفيات الأعيان ٣ : ٣٠١ ، وبغية الوعاة ٢ : ١٦٧ .

(٥) بغية الوعاة ١ : ٥٩٠ .

(٦) البداية والنهاية ١٠ : ٢٩٣ ، وبغية الوعاة ١ : ٥٩١ .

(٧) انظر : بغية الوعاة ١: ٥٩٠ ، وتاريخ الإسلام ١٥ : ١٧٣ ، وطبقات النحويين واللغويين ص : ٧٣ ، وإنباه الرواة طبعة دار الفكر العربي ٢ : ٣٨ ، ومعجم الأدباء ٣ : ٣٨٥ .

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] ووصفه بأنه مخلوق ، وأنكر رؤية الله تعالى في أكثر من موضع [١]، كذلك أنكر أن يكون الله ﷻ قد تجلى للجبل عندما كلم موسى عليه السلام وأنكر صفة الإتيان ، وأنكر استواء الله ﷻ على العرش ، وأنكر صفة اليد والقبـضة، وغير ذلك مما وافق فيه معتقد المعتزلة في تأويل الصفات [٢] .

- مكانته العلمية وصفاته :

يعد الأخفش من أئمة اللغة والنحو البصري ، إلا أنه وصف بعدم التشدد والتعصب له كثيرا [٣] ، وهو من أبرز طلاب سيبويه [٤] مؤسس المدرسة البصرية ، وشارح كتابه .

وحكى ثعلب أن الفراء دخل على سعيد بن سالم [٥] فقـال - أي سـعيد - قـد جاءكم سيد أهل اللغة وسيد أهل العربية ، فقال الفراء : أما ما دام الأخفش يعيش فلا [٦].

وأخبر الأخفش قال : لما ناظر سيبويه الكسائي ورجع ، وجه إلي ، فعـرفني خـبره ومضى إلى الأهواز وودعني ، فوردت بغداد ، فرأيت مسجد الكسائي ، فـصليت خلفـه الغداة ، فلما انفتل من صلاته وقعد وبين يديه الفراء والأحمر وابن سـعدان [٧] ، سـلمت

---

(١) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢ : ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٣١ ، ٧٢١ .

(٢) انظر المواضع التالية من معاني القرآن : ٢ : ٥٣١ ، ٧٠٦ ، ٦٣١ ، ٦٧٤ ، ولمزيد من الأمثلة والتفصيل في عقيدة الأخفش انظر : مناهج اللغويين في تقرير العقيدة ص : ٤٦٧ .

(٣) انظر : موقف الطبري النحوي في تفسيره من الأخفش في معانيه ص : ١٩ .

(٤) هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، مولى بني الحارث بن كعب أبو بشر ويقال : أبو الحسن ، إمام النحاة ، من قرية بيضاء بشيراز ، نشأ بالبصرة ، وأخذ النحو عن الخليل ولازمه ، وعن عيسى بن عمر الثقفي وغيرهم ، تـوفي سنة ١٨٠ هـ بشيراز ، على أن في سنة موته اختلافا كثيرا ، له الكتاب الذي لم يسبق لمثله أحد . انظر : إنباه الرواة ٢ : ٣٤٦ ، والبلغة ١ : ١٦٣ .

(٥) لعله سعيد بن سالم القداح أبو عثمان محدث فقيه أصله من خراسان أو الكوفة ، رمي بالإرجاء ، روى عن ابن جريج ، وطلحة بن عمرو، وعنه العدني وعلي بن حرب . انظر : الضعفاء الصغير للبخاري ١ : ٥٠ ، وتقريب التهذيب ١ : ٢٣٦ .

(٦) انظر : معجم الأدباء ٣ : ٣٨٥ .

(٧) هو علي بن المبارك الأحمر النحوي ، صاحب الكسائي ، وأخذ عنه القاسم بن سلام ، له النـوادر المـشهورة توفي سنة ١٩٤ هـ . انظر : إنباه الرواة ٢ : ٣١٣ ، وبغية الوعاة ٢ : ١٨٥ .

وابن سعدان هو أبو جعفر محمد بن سعدان الضرير الكوفي النحوي المقرئ ، ولد سنة ١٦١ هـ ، روى عـن عبد الله بن إدريس ، وأبي معاوية الضرير، وعنه محمد بن سعد، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، توفي سنة ٢٣١ =

عليه، وسألته عن مائة مسألة ! فأجاب بجوابات خطأته في جميعها ، فأراد أصحابه الوثـوب علي فمنعهم عني ، ولم يقطعني ما رأيتهم عليه مما كنت فيه ، ولما فرغت قال لي : بالله أنت أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، فقلت : نعم ، فقام إلي وعانقني وأجلسني إلى جنبه، ثم قـال: لي أولاد أحب أن يتأدبوا بك ، ويتخرجوا عليك ، وتكون معي غير مفارق لي ، فأجبته إلى ذلك ، فلما اتصلت الأيام بالاجتماع سألني أن أؤلف له كتابا في معاني القرآن، فألفت كتابا في المعاني، فجعله إمامه، وعمل عليه كتابا في المعاني، وعمل الفراء كتابا في ذلك عليهما[١] .

كما وصفه المبرد [٢] بأنه **أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل ،** وقال أبو العباس ثعلب : هو **أوسع الناس علما** [٣] . وكان من صفاته أنه قوي الجدل والنقـاش ذو جـرأة مشهود بها .

- شيوخه وتلاميذه

تتلمذ الأخفش على علماء كبار، وهم كثر، عامتهم من أهل اللغة والنحو، منهم : حماد بن سلمة بن دينار [٤] ، والأخفش الأكبر - وهما من متقدمي علماء اللغة والنحـو- ويعقوب بن إسحاق الحضرمي [٥] ، وعيسى بن عمر الثقفي ، ويونس بن حبيب ، والخليل

= هـ ، له كتاب القراءات ، ومختصر النحو . انظر : إنباه الرواة ٣ : ١٤٠ ، وبغية الوعاة ١ : ١١١ .

(١) انظر : بغية الوعاة ١ : ٥٩٠ ، وهذه القصة تدل على أن معاني الأخفش سابق لمعاني الفراء .

(٢) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري أبو العباس المبرد ، إمام العربية ببغداد في زمانه ، ولـد سـنة ٢١٠ هـ وتوفي عام ٢٨٥ هـ ، له المقتضب ، والكامل وغيرها كثير . انظر : إنباه الرواة ٣ : ٢٤١ ، وبغية الوعاة ١: ٢٦٩ .

(٣) انظر : معجم الأدباء ٣ : ٣٨٥ .

(٤) هو حماد بن سلمة بن دينار مولى ربيعة بن مالك الإمام المشهور ، إمام الحديث وشيخ أهل البصرة في العربيـة روى عن ثابت البناني ، وقتادة ، وغيرهما كثير ، وروى عنه ابن جريج ، والثوري ، وشعبة ، وغيرهم كـثير وأخذ عنه في النحو يونس بن حبيب ، وسيبويه ، توفي سنة ١٦٧ هـ . انظر : تهـذيب التهـذيب ٣ : ١١ وبغية الوعاة ١ : ٥٤٨ .

(٥) هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبدالله بن أبي إسحاق ، مولى الحضرميين ، قارئ أهل البـصرة في عصره ، له قراءة مشهورة وهي إحدى القراءات العشر ، توفي سنة ٢٠٥ هـ ، له كتاب الجامع في القراءات . انظر : إنباه الرواة ٤ : ٤٥ ، ومعرفة القراء الكبار ١ : ١٥٧ .

بن أحمد الفراهيدي ، وأبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري الإمام المشهور [١] ، وسيبويه، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، وقد أفاد منه كثيرا في كتابه المعاني وإن لم ينص عليه إلا مرة، وغيرهم .

كما تخرج عليه تلامذة برعوا في النحو، منهم : أبو عمر الجَرمي [٢] ، والمازني[٣]، وأبو حاتم السجستاني وغيرهم .

- مصنفاته :

للأخفش مصنفات عدة، إلا أن أكثر مصنفاته مفقودة ولم تصل إلينا، ومن تلك المصنفات :كتاب الأوسط في النحو ، وكتاب تفسير معاني القرآن، وكتاب المقاييس في النحو، وكتاب الاشتقاق ، وكتاب العروض ، وكتاب القوافي - وهو مطبوع - وكتاب معاني الشعر ، وكتاب الملوك ، وكتاب الأصوات ، وكتاب المسائل الكبير ، وكتاب المسائل الصغير ، وغير ذلك .[٤]

---

(١) هو سعيد بن أوس بن ثابت بن حرام أبو زيد الأنصاري ، لغوي جليل من رواة الحديث ، روى القراءات عن أبي عمرو بن العلاء وأخذ عنه اللغة سيبويه ، مات سنة ٢١٥ هـ ، له كتاب النوادر . انظر : مراتب النحويين ص : ٧٣ ، والبلغة ١ : ١٠٣ .

(٢) هو أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي البصري ، فقهيه نحوي عالم باللغة والحديث والأخبار ، كان دينا ورعا أخذ عن أبي عبيدة ، ويونس بن حبيب ، وغيرهما مات سنة ٢٢٥ هـ ، له كتاب الفرخ، وهو مختصر لكتاب سيبويه ، وكتاب الأبنية . انظر : طبقات النحويين واللغويين ص : ٧٤ ، وإنباه الرواة ٢ : ٨٠ .

(٣) هو أبو عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني ، نحوي أخذ عن الأصمعي وأبي عبيدة وغيرهما ، وكان أستاذ المبرد وابن أبي سعد ، والوراق ، توفي سنة ٢٤٨ هـ بالبصرة ، له كتاب التصريف ، وكتاب الديباج وغيرهما . انظر : إنباه الرواة ١ : ٢٤٦ ، والبلغة ١ : ٧١ .

(٤) انظر : وفيات الأعيان ٢ : ٣٨١ .

ب - كتاب معاني القرآن للأخفش :

- مكانة الكتاب و قيمته العلمية واستفادة العلماء منه :

كان كتاب معاني القرآن للأخفش سابقا لكتاب الفراء كما دلـت عليـه قـصة مناظرته للكسائي السابقة ، وجاء بعد كتاب المجاز لأبي عبيدة ، وقد اسـتفاد منـه، إلا أن الفرق بين كتابه وكتاب المجاز كبير ؛ فكتاب المجاز يبرز فيه العناية بالغريب والبلاغة، ومعاني الأخفش يعنى بالنحو والصرف [١] .

كما أن لمعاني الأخفش مكانة عامة لمكانة مصنفه، ولأنه حفظ لنا آراء هذا العلـم فإن أكثر مصنفاته في عداد المفقودة، ولكونه من كتب التراث الأصيلة التي تعد من مـصادر المصادر .

وقد استفاد من معاني الأخفش كثير من علماء اللغة والنحو والتفـسير والقـراءات والمعاجم المتقدمين والمتأخرين ، ونقلوا عنه آراءه ، وأثروا به مؤلفاتهم ، مما يدل على مكانته والاعتداد بآرائه . [٢]

- لمحة عن منهج المؤلف في معانيه :

يعتبر كتاب معاني القرآن للأخفش كتاب نحو أكثر منه كتاب معاني وتفسير لكثرة المباحث النحوية فيه، بل إنه قد صرح بذلك بجعله أبوابا للنحو في أثناء تفسير الآيات .

وكان الأخفش يتطرق للمباحث العامة لكتب المعاني والتفسير اللغوي، إلا أنـه لم يكثر من تفسير دلالة الألفاظ ، وكلامه كذلك عن مدلولات التراكيب في الآيات قليل أيضا وهو أقل من تعرض من أصحاب كتب المعاني لأساليب اللغة في الخطاب القرآني شـرحا وتطبيقا .

---

(١) انظر : التفسير اللغوي ص : ٣٠٦ .

(٢) وقد استفاد منه الكسائي والفراء والطبري و ابن عطية والنحاس في إعرابه ، والرازي والزمخشري ، والقـرطبي أكثر عنه النقل جدا في تفسيره ، وأبو حيان والألوسي، والشوكاني في تفاسيرهم ، وغيرهم .

كما اهتم بالقراءات وتوجيهها كثيرا ، إلا أن ذلك في الغالب كان توجيها نحويـا وصرفيا أما ما يتعلق بالمعنى فهو قليل .

ويعتبر كتاب الأخفش دراسة لغوية شاملة؛ فقد تطرق لكافة علوم اللغة مع تفاوت بينها [١].

وكان يهتم بالشاهد الشعري كثيرا ويشرح غريبه .

وكان يكثر من الاستشهاد بالآيات القرآنية في جميع جوانب دراساته اللغوية الـتي يوردها وغيرها، كبيان دلالة لفظة في آية ما [٢] .

ولم يكن للأخفش اهتمام بالحديث في كتابه [٣] .

ومما يؤخذ عليه أنه لم يهتم بترتيب الآيات في السور بل كان يقدم ويؤخر تفسير آية على آية في كثير من الأحيان، وأحيانا يفسرها ثم يعود إليها [٤] .

---

(١) انظر : معاني القرآن للأخفش تحقيق فايز فارس ص : ٥٥ .
(٢) المرجع السابق ١ : ٧٦ .
(٣) المرجع السابق ص : ١٠٢ .
(٤) المرجع السابق ص : ٦٢ .

٣ - معاني القرآن للفراء

أ - التعريف بالفراء :

- نسبه ومولده ونشأته ووفاته :

هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن مروان الأسلمي الديلمي ، أبـو زكريـا الفراء [١] ، مولى بني أسد ، وأصله من فارس ، ولد بالكوفة ، ونزل بغداد وأملى بها كتبـه في معاني القرآن وعلومه ، وجعل أكثر مقامه بها [٢] .

مات الفراء بطريق مكة سنة سبع ومائتين (٢٠٧ هـ) وله ثلاث وستون سنة [٣] .

- مكانته العلمية :

يعتبر الفراء من أئمة النحو الكوفي المشهورين المؤسسين لهذا المذهب ، بل أُطلق عليه لقب أمير المؤمنين في النحو [٤]، وثقه أكثر من عالم [٥] ؛ يحكى عن أبى العباس ثعلب [٦] أنه قال : لولا الفراء لما كانت عربية ؛ لأنه خلصها وضـبطها ، ولـولا الفـراء لـسقطت العربية ؛ لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ، ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب [٧] .

---

(١) قيل له فراء ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها ؛ لأنه كان يفري الكلام ، وقد أطلق هذا اللقب واشتهر به غـير الفراء صاحبنا . انظر : وفيات الأعيان ٦ : ١٨١ ، واللباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن علـي الجـزري ٢ : ٤١٤ .

(٢) انظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٤: ١٤٩ ، ومعجم الأدباء ٥ : ٦١٩ ، وبغيـة الوعـاة ٢ : ٣٣٣ ووفيات الأعيان ٦ : ١٨٠ .

(٣) انظر : مولد العلماء ووفياتهم لمحمد الربعي ٢ : ٤٦٠ ، وتاريخ الإسلام لشمس الدين الذهبي ١٤: ٢٩٥ .

(٤) انظر : تاريخ الإسلام ١٤: ٢٩٤ ، والبلغة ١ : ٢٣٨ .

(٥) انظر : الثقات لابن حبان ٩ : ٢٥٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٠: ١١٩ وغيرهما .

(٦) هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني أبو العباس ، المعروف بثعلب ، من أئمة النحو الكوفي ، ولد بالكوفة سنة ٢٠٠ هـ كان ثقة حجة دينا صاحب سنة، له كتاب المصون ، واختلاف النحويين ، وغيرهما ، توفي سنة ٢٩١ هـ انظر : إنباه الرواة ١ : ١٣٨ ، ومعجم الأدباء ٢ : ٥٥ ، والبلغة ١ : ٦٥ .

(٧) انظر : تاريخ بغداد ١٤: ١٤٩ .

ولم يقتصر علمه على العربية فحسب بل كان شخصية علمية فذة ملما بعلوم شتى ولما تصدى الفراء للاتصال بالمأمون [١] كان يتردد إلى الباب ، فلما كان ذات يوم بالباب جاء ثمامة بن الأشرس المتكلم المشهور [٢] قال : فرأيت صورة أديب وأبهة أدب ، فجلست إليه وفاتشته عن اللغة فوجدته بحرا ، وعن النحو فشاهدته نسيج وحده ، وعن الفقه فوجدته فقيها عارفا باختلاف القوم ، وفي النجوم ماهرا ، وبالطب خبيرا ، وبأيام العرب وأخبارها وأشعارها حاذقا ، فقلت له من تكون وما أظنك إلا الفراء ؟ فقال : أنا هو [٣] .

- عقيدته :

يعد الفراء من أهل السنة ، قال الأزهري [٤] : " وهو ثقة مأمون ، قاله أبو عبيد [٥] وغيره ، **وكان من أهل السنة** ، ومذاهبه في التفسير حسنة " [٦] .

وقد وثقه غير واحد من الأئمة كما سبق ، وبالنظر إلى شواهد ذلك في معانيه نجد أن كثيرا من كلامه في المباحث العقدية موافق لمعتقد أهل السنة، فأثبت صفة الكلام والإتيان، والرؤية ، وصفة التعجب [٧] ، غير أنه خالفهم في بعض المواضع، فكان عنده شيء

---

(١) وكان قد عينه مؤدبا لابنيه ، وقد وقع بينهم موقف فيه درس وعبرة فراجعه إن شئت . انظر : شذرات الذهب لعبد الحي العكري ٢ : ١٩ ، ٢٠ .

(٢) هو ثمامة بن أشرس أبو معن النميري ، صاحب الثمامية من المعتزلة ، كان معتزليا قدريا ، بل كان زعيم القدرية في زمان المأمون والمعتصم والواثق ، وانفرد بأقوال عن المعتزلة ، توفي سنة ١٧٤ هـ . انظر : طبقات المعتزلة لأحمد بن يحيى بن المرتضى ص : ٦٢ ، والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص : ١٥٧.

(٣) انظر : معجم الأدباء ٥ : ٦٢٠ .

(٤) هو محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة أبو منصور الأزهري الهروي اللغوي ، إمام جليل سلفي العقيدة ، لم يأخذ عن ابن دريد تدينا ، جمع فنون الأدب والعربية ، وصنف في اللغة والتفسير وعلل القراءات والنحو كتبا نفيسة منها : تهذيب اللغة ، وكتاب التقريب في التفسير وغيرها كثير ، توفي سنة ٣٧٠ هـ . انظر : البلغة ١: ١٨٦ ووفيات الأعيان ٤ : ٣٣٤ .

(٥) هو القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد البغدادي اللغوي المحدث الفقيه ، ولد بهراة سنة ١٥٧ هـ ، وأخذ العربية عن الأصمعي وأبي عبيدة وغيرهم ، كان مدافعا عن السنة قامعا لأهل البدع ، ولي قضاء طرسوس ثمانية عشر عاما كان حسن التصنيف ، ومن مصنفاته : الغريب المصنف ، وغريب الحديث ، وغريب القرآن ، توفي بمكة عام ٢٢٤ هـ . انظر : مراتب النحويين ص : ١٤٨ ، وطبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي ص : ١٩٩ ، وبغية الوعاة ٢ : ٢٥٣ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة للأزهري ١ : ١٧ .

(٧) انظر : معاني القرآن للفراء ١ : ٤٦١ ، ٢ : ٣٨٤ .

من الاضطراب في باب الصفات ، والتي كانت سببا في توجيه التهم إليه؛ حيث اتهم بالاعتزال والتفلسف [١]، ورمي بأنه سلك طريق الأشاعرة [٢] ، ومن تلك الأخطاء : تأويله المكر بالاستدراج ، واقتصاره في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام : ١٨] بعلو القهر ولم يذكر علو المكان ، وفسر الظاهر والباطن بالعلم ، وفسر قوله تعالى : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] : بالوفاء والعهد [٣]، وكان هذا الاضطراب عنده نتيجة لاتصاله بالمعتزلة على عهد المأمون واختلاطه بهم ، إلا أن الفراء وإن تأثر ببعض الأفكار الاعتزالية فإنه لم يكن معتزليا بالمعنى المعهود ، ودليله ما سبق من توثيق العلماء له، وهذا لا يكون أبدا لأحد اتخذ الاعتزال منهجا ، كذلك المواضع الكثيرة في كتابه والتي خالف فيها المعتزلة في أصولهم الكبرى؛ فأثبت الصفات ، ورد على أهل القدر ، وغير ذلك [٤].

- شيوخه وتلاميذه :

لقد عني الفراء منذ نشأته في الكوفة والبصرة بالوقوف على ثقافات عصره الدينية والعربية ، فقد تتلمذ على العلماء البارعين في القراءة والحديث والنحو المشهود لهم بالأمانة والتثبت فيما أخذوه ، والمشهود لهم بأنهم أهل الصلاح والتقى ، فأخذ القراءات عن أبي بكر بن عياش [٥] وغيره ، وأخذ عن العالم الإمام الثقة سفيان الثوري [٦] في علم الحديث وغيره

---

(١) انظر : بغية الوعاة ٢ : ٣٣٣ ، وإنباه الرواة طبعة دار الفكر العربي ٤ : ١٣ .

(٢) عده الدكتور المغراوي من الأشاعرة ، ويجدر التنبيه هنا إلى أن الفراء مات قبل ظهور فرقة الأشاعرة بزمن فقد ولد أبو الحسن الأشعري سنة ٢٦٠ هـ وقيل بعدها ! انظر: المفسرون بين التأويل والإثبات ٤ : ١٥٢٣ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ١: ٢١٨ ، ٣٢٩ و ٣ : ١٣٢ ، ٦٥ .

(٤) للاستزادة انظر : مناهج اللغويين ص : ٦٨١ وما بعدها .

(٥) هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي المقرئ المحدث ، اشتهر بكنيته واختلف في اسمه ، وأصح ما قيل : إنه شعبة ، ثقة عابد ، روى القراءة عن عاصم ، وروى عن إسماعيل السدي وأبي حصين وغيرهما ، قرأ عليه أبو الحسن الكسائي ويحيى العليمي وغيرهما ، توفي بالكوفة سنة ١٩٣ هـ ، وقيل ٩٤ . انظر : معرفة القراء الكبار ١: ١٣٤ ، وتقريب التهذيب ١: ٦٢٤ .

(٦) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي، من أئمة الإسلام الكبار في الحديث وغيره روى عن أبيه وأبي إسحاق الشيباني وأبي إسحاق السبيعي، وخلق كثير، وروى عنه خلق لا يحصون منهم: جعفر بن برقان، وخصيف بن عبد الرحمن، وابن إسحاق، وغيرهم، مات سنة ١٦١ هـ. انظر: المعارف لابن قتيبة ١: ٤٩٧ ، وتقريب التهذيب ١: ٢٤٤ ، وتهذيب التهذيب ٤: ٩٩ .

وأخذ النحو عن الكسائي [١] وعليه اعتمد ، وهو من أشهر أصحابه وأخصهم به [٢] وكذلك أبو جعفر الرؤاسي [٣] ، ويونس بن حبيب .

ومن تلاميذه : سلمة بن عاصم النحوي [٤] ، وأبو عبيد القاسم بن سلام وابن السكيت [٥] ، وغيرهم كثير .

- مؤلفاته :

للفراء مصنفات عديدة ومتنوعة في القرآن الكريم ، والحديث ، واللغة ، والنحو والأدب، أوصلها بعض الباحثين إلى أربعة وعشرين مصنفا[٦]، إلا أن أكثرها غير مطبوع، والمطبوع منها كتابان– غير كتاب المعاني- : كتاب المذكر والمؤنث، وكتاب المقصور والممدود، وبقيه كتبه إما مخطوط وإما مفقود، إلا أن أشهر كتبه هو كتاب معاني القرآن .

ب - كتاب معاني القرآن للفراء

يعد كتاب معاني القرآن للفراء من أقدم التفاسير اللغوية التي نقلت إلينا ، وهو من أشهر كتب الفراء وأنفعها ، ويدل على ذلك أنه لما فرغ من كتاب المعاني خزنه الوراقون

---

(١) هو علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الإمام أبو الحسن الكسائي ، إمام الكوفيين في النحو واللغة ، وأحد القراء السبعة المشهورين ، وهو من أهل الكوفة ، واستوطن بغداد ، وقرأ على حمزة الزيات ، ثم اختار لنفسه قراءة ، سمع من سليمان بن أرقم ، وأبي بكر بن عياش ، وأخذ النحو عن الخليل ، مات بالري سنة ١٨٢ هـ له معاني القرآن ، والنوادر وغيرهما . انظر : معرفة القراء الكبار ١ : ١٢٠ ، وبغية الوعاة ٢: ١٦٢ .

(٢) انظر : وفيات الأعيان ٦ : ١٧٦ ، ١٧٧ ، وبغية الوعاة ٢ : ٣٣٣ .

(٣) هو محمد بن الحسن بن أبي سارة أبو جعفر الرؤاسي الكوفي ، إمام في النحو والعربية ، وهو أول من وضع كتابا في النحو من الكوفيين ، كان رجلا صالحا ورعا ، له تصانيف كثيرة منها : كتاب معاني القرآن ، وكتاب الوقف والابتداء الكبير ، وغير ذلك ، ولم أقف على من ذكر سنة وفاته . انظر : إنباه الرواة ٤ : ٩٩ ، ومعجم الأدباء ٥ : ٣٧٧ .

(٤) سلمة بن عاصم النحوي أبو محمد ، أخذ عن الفراء ، ثقة عالم حافظ ، صنف معاني القرآن ، وغريب الحديث والمسلوك في النحو ، ولم أقف على من ذكر سنة وفاته . انظر : معجم الأدباء ٣ :٣٩١ ، وبغية الوعاة ١: ٥٩٦ .

(٥) يعقوب بن إسحاق أبو يوسف بن السكيت ، عالم بالعربية واللغة والشعر ، راوية ثقة ، أخذ النحو عن البصريين والكوفيين ، كان مؤدبا لابني المتوكل ، مات سنة ٢٤٤ هـ ، له مصنفات كثيرة منها : كتاب إصلاح المنطق ، وكتاب النوادر ، وغيرها . انظر : معجم الأدباء ٥ : ٦٤٢ ، وبغية الوعاة ٢ : ٣٤٩ .

(٦) انظر : منهج الفراء في كتابه معاني القرآن لحسين هاشم ص : ٧٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ :١٢٠ .

عن الناس ليكسبوا به ، وقالوا : لا نخرجه إلا لمن أراد أن ننسخه لـه علـى خمـس أوراق بدرهم ، فشكا الناس إلى الفراء ، فدعا الوراقين فقال لهم في ذلك ، فقالوا : إنما صـحبناك لننتفع بك، **وكل ما صنفته فليس بالناس إليه من الحاجة ما بهم إلى هذا الكتاب، فـدعنا نعش به** [١] ، فجعلوا كتابه المعاني أهم من كتبه مجتمعة وقد ألفه في آخر حياته .

قال ابن خلكان [٢] : " **وكتابه هذا نحو ألف ورقة ، قال عنه أبو العباس ثعلب : وهو كتاب** لم **يعمل أحد قبله مثله ، ولا أحسب أن أحدا يزيد عليه** " [٣] .

ومما يميز كتاب المعاني للفراء أنه يعد عمدة في المذهب الكوفي ومصطلحاته فقد اهتم فيه بالأساليب النحوية كثيرا، فبينها واستشهد لها بأمثلة توضحها .

كما كان للأساليب العربية المتعلقة بالمعاني نصيب من هذا البيان والاهتمام ، فأولاه عنايته وبين منه جملة كبيرة، بل قد يكون أكثرهم تعرضا لها، وأحسنهم شرحا وبيانا، هـذا وإن كانت المباحث النحوية أكثر في كتابه [٤] .

وأيضا اهتم الفراء بالمباحث اللغوية ، وقد خاض في كتابه هذا في فنون العربية جميعا كالصرف ، وبناء الألفاظ وغيرها ، وتوسع في ذكر اللغات المختلفة للفظة الواحدة .

ومما يميز كتابه اهتمامه بالرواية في تفسير الآيات في كتابه ، فكان يفـسر القـرآن بالقرآن، ويحتج بالسنة والأحاديث النبوية، ويهتم بإجماع الصحابة، وكثيراً ما يذكر في ختام كلامه عبارة : (وبذلك جاء التفسير) أو (وجاء في التفسير كذا) أو (وذكر المفسرون) هذا إذا لم ينص على اسم صاحب التفسير أو يسنده إليه . وقد اهـتم الفـراء في كتابـه بالقراءات، والاستشهاد لها، والاختيار منها، وتوجيه ما يختاره .

هذه بعض الملامح العامة عن كتابه المعاني ، وسيأتي – إن شاء الله - في ثنايا البحث أمثلة كافية توضح منهجه التفصيلي .

---

(١) وفيات الأعيان ٦ : ١٧٨ .

(٢) هو شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بـن خلكـان الـشافعي ، قاضـي قـضاة دمشق ، فقيه أديب مؤرخ ، ولد بإربل بالعراق سنة ٦٠٨ هـ من عائلة اشتهرت بالمناصب الدينية ، له كتاب وفيات الأعيان ، توفي سنة ٦٨١ هـ . انظر : طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢ : ١٦٦ ، والنجوم الزاهرة ليوسف الأتابكي ٧ : ٣٥٣ .

(٣) وفيات الأعيان ٦ : ١٧٨ .

(٤) انظر : التفسير اللغوي ص : ٢٩٣ .

٤ - معاني القرآن وإعرابه للزجاج

أ - التعريف بالزجاج :

- اسمه ونسبه :

هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج ، لقب بذلك ؛ لأنه كان يخرط الزجاج في بداية حياته [١]، وفي اسم أبيه خلاف [٢] .

- مولده ونشأته ووفاته:

ولد ببغداد سنة ٢٣٠ أو ٢٣١ هـ ، وفيها نشأ [٣]، واختلف في سنة وفاته، وكثير ممن ترجم له ذكر أنها سنة ٣١١ هـ ، وكان له من العمر ثمانون عاما على الأرجح [٤] .

عرف بحرصه الشديد في طلب العلم وجده فيه منذ بداية حياته ، ولا أدل على ذلك مما جاء في سيرته أنه كان يدفع لشيخه المبرد كل يوم درهما مقابل مبالغته في تعليمه ، بل إنه قال له : وأشرط لك أن أعطيك إياه أبدا إلى أن يفرق الموت بيننا ، استغنيت عن التعليم أو احتجت إليه ! [٥] ، وبعد مدة عمل مؤدبا للقاسم بن عبيد الله بن سليمان الوزير[٦]، والذي أصبح وزيرا للمعتضد بالله [٧] بعد وفات أبيه، فحصل الزجاج منه الأموال الكثيرة، ثم اتصل بالمعتضد نفسِه، فقدر له العطايا والأرزاق . وهكذا يرفع العلم صاحبه ويكون أكرم منه .

---

(١) انظر : الوافي بالوفيات ٥: ٢٢٨ ، ووفيات الأعيان ١: ٤٩ .

(٢) راجع تفصيل الخلاف في ذلك في منهج الزجاج في اختياراته ص : ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) انظر : الأعلام للزركلي ١ : ٤٠ .

(٤) انظر : معجم الأدباء ١ : ٨٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٤ : ٣٦٠ ، وتاريخ بغداد ٦ : ٩٢ .

(٥) انظر : تاريخ بغداد ٦ : ٩٠ ، ومعجم الأدباء ١ : ٨٢ .

(٦) هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد الحارثي أبو الحسين، الوزير قلده المعتضد الوزارة بعد أبيه كان جوادا مداحا إلا أنه كان زنديقا فاسد الاعتقاد من ظلمة الوزراء، ولم يزل على وزارته إلى أن مات سنة ٢٩١ هـ ، ولم يجاوز ثلاثا وثلاثين عاما . انظر : الوافي بالوفيات ٢٤: ٩٥، وتاريخ الإسلام ٢٢ : ٢٣٠.

(٧) هو الخليفة العباسي أبو العباس أحمد بن الموفق بالله طلحة بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد الهاشمي العباسي ، ولد في أيام جده سنة ٢٤٢ هـ ، استخلف بعد عمه المعتمد سنة ٢٧٩ هـ ، وهو أحد من ولي الخلافة ولم يكن أبوه خليفة ؛ وهم : السفاح ، والمنصور ، والمستعين ، والمعتضد ، كان ظاهر الجبروت شديد الوطأة ، توفي سنة ٢٨٩ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ١٣: ٤٦٣ والوافي بالوفيات ٦: ٢٦٤ .

- عقيدته :

يعتبر منهج الزجاج العام في العقيدة منهجا سلفيا ، وعلى ذلك عدة علامات؛ فكلامه في كتابه معاني القرآن وغيره عند آيات كثيرة من آيات الصفات، وتقريراته في غير ذلك من قضايا العقيدة ؛ كالقدر ، ودخول الأعمال في مسمى الإيمان ، وحكم مرتكب الكبيرة ، كل ذلك جار على منهج السلف،كما أنه كان يرد على أهل البدع والأهواء كالرافضة والمعتزلة، وغير ذلك من العلامات، وقد شهد له غير واحد من أهل السنة أنه حسن الاعتقاد جميل المذهب[١]. وقد صرح هو بذلك، حيث دعا الله أن يحشره على مذهب الإمام أحمد بن حنبل .

إلا أنه وجد عند الزجاج عدة أخطاء في باب توحيد الأسماء والصفات، فأول عددا منها على غير طريقة أهل السنة والجماعة ، إلا أن ذلك قد يكون من غير قصد ، فلا يخرج بذلك - إن شاء الله - عن دائرة أهل السنة والجماعة .[٢]

- مكانته العلمية :

يعد الزجاج من أئمة النحو البصري المؤسسين ، قال عنه السمعاني : " كان من أهل الفضل والدين ، حسن الاعتقاد جميل المذهب، وله مصنفات حسان في الأدب"[٣].

وقال الذهبي : " وكان عزيزا على المعتضد ، له رزق في الفقهاء ، ورزق في العلماء ورزق في الندماء نحو ثلاث مئة دينار " [٤]، وهذا يدل على إمامه بعلوم شتى .

وصفه ابن عطية الأندلسي أنه من المبرزين في التفسير وأن كلامه فيه منخول [٥] .

وقال عنه الأزهري- وهو ممن اعتمد عليه في التفسير- في التهذيب : " وكان متقدماً في صناعته، بارعاً صدوقاً، حافظاً لمذاهب البصريين في النحو ومقاييسه " [٦].

---

(١) انظر : تاريخ بغداد ٦ : ٨٩ ، والأنساب لأبي سعيد السمعاني ٣ : ١٤١ .
(٢) لمزيد تفصيل في عقيدة الزجاج انظر : مناهج اللغويين في تقرير العقيدة ص : ٦٩٩ .
(٣) الأنساب ٣ : ١٤١ .
(٤) سير أعلام النبلاء ١٤ : ٣٦٠ .
(٥) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ١ : ٤٢ .
(٦) تهذيب اللغة ١: ٢٤ .

- شيوخه وتلاميذه :

تتلمذ أبو إسحاق الزجاج على يد علماء فضلاء أئمة ، وكان منهم العلماء في اللغة والنحو ، ومنهم العلماء في التفسير والقراءات ، فمن أبرز شيوخه في اللغة والنحو والأدب: أبو العباس الشيباني الملقب بثعلب إمام الكوفيين في النحو، وهو شيخه الأول ، وأبو العباس المبرد إمام اللغة البصري ، وقد تأثر به كثيرا ولازمه زمنا طويلا [١] ، ومن شيوخه في التفسير والقراءات: عبد الله بن أحمد ابن حنبل [٢] ، وإسماعيل ابن إسحاق القاضي[٣] وغيرهم كثير .

كما أن له تلامذة أفذاذا تخرجوا على يديه، ومن أبرز تلاميذه [٤]: أبو جعفر النحاس[٥]،وأبو العباس ولّاد [٦]، وأبو علي الفارسي [٧] ، وأبو القاسم الزجاجي [٨] وعلي

---

(١) انظر : وفيات الأعيان ١: ٤٩ .

(٢) نص على ذلك الزجاج في معانيه . انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ : ٨ . وعبد الله بن أحمد ابن حنبل أبو عبد الرحمن ولد سنة ٢١٣ هـ ، ثقة ثبت من علماء الحديث ، روى عن أبيه وابن معين وخلق ، وعنه النسائي وابن صاعد وخلق ، مات سنة ٢٩٠ هـ ، روى المسند عن أبيه ، وله الناسخ والمنسوخ ، وجوابات القرآن وغيرها . انظر : تهذيب التهذيب ٥ : ١٢٤ ، وطبقات الحفاظ ١ : ٢٩٢ .

(٣) هو أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد الأزدي مولاهم البصري الفقيه المالكي قاضي بغداد عالم متفنن ، وصاحب تصانيف ، ولد سنة ١٩٩ هـ سمع من محمد بن عبد الله الأنصاري ، ومسلم بن إبراهيم ، والقعنبي ، وغيرهم ، روى عنه أبو القاسم البغوي ، وابن صاعد ، والنجاد ، وغيرهم ، توفي سنة ٢٨٢ هـ ، له كتاب أحكام القرآن لم يسبق إلى مثله ، وكتاب معاني القرآن . انظر : سير أعلام النبلاء ١٣: ٣٣٩ ، والوافي بالوفيات ٩ : ٥٦ .

(٤) انظر : معجم الأدباء ١: ٦١٨ ، وطبقات المفسرين للداودي ١: ٧٢ ، وبغية الوعاة ١: ٣٨٦ ، ومعجم الأدباء ٢ : ٤١٤ .

(٥) وسيأتي الكلام عنه - إن شاء الله - مفصلا . انظر : ص : ٤٠ .

(٦) هو أحمد بن محمد بن الوليد والوليد يعرف بـ (ولاد) التميمي النحوي ، هو وأبوه وجده مشهورون بالعربية سمع من الزجاج وطبقته ، وكان الزجاج يفضله على النحاس ، توفي سنة ٣٣٢ هـ ، صنف الانتصار لسيبويه وله مناظرات مع النحاس . انظر : طبقات النحويين واللغويين ص : ٢١٩ ، ٢٢٠ ، والبلغة ١: ٦١ .

(٧) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان أبو علي الفارسي الفسوي ، من أئمة العربية ، عالم بعلوم القرآن ، وكان متهما بالاعتزال ، تخرج على ابن مجاهد وأبي بكر السراج وغيرهما ، أخذ عنه النحو خلق كثير كابن جني ، وأبي الحسن الربعي ، وغيرهما كثير ، مات سنة ٣٧٧ هـ ، له كتاب التذكرة ، وكتاب الحجة في القراءات وغيرهما . انظر : إنباه الرواة ص : ٢٧٣ ، والبلغة ١ : ٨٠ .

(٨) انظر: الأنساب ٣ :١٤٠. والزجاجي هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، البغدادي النهاوندي النحوي =

بن عيسى الرماني [١]، وغيرهم .

- مصنفاته [٢] :

للزجاج مصنفات كثيرة، وغالب مصنفاته في علوم اللغة والأدب ، لكن الكثير منها مفقود ، ومن مصنفاته ما هو مخطوط ، ومؤلفاته المطبوعة خمس: معاني القرآن وإعرابـ ـه، تفسير أسماء الله الحسنى - وهو متقدم على غيره من مؤلفات الزجاج، وهو من أقدم الكتب التي ألفت في بابه- وفعلت وأفعلت ، وما ينصرف وما لا ينصرف ، وخلْق الإنسان .

ب - كتابه (معاني القرآن وإعرابه) :

- مكانة الكتاب وقيمته العلمية واستفادة العلماء منه :

معاني القرآن وإعرابه من أشهر كتب الزجاج، وكان يعرف به، فيقال: الزجاج صاحب كتاب المعاني ، وقد أمضى في تأليفه قرابة ستة عشر عاما، قال الواحدي [٣]:" أما معاني القرآن للزجاج فلم يؤلف مثله " [٤] .

ويعد معاني الزجاج من أهم المصادر التي اعتمد عليها المفسرون وغيرهم ممن جاء بعده في التفسير اللغوي للقرآن الكريم ، كابن الجوزي في زاد المسير ، والأزهري اعتمد عليه في معجمه تهذيب اللغة فيما ورد فيه من التفسير كما نص هو على ذلك في مقدمة تهذيبه .

= نسب إلي الزجاج للزومه إياه، كما أخذ عن محمد بن العباس اليزيدي، وابن دريد وغيرهم، توفي عام ٣٣٧ هـ ، له الجمل الكبرى في النحو، واشتقاق أسماء الله. انظر: إنباه الرواة ص: ١١٩، ووفيات الأعيان ٣ :١٣٦.

(١) بغية الوعاة ٢ : ١٨٠. والرماني هو: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله النحوي أبو الحسن الرماني أصله مـن سر من رأى وولد ببغداد ، إمام في اللغة والنحو ، متفنن في علوم شتى ، وكان معتزليا منتصرا لهـذه البدعـة صاحب مصنفات فيها ، أخذ عن ابن السراج ، وابن دريد ، وغيرهما ، توفي سنة ٣٨٤ هـ ، له شرح كتاب سيبويه في سبعين مجلدا ، وكتاب الحدود وغيرها كثير . إنباه الرواة ٢ : ٢٩٤ ، والبلغة ١ : ١٥٤ .

(٢) انظر : وفيات الأعيان ١ : ٤٩ ، ونزهة الألباب لابن حجر ص : ٢٤٤ ، ومنـهج الزجـاج في اختياراتـه في التفسير لعادل العمري ص : ٧٣ .

(٣) هو علي بن أحمد بن محمد أبو الحسن النيسابوري الواحدي، اشتهر بالتفسير، توفي سنة ٤٦٨ هـ ، له التفاسير الثلاثة: البسيط ، والوسيط ،والوجيز . انظر : طبقات المفسرين للسيوطي ص : ٧٨،طبقات المفسرين للداوودي ص : ١٢٧ .

(٤) البرهان في علوم القرآن ٢ : ١٤٧ .

- منهج المؤلف في معانيه :

تميز معاني القرآن للزجاج عن بقية كتب المعاني وعن المنهج العام لها - حاشا معاني القرآن للنحاس - أنه يهتم بالتفسير بالمأثور ويحتفي به ويرجح به ، وقد جعله الزجاج أحد أهدافه في تأليف كتابه ، وقسيما لإعراب القرآن وبيان معانيه ، فقال في المقدمة : " وإنما نذكر مع الإعراب المعنى **والتفسير** " (١)

فكان يكثر في معانيه من قوله: وجاء في التفسير، وروي في التفسير، وإن لم يكن ينسب جميع الأقوال إلى أصحابها كما امتاز بذلك النحاس في معانيه . وكان يفسر القرآن بالقرآن، وبالحديث أحيانا ، بل وكان ينكر على غيره من أصحاب كتب المعاني عدم معرفتهم وعنايتهم بالرواية مما أوقعهم بالخطأ في التفسير (٢) .

وهذا المنهج الذي رسمه وحث عليه كان تجديدا وخطوة بارزة في كتب معاني القرآن (٣)، وقد صرح بهذا المنهج في معانيه بقوله : " وهو كتاب الله الذي لا ينبغي لأحد أن يقدم على تفسيره إلا **برواية صحيحة** وحجة واضحة " (٤) .

كما أنه يعتبر في المقابل من كتب التفسير اللغوي التي اعتمد أصحابها على اجتهادهم وحصيلتهم اللغوية ، فاهتم بقضايا اللغة على كافة مستوياتها حيث تعرض للمباحث الصوتية [والتي تكون منها علم التجويد فيما بعد]، وتعرض لتحليل المفردات القرآنية من ناحية المعنى والاشتقاق، وفيه عناية بالقراءات القرآنية، واللهجات العربية .

وهو يذكر كباقي كتب المعاني الأساليب العربية التي نزل بها القرآن الكريم موافقا للغة العرب، فيقول : العرب تفعل كذا وتقول كذا ، كما أنه يهتم بذكر المحتملات الدلالية للألفاظ القرآنية إذا احتملت أكثر من معنى كما يحاول الزجاج أن يوفق ويجمع بين آراء المفسرين وما توجبه اللغة ، ومما تميز به أنه كثيرا ما يدلي برأيه، ويناقش ويختار ويرجح - وقد فاقه في التوفيق بين أقوال السلف وأهل اللغة- في نظري- النحاس وهي ظاهرة بارزة

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١ : ١٨٥ .
(٢) انظر : المرجع السابق ٤ :٩١ ، ١ : ١٠٨ .
(٣) انظر : منهج الزجاج في اختياراته ص : ٩٠ .
(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢ : ٣٥٢ .

في معانيه .

وهو يعتني ببعض قضايا علوم القرآن الكريم كذكر أسباب النزول ، والمكي والمدني والناسخ والمنسوخ ، وغير ذلك . [١]

---

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج دراسة لغوية لخالد الجمعة ص : ٤٧ .

٥ - معاني القرآن للنحاس

أ - التعريف بالنحاس

- اسمه ونسبه ولقبه وكنيته [١] :

هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي، يكنى بأبي جعفر، ولقبه المشهور هو النحاس، وبعض كتب التراجم تذكر أنه يعرف بابن النحاس، وذكر بعضهم أنه يلقب بالصفار [٢] والأول هو الأشهر .

- مولده ووفاته [٣] :

ولد في مصر وبها نشأ ، وتلقى فيها مراحله التعليمية الأولى ، ورحل إلى بغداد لطلب العلم ، فالتقى بعلمائها في ذلك العصر أمثال : أبي إسحاق الزجاج ، والمبرد والأخفش الصغير ، وغيرهم ، والتقى بجماعة من علماء الحديث ، منهم أبو زرعة الرازي[٤]، وغيره فنهل من علمهم ، ثم عاد إلى مصر من بغداد مارا بالكوفة والأنبار والرملة واستفاد من العلماء الذين لقيهم هناك ، ولما عاد إلى مصر استكمل علومه فيها، فأخذ عن بعض علمائها : كالنسائي [٥]، والطحاوي [٦] وغيرهما ، حتى إذا تكاملت لديه أسباب العلم تصدر للتدريس فكان من أكابر العلماء بحق في ذلك المكان وتلك الحقبة من الزمن .

---

(١) انظر : إنباه الرواة ١ : ٣٦ ، وبغية الوعاة ١: ٣٦٢ .

(٢) انظر : البلغة ١ : ٦٤ .

(٣) انظر : البلغة ١ : ٦٢ ، ووفيات الأعيان ١ : ١٠٠ .

(٤) اسمه : عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ ، أحد أئمة الدنيا في الحديث مع الدين والورع ، سمع من محمد بن سابق ، وقرة بن حبيب ، وأبي نعيم وغيرهم ، وحدث عنه أبو حفص الفلاس ، وحرملة بن يحيى وإسحاق بن موسى الخطمي وغيرهم كثير ، توفي سنة ٢٦٤ هـ وقيل ٦٨ . انظر : الثقات ٨ : ٤٠٧ وتذكرة الحفاظ للذهبي ٢ : ٥٥٧ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ١ : ٢٥٣ .

(٥) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، الحافظ إمام أهل عصره في الحديث، ولد سنة ٢١٥ هـ بمدينة نسأ بخراسان ، سكن بمصر وتوفي بمكة وقيل بالرملة سنة ٣٠٣ هـ ، له السنن الكبرى وخصائص أمير المؤمنين علي ﷺ . انظر : تهذيب التهذيب ١ : ٣٢ ، وفيات الأعيان ١ : ٧٧ .

(٦) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحَجري المصري الحنفي ، الحافظ الفقيه، ولد سنة =

توفي بمصر في ذي الحجة سنة (٣٣٨ هـ) ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، وقيل سنة سبع وثلاثين .

ـ عقيدته :

كان أبو جعفر النحاس من نحاة أهل السنة [١] وقد تميز بمنهجه العقدي الذي انعكس على مصنفاته بشكل متميز ، فقد أبرز في معانيه وكتبه المختلفة عقيدة السلف في مواضـع كثيرة ، وغالبا ما يتتبع قول أهل السنة في المسائل فيقول : الذي عليه أهل السنة ، الـذي عليه أهل الحديث .

ومع أن هذا هو المنهج العام للنحاس إلا أنه لم يسلم من تأويل بعض الـصفات في باب توحيد الأسماء والصفات : كصفة الوجه ، والرحمة ، وصفة المحبة ، وصفة العين وجميع الصفات الواردة لله ﷻ مقرونة بما يقابلها من صـفات المخلـوقين كـالمكر، والخـداع والاستهزاء ، والسخرية . [٢]

- مكانته العلمية :

أشاد بمكانته غير واحد من أصحاب التراجم من أولئك القفْطي [٣] قـال :" كـان النحاس واسع العلم رزين الرواية كثير التأليف ".

ووصفه ياقوت [٤] بأنه (صاحب الفضل الشائع والعلم المتعارف الذائع يستغنى بشهرته

= ٢٣٩ هـ ، كان ثقة ثبتا فقيها ، انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة ، توفي سنة ٣٢١ هـ تقريبا ، لـه أحكام القرآن ، ومعاني الآثار ، وغيرهما . انظر : طبقات الحفاظ ١ : ٣٣٩ ، وطبقات الفقهاء لأبي إسـحاق الشيرازي ١ : ١٤٨ ، وسير أعلام النبلاء ١٥ : ٢٧ .

(١) انظر : تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ٣ : ٣٢٠ .

(٢) لمزيد من التفصيل في عقيدته انظر : مناهج اللغويين في تقرير العقيدة ص : ٣٦٩ .

(٣) هو علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى أبو الحسن القفطي ، يعرف بالقاضي الأكرم ، مـن الكتاب المبرزين ، والإخباريين ، ولد سنة ٥٦٨ هـ بقفط بمصر ، وتوفي بحلب سنة ٦٤٦ هـ ، لـه تـاريخ النحاة ، والمحلى في استيعاب وجوه كلا . انظر : بغية الوعاة ٢ : ٢١٢ ، والوافي بالوفيات ٢٢ : ٢١٠ .

(٤) هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس والمولد ، الحموي المولى ، البغدادي الدار ، يلقب بـشهاب الدين ، ولد سنة ٥٧٤ هـ ، كان عنده انحراف بسبب قراءته كتب الخوارج فتأثر بها ، توفي سنة ٦٢٦ هـ بحلب ، له معجم البلدان ، ومعجم الأدباء . انظر : وفيات الأعيان ٦ : ١٢٧ ، وإنباه الرواة ٤ : ٧٤ .

عن الإطناب في صفته) [١] ، ووصفه الذهبي [٢] بقوله : " وكان من أذكياء العالم" [٣] .

- شيوخه وتلاميذه :

من أبرز شيوخه أبو إسحاق الزجاج فهو شيخه الأول، لازمه زمنا طويلا وأكثر من الرواية عنه ، وكان يعتز به . كذلك نفطويه [٤]، والأخفش الصغير علي بن سليمان ، وقد روى عنه كثيرا [٥] ، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري [٦]، والطحاوي ، والنسائي ويعدا من شيوخه في الحديث ، [٧] وغيرهم .

ومن تلاميذه أبو بكر الأدفوي المفسر[٨]، والمنذر بن سعيد البلوطي قاضي القـضاة بالأندلس [٩] ، وغيرهم.

---

(١) معجم الأدباء ١ : ٦١٩ .

(٢) الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ابن الشيخ عبـد الله التركمـاني الفـارقي ثم الدمشقي الشافعي المعروف بالذهبي ، من أئمة العلم بالحديث وعلله ونقد الرجال ، ولـد سـنة ٦٧٣ هـ ـ بدمشق ، له مؤلفات نافعة ومن أحسنها : ميزان الاعتدال في نقد الرجال كما أثنى عليه هو نفسه ، ومن أطولها تاريخ الإسلام ، توفي عام ٧٤٨ هـ . تذكرة الحفاظ ١ : ٣٥ ، وفوات الوفيات ٢ : ٣٠٥ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٤٠١ .

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة العتكي الأزدي الواسطي يلقب بنفطويه ، ولد سـنة ٢٤٤ هـ ، من علماء العربية والحديث وهو فقيه ظاهري ، أخذ عن ثعلب والمبرد ، مات سنة ٣٢٣ هـ ببغـداد من مصنفاته : كتاب التاريخ ، وكتاب الرد على من قال بخلق القرآن . انظر: طبقات النحويين واللغويين ص : ١٥٤ ، والبلغة ١ : ٤٦ ، وبغية الوعاة ١ : ٤٢٨ .

(٥) سير أعلام النبلاء ١٥ : ٤٠١ .

(٦) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري البغدادي ، ولد سنة ٢٧١ هـ ، علامة نحوي لغـوي صدوق فاضل دين من أهل السنة ، توفي سنة ٣٢٨ هـ ، له كتاب غريب الحديث ، وشرح الكافي وغيرهـا كثير في علوم القرآن والحديث واللغة . انظر : طبقات النحويين واللغويين ص : ٢٠١ ، والبلغة ١ : ٢١٢ .

(٧) انظر : البداية والنهاية ١١ : ٢٢٢ ، والبلغة ١ : ٦٢ .

(٨) هو محمد بن علي بن محمد النحوي أبو بكر الأدفُوي ، مقرئ نحوي مفسر ، روى عن النحاس جميـع كتبـه توفي بمصر سنة ٣٨٨ هـ ، له كتاب في التفسير سماه : الاستغناء ، قيل : إنه مؤلف عظيم . انظـر : إنبـاه الرواة ٣ : ١٨٦ ، والبلغة ١ : ٢٠٧ ، وبغية الوعاة ١ : ١٨٩ .

(٩) هو منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن اليزيدي الكزني البلوطي أبو الحكم القاضي ، نحوي لغوي ،كان ثاقب الذهن غزير العلم، توفي سنة ٣٥٥ ،وقيل:٣٤٩ هـ، له في علوم القرآن كتب، منها: كتاب الأحكام =

- مصنفاته :

كان أبو جعفر النحاس من المكثرين في التأليف والتصنيف ، يكاد لا يترك بابا مـن أبواب الدراسات الإسلامية إلا طرقه وألف فيه كتابا ،وقد قُدرت كتبه بخمسين مصنفا [١]،

وقد ضم إلى كثرة التصنيف حسن التأليف ، وقد شهد له غير واحد بـذلك وأن مؤلفاتـه بديعة نافعة [٢]، قال السيوطي :" وقلَمه أحسن من لسانه ، وكان لا ينكر أن يسأل أهـلَ النظر، ويناقشهم عما أشكل في تصانيفه " [٣]، وهذا من تواضعه ، والذي يقرأ كتابه معاني القرآن يعلم ذلك .

ب - كتابه معاني القرآن

أ - مكانة الكتاب وقيمته العلمية :

قد يكون النحاس هو أول من فصل الإعراب عن التفسير في كتابه مـعاني القرآن، خلافا لصنيع من قبله ممن صنف في (معاني القرآن) التي هي حصاد مدرستي النحو البصرية والكوفية [٤]، فقد كانوا يضمون الإعراب إلى المعاني ، لذلك كان كتابه (معاني القـرآن) أكثرها ذكرا للمعاني والتفسير ، وقد نص على اعتماد النقل عن المتقدمين مـن الأئمـة في مقدمته [٥] ، يقول القفطي في وصف كتابيه المعاني والإعراب : " وهما كتابان جليلان أغنيا عما صنف قبلهما في معناهما " [٦] .

= وكتاب الناسخ والمنسوخ، وله خطب ورسائل بليغة . انظر: إنباه الرواة ٣ : ٣٢٥ ، ومعجـم الأدبـاء ١: ٦١٩ ، والبلغة ١ : ٢٢٦ .

(١) انظر : معجم الأدباء ١: ٦٢٠ .

(٢) انظر : البلغة ١ : ٦٤ ، والبداية والنهاية ١١ : ٢٢٢ .

(٣) انظر : بغية الوعاة ١ : ٣٦٢ .

(٤) انظر : التفسير اللغوي ص : ٢٦١ .

(٥) انظر : معاني القرآن للنحاس ١ : ٤٢ .

(٦) إنباه الرواة ١ : ١٣٦ طبعة دار الفكر العربي .

ويتميز معاني القرآن للنحاس بالسعة والشمول مع تقَدمه زمنا ، جمع فيه المؤلف مختلف الآراء - معزوة إلى قائليها في كثير من الأحيان - في مجال التفسير والنحو واللغة والفقه وغيرها ، مع حسن العرض وسلاسة الأسلوب، وظهور شخصيته وتمكنه، فهو إذا تكلم في أي فن من تفسير أو حديث أو لغة أو نحو أو عقيدة وجدته ذلك العالم الراسخ في ذلك الفن .

كما تميز بالعناية بالتفسير بالمأثور؛ فيفسر القرآن بالقرآن والسنة ، فهو كثيرا ما يستعين بالحديث ، ويرويه أحيانا بسنده ويعتني بالصحيح دون الضعيف ، وينقد الأحاديث الضعيفة، كما أنه ينقل أقوال السلف وأئمة التفسير ، وقد زين كتابه بنسبة الأقوال إليهم[1]، وكان يقدمها على التفسير بالرأي ، وهذا من منهجه الذي نص عليه؛ وأنه يذكر أقوال السلف في معنى اللفظة أو الآية ثم يعقبها بذكر أقوال الجلة من أهل اللغة ، ولا يقف عند هذا الحد، بل يحاول أن يوازن ويوفق بين أقوالهم، ثم يناقش الأقوال، وكثيرا ما يرجح .

كما أنه يعتني ببيان أساليب اللغة؛ كالحذف والاختصار، والتقديم والتأخير، وغيرها كما بين ذلك في مقدمته .

ومع الأسف فإن كتاب معاني القرآن للنحاس مع هذه المكانة فإن أجزاء كبيرة منه لا تزال مفقودة [2] .

---

(١) ويظهر استفادة النحاس واعتماده على تفسير الطبري في ذلك ، كما أفاد كثيرا من ترجيحاته ، كما هو ظاهر من الطبعة المحققة للصابوني ، حيث ينبه عند ترجيحات النحاس أنها أيضا ترجيح ابن جرير الطبري .

(٢) المفقود : من آية (١٨) من سورة البقرة إلى الآية (١٨٨) من السورة نفسها ، وكامل سورتي طه و مريم، ومن الحجرات إلى الناس .

الفصل الأول

أساليب الخطاب وأثرها في التفسير

ويشتمل على ستة عشر مبحثا :

المبحث الأول : الحذف وأثره .
المبحث الثاني : أسلوب إطلاق المفرد والمثنى والجمع كل واحد منها على الآخر وأثره .
المبحث الثالث : الكناية وأثرها في التفسير .
المبحث الرابع : أسلوب إجراء غير العاقل مجرى العاقل وأثره في التفسير .
المبحث الخامس : إتيان المذكر بلفظ المؤنث والعكس وأثره في التفسير .
المبحث السادس : المقدم والمؤخر وأثره في التفسير .
المبحث السابع : أسلوب القلب والتحويل وأثره في التفسير .
المبحث الثامن : أسلوب الالتفات وأثره في التفسير .
المبحث التاسع : أسلوب قصر لفظ الخبر لأشياء متعاطفة على بعض دون بعض .
المبحث العاشر : الخطاب بالمستقبل لأمر قد مضى والعكس وأثره في التفسير .
المبحث الحادي عشر : أسلوب إخراج الأمر مخرج الوعيد والتهديد وأثره في التفسير .
المبحث الثاني عشر : أسلوب الأمر بمعنى الخبر والخبر بمعنى الأمر .
المبحث الثالث عشر : أسلوب الاستفهام المراد به النفي أو الإيجاب وأثره في التفسير .
المبحث الرابع عشر : أسلوب الجزاء عن الفعل بمثل لفظه مع اختلاف المعنى .
المبحث الخامس عشر : الاسمان المصطحبان يضم أحدهما إلى صاحبه فيسميان جميعا به
المبحث السادس عشر: التكْنية عن الشيء الذي عرف اسمه وإن لم يجر له ذكر .

المبحث الأول

أسلوب الحذف وأثره في التفسير

أولا : لمحة عن أسلوب الحذف :

يعتبر الحذف من أهم أساليب اللغة التي يحتاجها من أراد فهم كتـاب الله تعـالى، ولا سبيل للكشف عن معانيه على وجه الكمال إلا به، وقد نص أصحاب كتب المعاني أنه من أساليب العربية التي استخدمها العرب في كلامهم وأشعارهم والتي جـاء بهـا القـرآن الكريم، فكانوا يقفون مع كثير من الآيات التي فيها حذف ويبينونه، وكثيرا مـا يقَـدرون المحذوف، وربما وضحوا هذا الأسلوب بالاستشهاد عليه من كلام العرب وأشعارهم .

ويعتبر أسلوب الحـذف أكثـر الأسـاليب العربيـة ورودا في القـرآن الكـريم بلا منازع [1]؛ لذلك كان له النصيب الأكبر من اهتمام العلماء والمفسرين والباحثين، وحق لهم ذلك .

وقد تناول العلماء أسلوب الحذف في القرآن الكريم في مسائل؛ أهمها :

أ - تعريفه لغة واصطلاحا .

ب - أنواعه وأقسامه .

ج - شروطه وضوابطه .

د - أغراضه وفوائده .

هـ - موقف العلماء والمفسرين منه .

وفيما يلي توضيح لهذه المسائل :

---

(١) هذا بناء على استقرائي للأمثلة في كتب المعاني .

أ - تعريف الحذف

الحذف لغة : يطلق الحذف في اللغة على عدة معاني [١] ، والذي يعنينا منها هنا هو الإسقاط والقطع .

أما الحذف اصطلاحا : فمن أحسن التعاريف التي وقفت عليها ما عرفه به الزركشي [٢] وهو : إسقاط جزء الكلمة أو كلها لدليل [٣]. وزاد بعض الباحثين (لغرض ما) [٤] .

وقد تضمن التعريف أهم مباحث الحذف ، فقوله في التعريف : (إسقاط جزء الكلمة أو كلها) دل على أنواع الحذف وأقسامه ، وقوله : (لدليل) نبه على شرط الحذف ، وقوله : (لغرض ما) تنبيه على أغراض الحذف وفوائده .

ب - أنواعه وأقسامه :

قسم العلماء الحذف بعدة اعتبارات ، لكن أهم تلك الاعتبارات والتي تجمع جميع أنواع الحذف هو تقسيمه باعتبار شكله وصيغته [٥] ، وهو ثلاثة أقسام :

١ - حذف الحرف .
٢ - حذف الكلمة .
٣ - حذف الجملة .

وكل قسم من هذه الأقسام يندرج تحته أنواع ، وهذه بعض الأمثلة من كلام أصحاب كتب المعاني توضح ذلك :

فمن أمثلة حذف الكلمة قول الفراء عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة : ٩٣] : " فإنه أراد : **حب** العجل ، ومثل

---

(١) منها : الرمي والضرب . ينظر : العين للخليل ٣ : ٢٠١ ، وتهذيب اللغة للأزهري ٤ :٢٧٠ ، ولسان العرب لابن منظور ٩ : ٤٠ .

(٢) هو محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي أبو عبد الله بدر الدين الموصلي الشافعي ، فقيه أصولي أديب ، ولد سنة ٧٤٥ هـ ، وتوفي سنة ٧٩٤ هـ له كتاب البحر في الأصول ، والبرهان في علوم القرآن . انظر : طبقات الشافعية ٣: ١٦٧ ، وطبقات المفسرين للداودي ١ : ٣٠٢ .

(٣) انظر : البرهان في علوم القرآن ٣ : ١٠٢ .

(٤) انظر : قواعد الترجيح لحسين الحربي ٢ : ٤٢٢ .

(٥) انظر : رسالة الحذف وأثره ص : ١٠٨ .

هذا مما تحذفه العرب **كثير** ، قال الله : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف : ٨٢]، والمعنى : سل أهل القرية ، وأهل العير ، وأنشدني المُفضل [١] :

حسِبت بغام راحلتي عناقاً : وما هي ويب غيرك بالعناقِ

ومعناه : بغام عناق " [٢] .

فأشار الفراء هنا إلى **حذف المضاف** ، وهو من أنواع حذف الكلمة ، وهو كما قال كثير .

ومن أمثلة حذف الكلمة قول النحاس : " وروى هشيم عن حصين عن أبي مالك[٣] ﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ [القصص : ٢٣] قال : تحبسان **غنمهما** حتى يفرغ الناس فتخلو لهم البئر ، قال أبو جعفر : وهذا قول بين ، يقال : ذاد يـذود ؛ إذا حـبس، وذدت الشيءَ : حبسته ، ثم يحذف المفعول ، **إما إيهاما على المخاطـب، وإمـا اسـتغناء بعلمه**، ومذهب قتادة أنهما كانتا تذودان **الناس** عن غنمهما " [٤] .

---

(١) هو المفضل بن محمد بن يعلى أبو عبد الرحمن الضبي الراوية الأديب النحوي اللغوي المقرئ من جلة أصحاب عاصم بن بهدلة، ومن أكابر علماء الكوفة، أخذ عنه ابن الأعرابي وأبو زيد الأنصاري وخلف الأحمر وغيرهم، توفي سنة ١٦٨ هـ . انظر : معرفة القراء الكبار ١ :١٣١، ومعجم الأدباء ٥: ٥١٥ . والبيت لـذي الخرق الطهوي قرط بن قرط، أخو بني سعيدة بن عوف بن مالك بن حنظلة بن طهية، جاهلي من فرسانهم، وقد لقب بلقبه من طهيه أكثر من شاعر. ينظر : لسان العرب ١٠ : ٧ ، وخزانة الأدب١ : ٦٠ . والبيت في تذكرة النحاة ص : ١٨ ، والزاهر في معاني كلمات الناس ٢ : ٩٥ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ١ : ٣٧٢ بلا نسبة ، ولسان العرب ١: ٨٠٦ مادة (ويب) و١٠ : ٢٧٥ مادة (عنق) ونسب إلى قريط و ١٢: ٥١ مادة (بغم) و ١٥ : ٨٠ مادة (عقا) . و(البغام) : صوت الإبل، و (العناق): الأنثى من المعز ،و(ويب غيرك) : مثل : ويبك ، بمعنى : ويلاً لك . انظر: تهذيب اللغة ١٥: ٤٣٩، ولسان العرب ١٠ : ٢٧٥ و ١٢: ٥١ .

(٢) معاني القرآن للفراء ١ : ٦١ ، ٦٢ .

(٣) هو هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي الواسطي أبو معاوية ثقة ثبت كثير التدليس ، مات سنة ١٨٣ هـ . انظر : تقريب التهذيب ١ : ٥٧٤ ، وتهذيب الكمال ٣٠ : ٢٧٢.

وحصين هو ابن عبد الرحمن السلمي أبو هذيل الكوفي ، ثقة ، مات سنة ١٣٦ هـ . انظر : تقريب التهذيب ١ : ١٧٠ ، والكاشف ١ : ٣٣٨ .

وأبو مالك هو غزوان الغفاري الكوفي ، مشهور بكنيته ، ثقة . انظر : تقريب التهذيب ١ : ٤٤٢ .

(٤) انظر : معاني القرآن للنحاس ٢ : ٨٩٣ .

وفي كلامه إشارة إلى حذف المفعول، وأن الحذف كان سببا في الخلاف كما سيأتي، وأيضا نبه هنا أن من حكم وأغراض الحذف الإيهام على المخاطب ، وهذا عكس الحكمة الأولى؛ وهي الاستغناء بعلمه فيخفف الكلام، وهذا كله من البلاغة .

ومن أمثلة حذف الجملة الفعلية حذف لفظ القول وفاعله ، وهو كثير أيضا في القرآن الكريم، وقد أشار إليه أبو عبيدة عند قوله تعالى : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾ [آل عمران : ١٩١] قال : " والعرب **تختصر** الكلام **ليخففوه لعلم** المستمع بتمامه ، فكأنه في تمام القول : **ويقولون** ربنا ما خلقت هذا باطلا " (١).

فجعل الفعل (يقولون) مقدرا في الآية ، كما نبه أبو عبيدة هنا على شرط الحذف والحكمة منه وهي اختصار الكلام وتخفيفه .

ومن أمثلة حذف الجملة وبيان شرط الحذف أيضا قول الفراء : " قوله : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾ [الأنعام: ٣٥] **فافعل مضمرة** ، بذلك جاء التفسير ، وذلك معناه ، **وإنما تفعله العرب** في **كل موضع يعرف فيه معنى الجواب** ؛ ألا ترى أنك تقول للرجل : (إن استطعت أن تتصدق) ، (إن رأيت أن تقوم معنا) ، يترك الجواب لمعرفتك بمعرفته به . **فإذا جاء ما لا يعرف جوابه إلا بظهوره أظهرته** ؛ كقولك للرجل : (إن تقم تصب خيرا) ، لا بد في هذا من جواب ؛ لأن معناه لا يعرف إذا طرح ." (٢)

وهذا النوع من حذف جواب الشرط ، وهو أيضا كثير في القرآن الكريم .

وقال الفراء أيضا في بيان حذف بعض الكلام الذي يكون في القصص :" قوله : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه : ٣٩] ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ ﴾ [طه : ٤٠] ذكر المشي وحده ، ولم يذكر أنها مشت حتى دخلت على آل فرعون فدلتهم على الظئر (٣)

---

(١) مجاز القرآن ١ : ١١١ .

(٢) معاني القرآن للفراء ١ : ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٣) الظئر هي : العاطفةُ على غيرِ ولدها المرضعةُ له . انظر : لسان العرب ٤ : ٥١٤ .

وهذا في **التنزيل كثير** ، مثل قولـه [تعـالى] : ﴿ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ ... ﴾ [يوسف : ٤٥ ، ٤٦] ولم يقل: فأرسل ، فدخل ، فقال يوسف ، وهو من كـلام العرب ، **تجتزئ بحذف كثير من الكلام وبقليله إذا كان المعنى معروفا** ." [١]

فهنا أكد الفراء على شرط الحذف ، وتكون الحكمة في أمثـال هـذا الحـذف في القصص هي الوصول إلى المطلوب وذكر موطن العبرة ، والحذف في قصص القرآن بكثرة كما قال الفراء . [٢]

وفي بيان أن الحذف يكون في بعض حروف الكلمة كما يكون في جميعهـا قـال الفراء :" قوله: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥] وهي في قراءة عبد الله[٣]: (ولسيعطيك ربك فترضى) والمعنى واحد، إلا أن (سوف) كثرت في الكـلام وعـرف موضعها **فترك منها الفاء والواو** ، والحرف إذا كثر فلربما فعل به ذلك، كما قيل : أيـش تقول ؟ وكما قيل : قم لا باك ، وقم لا بشانِئك ، يريدون : لا أبا لك ، ولا أبا لشانئك، وقد سمعت بيتا حذفـت الفاء فيـه من (كيف) ، قال الشاعر[٤] :

من طالبين لبعران لنا رفضت : **كيلا** يحسون من بعراتنا أثرا

أراد : كيف لا يحسون ؟ ، وهذا لذلك ." [٥]

وفي كلامه أن الحذف يكون في حروف المباني كما يكون في حروف المعاني وغيرها.

ومما تقدم من كلام أصحاب كتب المعاني نستنتج عدة أمور منها :

١. أن الحذف يطلق عليه أيضا مصطلح الإضمار والاختصار ويوصف بالطرح .

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢: ١٧٩.

(٢) هنا أطلق الفراء على طوي بعض أحداث القصة حذفا واجتزاء ، وقد لا يطلق عليه البعض حذفا وإنما يطلق عليه إيجازا واختصارا وإسقاطا لبعض أحداث القصة لعدم الحاجة إليه في هذا الموضع، أو لأن المعنى معروف من غير ذكر .

(٣) أراد عبد الله بن مسعود ﷺ ، وهكذا إذا أطلق (عبد الله) في كلام الفراء فإنه يعني به ابن مسعود ؛ لأن الفراء من أئمة النحو الكوفي وعامتهم على قراءة ابن مسعود .

(٤) البيت لابن أحمر في ديوانه ص : ٧١ . و (البعران) : بالضم جمع بعير ، ورفضت : يقال : رفضت الإبل إذا تفرقت في المرعى . انظر : لسان العرب ٧ : ١٥٧ ، وخزانة الأدب ٧ : ٩٩ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٣ : ٢٧٤ ، وهذا رأيه وقيل : إنها لغة ، وقيل : إن كي على الأصل بمعنى اللام .

٢. أن الحذف يكون للحرف - سواء أكان لمعنى أم لمبنى- ويكون للكلمة ، ويكـون للجملة قصيرة كانت أو طويلة كما في قصص القرآن .
٣. أن من فوائد الحذف تخفيف الكلام ، وقد يكون إيهاما على المخاطب وقد يكـون لمشاكلة رؤوس الآيات ، وقد يجتمع أكثر من سبب في الموطن الواحد .
٤. أن الحذف لا بد له من دليل، أو علم السامع له .

ج - شروط الحذف وضوابطه :

اشترط العلماء للحكم بوجود حذف في آية ما أو تقدير محذوف فيها أن يكـون في الكلام **دليل عليه** من لفظ أو سياق [١] ، وإلا لم يتمكن من معرفته فيكون اللفـظ مخـلا بالفهم . ثم بعد الحكم بوجود الحذف فلابد من أن يكون تقدير المحذوف **صحيحا ،** وهذا لا بد له من ضوابط ، وهي كما يلي **:**

١. أن الأصل هو الذكر والحذف خلاف الأصل[٢]، فإذا تردد الأمر بـين الحـذف أو عدمه حمل الكلام على عدمه .
٢. تقدير ما ظهر في القرآن الكريم أولى في بابه من كل تقدير .
٣. التقدير الموافق لغرض الآية وأدلة الشرع مقدم على غيره .
٤. إذا دار الأمر بين قلة المحذوف وكثرته كان الحمل على قلته أولى . [٣]

فهذه من أهم الضوابط التي يجب مراعاتها في الحذف وهي على ترتيبها فالأصل عـدم الحذف ، فإذا ثبت بالدليل أن هناك حذفا بحث في تقدير المحذوف بما في القرآن ، فـإن لم يوجد قدر المحذوف الأكثر موافقة لغرض الآية وأدلة الشرع ، فـإن تعـددت تقـديرات المفسرين وكانت موافقة لغرض الآية وأدلة الشرع نظر في أقلها تقديرا . [٤]

فيتحصل مما سبق أن الحذف ينظر فيه من ثلاث جهات :

الأولى : من جهة وجوده وهذا لا بد له من دليل .

---

(١) انظر في بعض أنواع أدلة المحذوف : الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن ص : ١٠٩ ، ١١٠ .
(٢) انظر : مغني اللبيب ص : ٥٦٧ ، والبرهان في علوم القرآن ٣ : ١٠٤ .
(٣) انظر : قواعد الترجيح ص : ٤٣٩ - ٤٤٨ .
(٤) انظر : المرجع السابق ص : ٤٤٤ . وانظر : كذلك كتاب : الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للعز بـن عبد السلام ص : ١- ١٨ وهو من المراجع الهامة في مبحث الحذف .

الثانية : من جهة تعيينه، وهذا يحتاج إلى ضوابط كما سبق . وهناك جهة أخرى هي :

الثالثة : من جهة سببه والغرض منه . والإشارة إليها فيما يلي :

د - فوائد الحذف وأغراضه :

من أهم أغراض الحذف في الكلام هو الإيجاز والاختصار، وهذا ما نص عليه أصحاب كتب المعاني كما سيأتي ، وهو من البلاغة في الكلام ، وهناك أغراض أخرى ذكرها العلماء أيضا منها على سبيل المثال :

١- قصد التعميم ، ومثاله : قوله تعالى :﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾ [الليل: ٥] فحذف هنا مفعول أعطى ليعم كل عطاء من ماله وجاهه وجهده وغير ذلك [(١)] .

٢- التفخيم والإعظام لما فيه من الإيهام لذهاب الذهن كل مذهب ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [الأنعام : ٢٧] حذف جواب (لو) حتى يذهب الذهن في تقدير سوء حالهم كل مذهب .

٣- تناسب رؤوس الآيات، وهذا من أغراض الحذف اللفظية، ومثاله : قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى : ٧] ولم يقل: فهداك . فهذا المثال لحذف مفعول (هدى) ، اجتمع فيه غرض لفظي وغرض معنوي ؛ فاللفظي ليوافق بقية رؤوس الآي حيث انتهت بالألف، والمعنوي ليتعدد المعنى، فيصلح أن يكون التقدير : فهداك وهدى بك [(٢)] .

هـ - مذاهب العلماء في التعامل مع أسلوب الحذف :

اختلفت مناهج العلماء ومذاهبهم في التعامل مع هذا الأسلوب على مذهبين :

---

(١) انظر : أضواء البيان ٨ : ٥٤٧ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٢٠ : ٩٧ . ولمزيد في معرفة هذه الأسباب وغيرها انظر: البرهان في علوم القرآن ٣ : ١٠٤ ، والإتقان في علوم القرآن ٢ : ١٥٣ .

الأول : مذهب الإفراط والإكثار من دعاوى الحذف، سواء احتاج النص إلى تقدير محذوف أم استقل النص واستقام المعنى من غير تقدير، كما فعل العز بن عبد السلام [١] في كتابه مجاز القرآن .

الثاني : مذهب الاعتدال : وهو مذهب يقوم على إثبات الحذف والتقدير في المواطن التي تحتاج إليه ، مع مراعاة ضوابطه وشروطه ، كما يقوم على نفي الحذف والتقدير في المواطن التي لا تحتاج إليه ولم يقم الدليل على إثباته . وأرى أن أصحاب كتب المعاني الخمسة من نهج سبيل الاعتدال في هذا الأسلوب .

ثانيا : أثر أسلوب الحذف في التفسير

كان لأسلوب الحذف - إضافة إلى ما تضمن من لفتات بلاغية عديدة- أكبر الأثر في التفسير ، وذلك يظهر في صور :

الصورة الأولى : ويظهر فيها أثر الأسلوب في فهم المعنى واتضاحه، والخلاف ، ومن أمثلتها قول الله تعالى : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾[محمد : ٢١]، قال النحاس : " قال مجاهد [أي في تفسير (عزم الأمر)] : أي جد الأمر، قال أبو جعفر : فالتقدير على هذا : فإذا جد الأمر بفرض القتال **كرهوا ذلك ، ثم حذف** " [٢] .

وقدر الفراء : **نكلوا وكذبوا، فلم يفعلوا** [٣].

فهنا حذف جواب الشرط لـ (إذا) في الآية ، وقدر الفراء والنحاس المحذوف بتقديرين كما سبق ، وهذا الحذف في الآية قد لا يتنبه إليه، فيظن أن جواب الشرط قوله

---

(١) هو عبد العزيز بن عبد السلام أبو محمد عز الدين الدمشقي الشافعي السلمي ، العلامة الفقيه المفسر، ولد سنة ٥٧٧ هـ أو ٥٧٨ ، كان ناسكا ورعا أماراً بالمعروف نهاءً عن المنكر ، توفي بمصر سنة ٦٦٠ هـ ، صنف القواعد الكبرى والصغرى ، وشرح الأسماء الحسنى وغيرها . انظر: فوات الوفيات ١ : ٦٨٣ ، وطبقات الشافعية ٢: ١٠٩ وطبقات المفسرين للداودي ١: ٢٤٢.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٦ : ٤٨١ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ١ : ٩٣ ، ٩٤ .

تعالى : ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [(١)] وبتقديره هنا يتضح المعنى ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن المعنى على التقديرين السابقين قد يبدو متقاربا ، إلا أن هناك فرقا ، فليس كل من كره شيئا نكل عنه ، فقد يفْعل الشيء وهو مكروه ، كما قال تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴾ [البقرة: ٢١٦] ، أما من نكل عن شيء فيدل على كراهيته له، فتقدير الفراء أبلغ من تقدير النحاس؛ إذ الأول يدل على الثاني وليس العكس لازما ، وبهذا يتبين كيف كان لهذا الأسلوب الأثر في فهم المعنى واختلافه باختلاف تقدير المحذوف .

الصورة الثانية : ويتبين فيها كيف ساعد الأسلوب على الخلاف في معنى الآية ، ومن أمثلتها قول الله ﷻ : ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ [الواقعة : ٩٠: ٩١] .

قال الفراء : " أي : فذلك مسلم لك **أنك** من أصحاب اليمين ، وأُلقيت (أنّ) وهو معناها [(٢)]... ومعناه : فسلام لك **أنت** من أصحاب اليمين " [(٣)] .

فهنا حكم الفراء بوجود محذوف في الآية تقديره : **(أنت)** أو **(أنك)** ، وبه يتضح المعنى ويبين ، وأن معنى حرف الجر ﴿ مِنْ ﴾ هنا للتبعيض ، وأن أصحاب اليمين هم المذكورون في الآية التي قبلها في قوله ﷻ : ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ .

وهذا القول مال إليه ابن جرير الطبري ، وهو معنى ما أخرجه هو عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في موضع آخر أنه قال في ذلك : تأتيه الملائكة من قبل الله تعالى تسلم عليه وتخبره أنه من أصحاب اليمين [(٤)].

---

(١) كما ذهب إليه بعضهم، وجعلوا (لو) جواب (إذا) . انظر : تفسير الجلالين ١: ٦٧٥ . وأكثر المفسرين على تقدير محذوف . انظر : تفسير الطبري ٢٦ : ٥٤، وزاد المسير ٧ : ٤٠٦ ، وتفسير القرطبي ١٦: ٢٤٤ .

(٢) أراد به أن كلمة (إن) وإن حذفت فمعناها مراد . انظر : عمدة القاري ١٩ : ٢٢٠ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣ :١٣١ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٧ : ٢١٣ ، ١٤ : ١٠١ .

وقد فهمت الآية فهما آخر ، وأن ﴿ مِنۡ ﴾ هنا ابتدائية ، وأصحاب اليمين هم إخوان المخاطب من أصحاب اليمين [١] ، وعلى هذا فلا حذف في الآية . وعلى كلا القولين السابقين يكون هناك حذف للقول ، أي : **فيقال له** : سلام لك ... .

أما الزجاج [٢] فله رأي آخر في الآية حيث جعل الكاف في قوله :﴿ لَّكَ ﴾ للنبي ﷺ ،وعليه لا حذف للقول ، والخطاب مستمر للنبي ﷺ ؛ ويكون المعنى على هذا إما تسلية للرسول ﷺ ، أو تعظيم لأمرهم ومدحهم [٣] ، وهنا أيضا قد يقدر محذوف ؛ لأن جواب الشرط لا بد أن يكون متفقا مع الشرط في صاحبه، والخطاب هنا قد حول الجواب إلى النبي ﷺ ﴿ فَسَلَٰمٞ لَّكَ ﴾ بعد أن كان لأصحاب اليمين في الشرط : ﴿إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴾ ، لكنه يدل عليه ، ويمكن تقديره : إن كان من أصحاب اليمين فإنه في سلامة وعافية فلا تهتم لهم يا محمد - والله أعلم - .

الصورة الثالثة : ويتبين فيها أثر الأسلوب في سعة معنى الآية وتعدد معانيها ، ومن أمثلتها قوله ﷻ :﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ [النساء : ١٢٧] .

الفعل (رغب) يتعدى بـ (عن) ويتعدى بـ (في) ، ويختلف معناه حسب متعلقه، فعلى الأول يكون معناه عدم إرادة الشيء ، وعلى الثاني يكون معناه إرادة الشيء ومحبته ، وهنا في قوله : ﴿ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ حذف متعلق الفعل (ترغبون) ليشمل الفعل كلا الاحتمالين ويتعدد معنى الآية .

---

(١) انظر : الكشاف ٤ : ٤٦٩ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٥ : ١١٨ .

(٣) انظر : المحرر الوجيز ٥ : ٢٥٤ ، وروح المعاني ٢٧ : ١٦٠ ، وفتح القدير ٥ : ١٦٢ .

قال النحاس : " ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ ولأهل اللغة في هـذا تقـديران : أحدهما : أن المعنى وترغبون **عن** أن تنكحوهن ، ثم حذفت (عن) ...، والقـول الآخـر وترغبون في أن تنكحوهن ، ثم حذفت (في) " [١] .

وزاد السعدي [٢] في شرح اختلاف المعنى على كلا التقديرين فقال : " وهذا إخبـار عـن الحالة الموجودة الواقعة في ذلك الوقت؛ فإن اليتيمة إذا كانت تحت ولاية الرجل بخسها حقها وظلمها ؛ إما بأكل مالها الذي لها ، أو بعضه ، أو منعها من التزوج لينتفع بمالها خوفا مـن استخراجه من يده إن زوجها ، أو يأخذ من صهرها الذي تتزوج به بشرط أو غيره ، هـذا إذا كان راغبا عنها [٣]، أو يرغب فيها وهي ذات جمال ومال ولا يقْسِط في مهرها ، بـل يعطيها دون ما تستحق ، فكل هذا ظلم **يدخل تحت هذا النص** ، ولهذا قال : ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ أي : ترغبون عن نكاحهن، أو في نكاحهن كما ذكرنا تمثيله " [٤] .

فهنا قد ظهر أثر الحذف واضحا ، فإنه **لما حذف حرف التعدية للفعل (رغـب) جعل لفظ الآية يتسع ويحتمل كلا المعنيين** ، فأعطى سعة للمفسرين في التوصل إلى كـلا المعنيين .

---

(١) معاني القرآن للنحاس ٢ : ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٢) هو عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي الناصري التميمي الحنبلي ، من فقهاء نجد وعلمائها المحققين ، ولد بعنيزة سنة ١٣٠٧ هـ ، معروف بالعلم وسعة الإطلاع ، والتحرر من التعصب والجمود وإتباع الدليل ، وحسن الخلق ، توفي عام ١٣٧٦ هـ ، له : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المعروف بتفسير السعدي ومنهج السالكين وتوضيح الفقه بالدين وغيرهما. انظر : روضة الناظرين لمحمد بن عثمان بن صالح ١ : ٢٢٠ وعلماء نجد للبسام ٣ : ٢١٨ .

(٣) وهذا الوجه متفق مع حديث عائشة - رضي الله عنها - في تفسير الآية ، قالت : وقَولُ الله تعـالَى في آيـة أُخرى : ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ [النساء: ١٢٧] رغْبةُ أحدكُم عن يتيمته حـين تكـونُ قَليلَـةَ الْمـالِ والْجمالِ، قالت : فَنهوا أَنْ ينكحوا عمن رغبوا في ماله وجماله في يتامى النساءِ إلا بِالْقسط من أَجلِ رغْبتهم عنهن إذا كُن قَليلَات الْمالِ والْجمالِ . انظر : صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب : تفسير سورة النساء ٤ : ١٦٦٨ ، برقم : (٤٢٩٨) .

(٤) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ١ : ٢٠٦ .

ومن أمثلة الصورة الثالثة في أثر الأسلوب في تعدد معاني الآية **أيضا** قوله ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأحقاف : ١٠] .

في هذه الآية حذف جواب الشرط ﴿ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ ، وتعددت أقوال المفسرين في تقدير الجواب ، وقد ذكر النحاس [(١)] تقديرين في الآية فقال : " قيل في الكلام حذف لعلم السامع به ، والمعنى : أرأيتم إن كان من عند الله وشهد شاهد من بني إسرائيل ممن تثقون به وتقفون على صدقه وعلمه على ما شهد النبي ﷺ وكفرتم به **أليس قد غُررتم وأتيتم أمرا قبيحا واجترأتم عليه ؟!** " ثم ذكر تقديرا آخر فقال :" ويجوز أن تكون الآية نزلت بمكة ، ويكون المعنى أرأيتم إن كان من عند الله وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله **أتؤمنون** " وهذا التقدير هو الذي اختاره الزجاج [(٢)] .

وبه يتبين كيف كان لتقدير المحذوف أثر في تعدد المعاني والخلاف في الآية . [(٣)]

الصورة الرابعة : وهي أثر الأسلوب في توجيه القراءات ، وأثره في تأويل آيات الصفات ومثاله قوله ﷻ : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ [الصافات : ١٢] .

ذكر النحاس معنى الآية على قراءة فتح التاء في قوله : ﴿ عَجِبْتَ ﴾ ، ثم ذكر قراءة الضم (عجبت) ورد على من أنكرها لثبوتها [(٤)] وصحة معناها ، وأثبت صفة العجب

---

(١) معاني القرآن للنحاس ٦ : ٤٤٢ - ٤٤٤ .
(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ : ٤٤٠ .
(٣) ذكر القرطبي تقديرا ثالثا وهو : أليس قد ظلمتم ، وهو قريب من الأول . انظر : تفسير القرطبي ١٦: ١٨٩ .
(٤) قرأ حمزة والكسائي : ((**بلْ عجِبت**)) بضم التاء ، والباقون بفتحها . انظر : التيسير في القراءات السبع ١: ١٨٦ ، وهذه القراءة اختارها الفراء ، وقال : إن معنى العجب من ربنا ليس كمعناه من العباد - لكن تكملة كلامه يفهم منها أنه يرى أنها على سبيل المقابلة والمجازاة وهو ما يعرف بالمشاكلة في علم البلاغة، وسيأتي الكلام عليه في مبحثه - أي جازيتهم على عجبهم ا.هـ . انظر : معاني القرآن للفراء ٢ : ٣٨٤ .

لله سبحانه وتعالى وأن معناها إنكار الله الشيء لقلته [١] ، ثم جوز وجها آخر في توجيه القراءة – وهو الشاهد للمبحث - فقال :" ويجوز أن يكون المعنى : **قل** بل عجبت " [٢] .

فقدر كلمة (قل) ليكون العجب للرسول ﷺ، وبهذا يصبح معنى القراءتين واحدا، وهذا وإن كان محتملا وفيه جمع وتوفيق بين القراءتين ، وقال به بعض العلماء [٣] إلا أن تقدير محذوف هنا خلاف الأصل، كما أنه لا داعي له هنا - والله أعلم- فإن اختلاف القراءات في المعنى معروف ، فهذا من باب اختلاف التنوع [٤]، وأيضا فإن صفة العجب ثابتة بالأحاديث الصحيحة ، كما أن هذا التخريج للقراءة قد يكون عونا لأهل التأويل لإنكار دلالة هذه القراءة على صفة العجب من ربنا جل وعلا .

ففي هذه الآية بيان لأثر الحذف في توجيه القراءات ، وأنه قد يكون أداة لتأويل آيات الصفات بتقدير محذوفات ليس عليها دليل كما هو معلوم .

الصورة الخامسة : وهي أثر الأسلوب في توجيه الآيات المشكلة .

ومثالها قول الله ﷻ : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٥] في هذه الآية إشكال ؛ يقول القائل : كيف يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأل رسلا قد مضوا ؟

أجاب عن هذا أصحاب كتب المعاني ، فقال الزجاج : " جاء في التفسير أن النبي ﷺ ليلة أسري به جمع له الأنبياء في بيت المقدس فأمهم وصلى بهم ، وقيل له : سلْهم ، فلم يشكك - عليه السلام - ولم يسل " [٥] .

فعلى هذا الوجه يبقى المعنى على ظاهره ولا إشكال ، ثم ذكر الوجه الثاني فقال: " ووجه ثان - وهو الذي أختاره - وهو أن المعنى : سل **أمم** من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون " .

---

(١) ومثل هذا الكلام للزجاج . انظر : معاني الزجاج ٤ : ٣٠٠ .
(٢) انظر : معاني القرآن للنحاس ٦ : ١٥، ١٦ .
(٣) كمكي ، وعلي بن سليمان ، والبيهقي . انظر : تفسير القرطبي ١٥: ٧٠ ، وروح المعاني ٢٣ : ٧٧ .
(٤) انظر : كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ١٣: ٣٩١ .
(٥) أخرجه مسلم بنحوه ، وليس فيه أنه أمر بسؤال الأنبياء . انظر : صحيح مسلم ١: ١٥٦، كتاب الإيمان ، باب : ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال برقم : (١٧٢).وابن جرير بمعناه. انظر: تفسير الطبري ٢٥ : ٧٨ .

فقدر محذوفا هنا وهو (أمم)، قال :" ويكون معنى السؤال ههنـا علـى جهـة التقرير" [١] أي : تقريرهم بأن الله تعالى لم يجعل من دونه آلة تعبد ، وقريب منه ما ذكـره الفراء والنحاس ، إلا أن النحاس نقل قولا آخر في تقدير المحذوف فقال : " وزعم ابن قتيبة أن التقدير : واسأل من أرسلنا **إليه** من قبلك **رسلا** من رسلنا، فقـدر (إليـه) ؛ لأن في الكلام دلالة عليه، وقدر أيضا (رسلا)؛ لأن (مِن رُّسُلِنَآ) يدل عليه " [٢] .

وذكره بصيغة التضعيف ؛ لأن الأول هو الراجح - وإن كان المعنى على التقـديرين واحدا - لأنه احتاج لتقدير كثير ، وكما تقدم في ضوابط الحذف إذا دار الأمر بـين قلـة المحذوف وكثرته كان الحمل على قلته أولى [٣] .

فيتبين في هذا المثال كيف ساعد أسلوب الحذف على توجيـه الآيـات المـشكلة والخلاف .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ : ٤١٣ ، وهذا ترجيح ابن جرير الطبري . انظر : تفسيره ٢٥ : ٧٨ .

(٢) انظر : معاني القرآن للنحاس ٦ : ٣٦٧ .

(٣) ذكر القرطبي تقديرا ثالثا في الآية ولم ينسبه إلى قائل وهو : سلنا يا محمد عن الأنبياء الذين أرسلنا قبلك، فقدر (عن) . انظر : تفسير القرطبي ١٦ : ٩٦ .

المبحث الثاني

أسلوب إطلاق المفرد والمثنى والجمع كلٌ على الآخر

أولا : لمحة عن الأسلوب

هذا الأسلوب أيضا من أساليب اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، وهو من الأهمية بمكان في فهمه ومعرفة معانيه ، وكان له الأثر الكبير في التفسير كما سـوف يتـبين في الأمثلة .

والمقصود بهذا الأسلوب : أن الكلمة التي لفظها لفظ الواحد (المفرد) مثلا قد يراد بها المثنى أو الجمع ، وقد تعطى حكمهما وتعامل معاملتهما ، بحيث تدل عليهما، أو يخبر عنها بخبرهما، أو توصف بوصفهما ، أو يشار إليها كما يشار إليهما، ونحو ذلك من أنواع التعامل ، وقُل مثل هذا في الكلمة المثناة والجمع، وليس بالضرورة أن تعامل كـل منـها بجميع صور التعامل لكن ببعضها، مع مراعاة أن الأصل في ذلك كله أن يدل اللفظ على ما وضع له فيطابق المعنى اللفظ، فالمفرد يدل على معنى مفرد، وكذلك المثنى والجمع [(١)] .

وقد نبه إلى ذلك أصحاب كتب المعاني ووضحوه واستشهدوا له بأبيات الشعر وكلام العرب ، وقد لا يناسب المقام ذكر جميع ما قالوا - وإن كان مفيدا - لكن أذكر حاصل ما ذكروا مع الاستشهاد بمقتطفات من كلامهم ، وبعض الكـلام يغـني عـن بعـض، فحاصل ما ذكروا أن هذا الأسلوب **ينتج عنه ست صور، وهي قسمة عقلية** :

١. أن يطلق لفظ الواحد ويراد به الجمع .
٢. أن يطلق لفظ الواحد ويراد به المثنى .
٣. أن يطلق لفظ المثنى ويراد به الواحد .
٤. أن يطلق لفظ المثنى ويراد به الجمع .
٥. أن يطلق لفظ الجمع ويراد به الواحد .

---

(١) انظر : ارتشاف الضرب لأبي حيان الأندلسي ١ : ٢٦٩ ، والأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ١ : ١٤٠ .

٦. أن يطلق لفظ الجمع ويراد به المثنى .

وأبين فيما يأتي الأحوال التي تكون لكل قسم مما سبق :

١ - ٢ - إطلاق لفظ **الواحد وإرادة المثنى أو الجمع** [١] :

ويستعمل هذا الأسلوب في أحوال :

أ - إذا كان الواحد اسم جنس فإنه يطلق كثيرا ويراد به الجمع .

قال أبو عبيدة : " والعرب تضع لفظ الواحد في معنى الجميع [أي الجمع] قال [٢] :

في حلْقكُم عظم وقد شجينا " [٣]

يريد : في حلوقكم عظام ؛ فأفرد لفظ (الحلق) و (العظام) وأراد بهما الجمع . ومنه قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ [غافر : ٦٧] أي : أطفالا .

ومن الأمثلة في دلالة الواحد على المثنى قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ ﴾ [ص : ٢١] ثم أعاد ذكر الخصم بعد ذلك بالتثنية فقال: ﴿ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [ص: ٢٢] مما يدل على أنه أراد بالخصم اثنين .

ب - إذا كان الجمع لغير العاقل معطوفا على الواحد غير العاقل فإنهما يوصفان ويخبر عنهما بلفظ المثنى، ويجعل الجمع كالواحد [٤] .

---

(١) جمعتهما في فقرة واحدة لأن المثنى - عند البعض – جمع، كما سيأتي .

(٢) البيت للمسيب بن زيد مناة. انظر: ديوان المتنبي٣ :٣٢٥، وكتاب سيبويه ١: ٢٠٩ ،والمقتضب ٢ : ١٧٢، وتهذيب اللغة ٢ : ٧٥ ، ١٨١، والمصادر الثلاثة الأخيرة لم تنسب البيت . وصدر البيت: لا تنكروا القَتلَ وقَد سيينا. و(شجينا) : نشبن واعترضن . انظر : العين ٦ : ١٥٦ مادة (شجو)، وتاج العروس ٣٨ : ٣٥٢ ، مادة (شجي) .

(٣) مجاز القرآن ١ : ٤٤ ، ٤٥ .

(٤) هذا معنى ما ذكره أبو عبيدة ، وقد ذكر عدة شواهد شعرية على هذا القسم . انظر : مجاز القرآن ٢ : ٣٦ ويمكن أن يكون أيضا حالا على إطلاق لفظ الواحد على الجمع ؛ لأن الجبال هنا جمع عوملت معاملة الواحد باعتبار الجنس، كما يمكن أن يكون مثالا على إطلاق المثنى على الجمع؛ لأن ﴿ فَدُكَّتَا ﴾[الحاقة: ١٤] مثنى والأرض والجبال جمع.

ومنه قول أبي عبيدة : " قوله : ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [الحاقة : ١٤] ولم يقل: فدككن؛ **لأنه جعل الجبال كالواحد** "[١] .

ج - الصفة : من اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة ، إذا تقدم على جمع .[٢]

تقول : مررت بالقرية الصالح أهلها ، كقولك التي صلح أهلها ، و تقول : مررت بشبابٍ حسنٍ أوجههم، وحسان أوجههم ، قال الشاعر[٣]:

وشبابٍ حسنٍ أوجههم : من إياد بن نِزارِ بن معد

ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ [النساء : ٧٥] ولم يقل: الظالمين[٤] .

د - المصدر إذا أخبرت به عن الاسم[٥] [جمعا كان أم مثنى] كما تقول : هؤلاء عدل، أي : عدول ، ومنه قوله : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي ﴾ [الحجر : ٦٨] أراد : أضيافي ؛ لأنهم جمع .

هـ - ما كان من الأسماء على صيغة (فَعول) و(فَعيل)[٦]، تقول العرب : (هم لي صديق)، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٦] أي : رسولًا،

---

(١) انظر : مجاز القرآن ٣ : ١٨١ ، وجعل منه أبو عبيدة قوله ﷻ : ﴿ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ [الأنبياء : ٣٠] . انظر : مجاز القرآن ٢ : ٣٦ .

(٢) لأن الصفة تقع موقع الفعل . انظر : معاني القرآن للفراء ٣ : ٢٨ ، ١٧١، ٢ : ٤١٠ و ٤١١ ومعاني القرآن وإعرابه ٢ : ٧٧ .

(٣) البيت للحارث وقيل الحرث بن دوس الإيادي ، وعزاه بعضهم لابن دؤاد الأنصاري ، وهو من شواهد الفراء في معانيه . انظر : معاني القرآن ٣ : ١٠٥ ، والمحرر الوجيز ٥ : ٢١٣ ، وتهذيب اللغة ١: ١٠٧ ، ولسان العرب ٨ :٧١ ولم ينسباه .

(٤) في هذه الأمثلة وإن كان كلمة : (الصالح) و (الظالم) و (الحسن) في الاصطلاح النحوي صفة لما قبلها من القرية والشباب، إلا أنها في المعنى صفة لما بعدها، وهما هنا الأهل والأوجه وهما جمع .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ : ٣٢٥ .

(٦) انظر : معاني الأخفش ١ : ٤٤٧ ، وقيده بعضهم بما إذا كان بمعنى مفعول لا فاعل . ذكر هذا القيد الألوسي ، لكن يرد عليه قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم: ٤]. انظر : روح المعاني ٢٦: ١٧٩ .

وقوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ ﴾ [الشعراء : ٧٧] أي : أعداء ، وقوله : ﴿ فَعِيدٌ ﴾ [ق : ١٧] أي: قعيدان ، و ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم : ٤] ولم يقل : ظهراء .

و - إذا كانت الكلمة معناها الجمع أو المثنى أو تصلح لهما ولفظها مفرد ، كـ (كل) و(كلاهما) و(من) الموصولة ، جاز الإخبار عنها بالإفراد مراعاة للفظ[1]، قال الشاعر[2] :

إن المنيةَ والحُتوف **كلاهما** : **يو**في المخارِم **يرقبان** سوادي

فعاد على (كلاهما) مرة بالإفراد ، فقال : يوفي ، ومرة بالتثنية ، فقال : يرقبان ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ [النمل : ٨٧] وفي قراءة : ((**أتاه دَاخرينَ**)) [3] ، فمن وحد فللفظ (كل) ، ومن جمع فلمعناها .

ز - أن يخبر عن الجمع بلفظ مفرد دالٍ على الجمع في المعنى :كالفريق والجميع والقبيل، فهذه ألفاظ مفردة، لكن معناها الجمع [4] ، ومثل هذا في القرآن كثير ، فمثلا يشار في مخاطبة الجمع بـ (ذلك) ؛ والكاف في الأصل لمخاطبة الواحد ، لكنه لما عاد على معنى (الجماعة) ولفظها مفرد صح ، قال الله تعالى :﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٠] والأصل: ذلكن على الله يسيرا .

---

(١) انظر : مجاز أبي عبيدة ٢ : ٣٨ ، ومعاني الزجاج ٤ : ١٣٠ .

(٢) هو الأسود بن يعفر النهشلي التميمي شاعر جاهلي . والبيت في ديوانه ص : ٢٦ ، وهو من شواهد أبي عبيدة في المجاز . انظر : ٢ : ٣٨ ، ٧٩ . قال محقق كتاب الصاحبي السيد أحمد صقر : قال ابن الأنباري في شرحه : يوفي : يعلو ، أوفيت على الجبل : علوت . المخارم : جمع مخرم ، وهو منقطع أنف الجبل ، يريد أن المنية والحتوف ترقبه وتستشرفه ، وسواده شخصه ا. هـ . الصاحبي ص : ٤٤٧.

(٣) نسبها ابن جني وغيره إلى قتادة . انظر : المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ٢ : ١٩٠ ، وتفسير القرطبي ١٣ : ٢٤١ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١ : ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

ح - أفعل التفضيل المخبر بها عن اثنين أو جمع يجوز أن تكون بلفظ الواحد إذا أضيفت إلى معرفة وقصد بها التفضيل [١] ، فيقولون للاثنين : هذان **أفضل** الناس ، وهذان خير الناس ، ويثنون أيضا ، قال الشاعر وهو يلوم ابنين له [٢] :

يا **أخبثَ** الناسِ كل الناسِ قد علموا : لو تستطيعان كنا مثلَ معضاد

فوحد ولم يقل : يا أخبثي ، وكلٌ صواب ، وقد أُتي بها - أعني هذه الحال - لتوجيه القول بأن قوله تعالى : ﴿ أَشْقَىٰهَا ﴾ [الشمس : ١٢] اثنان ، كما ورد في بعض أسباب النزول .

ي - إذا كان الواحد ليس له جمع من لفظه فيطلق على الجمع ، كالفُلْك للواحد والجمع .

قال أبو عبيدة : " ومن مجاز ما جاء لاجماع له من لفظه فلفظُ الواحد منه ولفظ الجميع سواء ، قال : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ [يونس : ٢٢] ، الفلك جميع وواحد " [٣] .

وفي كل هذه الأحوال لا بد من دليل على تحول الواحد عن دلالته [٤] .

٣ - إطلاق الجمع على الواحد وله أحوال منها :

أ - يعبر عن الواحد بلفظ الجمع اعتبارا بمن معه .

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ : ٢٦٨ ، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ : ١٥٥ .

(٢) لم أقف على قائل البيت ، وهو من شواهد الفراء في معانيه ٣ : ٢٦٨ ، ولم أجد من ذكره غيره . ومعضاد: المعضاد من السيوف الممتهن في قطع الشجر وما أشبه ذلك . انظر: لسان العرب ٣ ، ٢٩٤ مادة (عضد).

(٣) انظر : مجاز القرآن ١ : ١٠ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ : ٩٩ ، وقال الزجاج : وقد يجوز من التوحيد إذا كان في الكلام دليلا على الجمع . انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤ : ٩ . ولمزيد من المواضع التي أشار إليها أصحاب كتب المعاني على إطلاق المفرد على الجمع انظر : مجاز القرآن ١ : ٨ ، ومعاني القرآن للفراء ٢ : ٤ و ٥ ، ٢ : ٤١٠ ، ٤١١ ، ٢ : ٣٩١ ، ٣ : ١٨١ ، ٣ : ١٧١ ، ٣ : ١١٦ ، ١١٧ ، ٣ : ٩٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ١ : ١٥١، ١٥٦ ، ١ : ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢ : ٧٧ ، ٣ : ١٨٢ ، ١٨٩ ، ٤ : ١٣٠ ، ٤ : ٦٦ ، ٤ : ٨ ، ٩ ، ٥ ، ٨٦ ، ٤ : ٢٠٨ .

قال الفراء : " من سعة العربية أن يذهب بالرئيس : النبي والأمير وشبهه إلى الجمع ؛ لجنوده وأتباعه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل: ٣٥] وقد ذكروا أن رسولها كان واحدا " (١) .

ب - في خطاب العظيم أو المعظم نفسه .

قال الزجاج : " وهذا لفظ تعرفه العرب للجليل الشأن يخبر عن نفسه بما يخبِر به الجماعة " (٢) .

وقال الفراء : " يقول الرجل للفُتيا يفتي بها : نحن نقول كذا وكذا ، وهو يريد نفسه، فكذلك جاء الخطاب في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ [المؤمنون : ٩٩] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] والخالق الله وحده لا شريك له " (٣).

ج - أن يكون المراد من لفظ الجمع الجنس ، فيخبر به عن الواحد .

قال الفراء : " ألا ترى الرجل على البرذون (٤) فتقول : قد أخذت في ركوب البراذين ! " (٥) .

وقال الزجاج : " كما يقول الرجل للرجل ينفق الدرهم الواحد : أنت ممن ينفق الدراهم ، أي : ممن نفقته من هذا الجنس " (٦).

وقال الفراء أيضا : " وتخاطب الرجل فتقول : ما أحسنتم ولا أجملتم ، وأنت تريده بعينه " (٧).

---

(١) معاني الفراء ٢ : ٣٩١ . وقد أشار إلى نفس المعنى في مواضع أخرى من معانيه . انظر : ٢ : ٩٣ ، ٩٤ .
(٢) معاني القرآن للزجاج ٤ : ٢١ ، ٢٢ .
(٣) معاني القرآن للفراء ٢ : ٣٩١ .
(٤) البِرذَونُ من الخَيل ما ليس بعرابي . راجع : تاج العروس مادة (برذن) .
(٥) معاني القرآن للفراء ١ : ٤٢٦ ، ٤٢٧ .
(٦) معاني القرآن للزجاج ٤ : ٦٧ ، ٦٨ .
(٧) معاني القرآن للفراء ٢ : ٣٩١ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ١٧] على قول من قال: إنه الـ سجد الحرام وحده، كما سيأتي في الأمثلة - إن شاء الله تعالى - [١] .

٤ - إطلاق المثنى على الواحد، ومن أحواله :

أ - أمر الواحد بما يؤمر به الاثنان .

قال الفراء : " والعرب تأمر الواحد **والقوم** بما يؤمر به الاثنان ، فيقولون للرجل: قوما عنا...ألا ترى الشعراء أكثر شيء قيلا : يا صاحبي، يا خليلي، فقال امرؤ القيس[٢] :

خليلي مرا بي على أم جندبِ : نقَضي لُبانات الفؤاد المعذبِ

ثم قال :

ألم تر أني كُلّما جِئت طارقاً : وجدت بها طيباً وإنْ لم تطَيبِ

فقال : ألم تر ، فرجع إلى الواحد وأول كلامه اثنان " [٣] .

عنى بذلك قوله : (خليلي) وهو مثنى ، ثم خاطب بالإفراد ، فقال : (ألم تر) .

وجعل منه قول الله تعالى : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ [ق : ٢٤] أي : ألق[٤] .

ب - لمناسبة القوافي في الشعر قد تثنى الكلمة وهي لواحد .

قال الفراء : " أنشدني بعضهم [٥] :

---

(١) انظر: ص : ٧٢ من هذه الرسالة .

(٢) شاعر جاهلي ، من أشهر شعراء العرب ، يماني الأصل ، مولده بنجد ،كان أبوه ملك أسد وغطفان وخاله المهلهل الشاعر ، قُتل أبوه ، فأراد أن يثأر له ، فاستعان بملك الروم فبعث معه بجيش ثم ندم ، فأرسل إليه بحلة مسمومة وهو في طريقه فمات ودفن بأنقرة سنة ٥٤٠ م . ينظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة ١ : ١٠٥ - ١٣٦ ، ومعجم الشعراء ص : ٢٩ لعفيف بن عبد الرحمن . والبيتان في ديوانه ص : ٧١ . ولبانات : جمع لُبانة ، وهي الحاجة . ينظر : لسان العرب ١٣: ٣٧٧ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣ : ٧٨ ، ٧٩ .

(٤) قال الزجاج : " قالوا : إنما قيل ذلك ؛ لأن أكثر ما يتكلم به العرب فيمن تأمره بلفظ الاثنين نحو : خليلـي مرا بي على أم جندب... قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... وقال محمد بن يزيد : هذا فعل مثنى توكيدا كأنه لما قال : (قفا) معناه عنده : قف قف ، فناب عن فعلين فثُني " . معاني الزجاج ٥ : ٤٥ ، ٤٦ .

(٥) القائل هو خطام المجاشعي ، والبيت في تهذيب اللغة ٨ : ٢٤١ ، والبيان والتبيين ١ : ٩٦ ، وخزانة الأدب ٢: ٢٨٠ وغيرها ، وفي رواية عجز البيت خلاف . والمهمه : المفازة البعيدة ، والقَذَف : البعيد، والمَرت:=

ومهمين قَذَفَين مرتين : قطعته بالأم لا بالسمتين

يريد: مهمهاً وسمتاً واحداً ، وأنشدني آخر [١] :

يسعى بكيداءَ ولهذمين : قد جعلَ الأرطاةَ جَنتين

وذلك أن الشعر له قواف يقيمها الزيادة والنقصان ، فيحتمل ما لا يحتمله الكلام " [٢]

وجعل منها الفراء قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦] وقال: هي جنة، لكن عبر بالمثنى لتناسب رؤوس الآي! وسيأتي مزيد تفصيل في الأمثلة لبيان أثره في الشذوذ [٣] .

٥ - إطلاق لفظ المثنى على الجمع، ومن أحواله :

أ - أن العرب تأمر الجمع بلفظ المثنى ، والكلام فيه كالكلام على القسم السابق في إطلاق المثنى على الواحد [٤] ، فقد ذكره الفراء ، إلا أنه استشهد فقط لأمر الواحد بلفظ المثنى ، ولم يستشهد بمثال على أمر الجمع بلفظ المثنى [٥] .

= الذي لا نبات فيه . انظر : لسان العرب ١٣ : ٥٤٢ مادة (مهمه) ، و ٩ : ٢٧٧ مادة (قذف)، و ٢ : ٨٩ مادة (مرت) .

(١) وهذا البيت كذلك لخطام المجاشعي ، وهو شاعر إسلامي . انظر : خزانة الأدب ٧ : ٥١٤ ، قال الفراء : الكيداء : القوس ، ويقال: لهذم ولهذَم لغتان ، وهو السهم ا.هـ . معاني الفراء ٣ : ١١٨ . والأرطاة : شجر ينبت بالرمل ، لنوره رائحة طيبة ، وتستعمل عروقه في الدباغة . انظر : لسان العرب ٧ : ٢٥٤ مادة (أرط) ، والشاهد فيه قوله : جنتين ، يريد جنة ، فعبر عن المفرد بلفظ التثنية ضرورة .

(٢) معاني القرآن للفراء ٣ : ١١٨ .

(٣) انظر: ص : ٧٤ من هذه الرسالة . ويمكن أن يدرج تحت هذا القسم - إطلاق المثنى على الواحد - كل فعل نسب إلى شيئين وهو لأحدهما فقط ، نحو قوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٢٢] وإنما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب . انظر : الإتقان ٢ : ١٠٤ ، وسيأتي الكلام عنه بالتفصيل في المبحث العاشر بعنوان : قصر لفظ الخبر لأشياء متعاطفة على بعض دون بعض .

(٤) فقرة (أ) ص : ٦٧ .

(٥) وقد وقفت على مثال من الشعر عند ابن عاشور نسبه إلى القوال الطائي ، قال :

فقولا لهذا المرء ذو جاء ساعيا : هلُم فإنّ المَشرفي الفرائض

أي : فقولوا . انظر : التحرير والتنوير (الطبعة التونسية) ١١ : ٣ و ٢٧ : ٢٥٦ ، كذلك لم أجد لهذه الحال (خطاب الجمع بلفظ المثنى) مثالا من القرآن عند أصحاب المعاني، لكن لها مثال عند غيرهم قال=

ب - إذا كان الخبر عن اسمي جنس فيثنى باعتبار أنهما جنسان ،كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٣ - ٣٥] فثنى في :﴿ عَلَيۡكُمَا ﴾ ، وفي :﴿ تَنتَصِرَانِ ﴾ للفظ ، وجمع في قوله : ﴿ فَٱنفُذُواْۚ ﴾ [الرحمن: ٣٣] للمعنى .

٦ - إطلاق لفظ الجمع على المثنى : (١)

قال النحاس : " الاثنان جماعة ؛ واحد جمعته إلى آخر ، وقال [تعالى] : ﴿ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ ﴾ [طه : ١٣٠] يعني طرفيه - والله أعلم - وصلاة الاثنين جماعة " (٢)

وعليه فإن المثنى هو في نفسه جمع ، فلذلك كان إطلاق لفظ الجمع عليه مطابقا لمعناه ، لكنهم فصلوا في بعض المواطن التي يكون فيها التعبير عن المثنى بالجمع هو الأولى والأفصح (٣) .

فهذه الأقسام بأحوالها موجودة في القرآن الكريم إلا القسم الخامس في إطلاق المثنى على الجمع، فليس له مثال عند أصحاب كتب المعاني ، إلا أن أشهرها وأكثرها أثرا الأول

= السيوطي : " ومثال إطلاقه [أي المثنى] على الجمع قوله : ﴿ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ ﴾ [الملك : ٤] أي: كرات؛ ولأن البصر لا يحسر إلا بها ، وجعل منه بعضهم قوله : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ﴾ [البقرة: ٢٢٩] " . انظر: الإتقان للسيوطي ٢ : ١٠٥ .

(١) انظر : مجاز القرآن ١: ٩ .

(٢) معاني النحاس ٢ : ٣٢ .

(٣) فمن تلك المواضع ، قالوا : كل شيئين من شيئين فهو جماعة . انظر : معاني الأخفش : ٤٣٦ - ٤٣٨ على خلاف ، وانظر معاني القرآن للزجاج ٢ : ١٧٢ ، ١٧٣ ، ومعاني القرآن للفراء ١ :٣٠٦- ٣٠٨ يقال : قد هشمت رؤوسهما وملأت ظهورهما وبطونهما ضربا . وكذلك يقال للرجلين : خليتما نساءكما، وأنت تريد امرأتين ، وقد خرقتما قُمُصكما . وسمع عن العرب : وضعا رحالهما ، أي : رحلي رحالهما، ومثله قوله تعالى : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا ﴾[التحريم : ٤] ،ولم يقل: قلباكما ، والحكمة في ذلك كراهة وثقل توالي مثنيين في كلمة واحدة .

وذلك في أسماء الأجناس التي لفظها لفظ الواحد ، وقد يراد بها الجمع، كما سيتـضح في الأمثلة الآتية :

ثانيا : أثر أسلوب إطلاق الواحد والمثنى والجمع كل واحد منها على الآخر

لا شك أن إطلاق الواحد والمثنى والجمع كل منها على الآخر أعطـى سـعة في دلالتها واستعمالها ، فكان له الأثر البالغ في التفسير ، لاسيما إطلاق الواحد على الجمـع منها ، وهذه الآثار تتمثل في عدة صور :

الصورة الأولى: وفيها يتبين أثر الأسلوب في وضوح المعنى وتجليه، ومثاله قولـه تعـالى:

﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المؤمنون : ٦٦ – ٦٧].

قال أبو عبيدة : " مجازه : تهجرون سامراً ، وهو من سمر الليل... **و (سامر)** في **موضع (سمار) ،** بمنزلة طفل في موضع أطفال " (١)

فسامر مفرد أريد به الجمع أي : (سمار) ، فيكون معنى الآية علـى قـول أبي عبيدة:﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ ﴾- أي : بالحرم - سمارا تهجرون ، وبه يتضح معنى الآية على هذا القول .

الصورة الثانية : وفيها يظهر أثر الأسلوب وكيف ساعد على الخلاف في معنى اللفظـة القرآنية ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ [النجم: ١].

قال أبو عبيدة : " والنجم : **النجوم** ؛ ذهب إلى لفظ الواحد وهو في معنى الجميع ، قـال راعي الإبل (٢) :

---

(١) انظر : مجاز القرآن ٢ : ٦٠ ، وهذا هو قول الزجاج . انظر معانيه : ٤: ١٨، أما النحاس فقال : " قـال أبو العباس : يقال للجماعة يجتمعون للحديث : (سامر) و (سمار) فسامركما تقول : باقر لجماعة البقـر وجامل لجماعة الجمال ". انظر : معانيه ٤ : ٤٧٥ . فسامر هو على رأي أبي العباس اسم جمع في الأصل . إلا أن تفسيره على قول أبي عبيدة والزجاج أوضح والله أعلم .

(٢) هو عبيد ، وقيل : حصين بن معاوية من بني نمير أبو جندل ، لقب بالراعي لوصفه راعي الإبل في شعره أو=

وباتت **تَعد النجمَ** في مستحيرة : سريعٍ بأيدي الآكلين جمودها " [١]

وقال الطبري [٢] : " اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ فقال بعضهم : عني بالنجم الثريا ... وقال آخرون : معنى ذلك : والقرآن إذا نزل ... وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول : عنى بقوله :﴿ وَٱلنَّجۡمِ ﴾: والنجوم...، والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله مجاهد [٣] من أنه عنى بالنجم في هذا الموضع الثريا ، وذلك أن العرب تدعوها النجم ، والقول الذي قاله من حكينا عنه من أهل البصرة **قولٌ لا نعلم أحداً من أهل التأويل قاله، وإن كان له وجه** " [٤] .

= لكثرة وصفه الإبل ، وهو من فحول الشعراء ، وهو المعني ببيت جرير : فغض الطرف إنك من نمير ... توفي في حدود التسعين للهجرة وقيل بعد المائة . ينظر : الشعر والشعراء ١ : ٤١٥ ، ونزهة الألباب في الألقاب١: ٣٢٠ ، والوافي بالوفيات ١٩ : ٢٨٣ . والبيت في ديوانه ص : ٩٢ . والمستحيرة : هي الجفنة الكثيرة الدسم . ينظر : أساس البلاغة للزمخشري ١: ١٤٩ ، والمعنى: أن هذه الجَفْنة ترى فيها نجوم السماء لصفائها وكثرة دسمها .

(١) انظر : مجاز القرآن ٢ : ٢٣٥ ، وأما الفراء فيرى أنه قسم بالقرآن ، لأنه كان ينزل نجوما ؛ الآية والآيتان . انظر : معانيه ٣ : ٩٤ ، والزجاج ذكر الخلاف ولم يرجح . انظر : معانيه ٥ : ٦٩ .

(٢) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري ، رأس المفسرين وأحد الأئمة ، ولد بآمل سنة ٢٢٤ هـ ، ونزل بغداد ، وكان أولا شافعيا ثم انفرد بمذهب مستقل ، له أتباع ومقلدون ، مات سنة ٣١٠ هـ ، له من التصانيف : تهذيب الآثار ، وتاريخ الأمم والملوك وغيرهما . انظر : طبقات المفسرين للداودي ١ : ٤٨ ، وطبقات المفسرين للسيوطي ١ : ٩٦ .

(٣) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى السائب المخزومي المكي المقرئ ، من أئمة مفسري التابعين ، قرأ على ابن عباس – رضي الله عنهما - وصحب ابن عمر – رضي الله عنهما - مدة كثيرة ، وأخذ عنه ، وحدث عنه قتادة ، وعمرو بن دينار ، وغيرهم ، قال قتادة : أعلم من بقي بالتفسير مجاهد ، توفي بمكة سنة ١٠٣هـ وقيل غير ذلك . انظر : تهذيب التهذيب ١٠: ٣٨ ، وطبقات المفسرين للداودي ١ : ١١ .

(٤) تفسير الطبري ٢٧ : ٤٠ ، هكذا وصف الطبري قول أبي عبيدة مع أن هذا القول قد روي عن بعض السلف قال ابن الجوزي - وهو يعدد الأقوال في الآية - : والرابع : نجوم السماء كلها ، وهو مروي عن مجاهد أيضا، وعزاه ابن عطية إلى الحسن ا.هـ انظر : زاد المسير ٨ : ٦٣ ، وقد رجح هذا القول السعدي في تفسيره ،قال : والصحيح أن النجم اسم جنس شامل للنجوم كلها ا.هـ . تفسير السعدي ص : ٨١٨ .

قلت : فتأمل كيف كان هذا الأسلوب واحتمال اللفظ أن يكون مفردا وجمعـا سببا في نشوء هذا القول، وسببا في تعدد الأقوال واحتمال الآية أكثر من معنى، ومـن ثم أدى ذلك إلى الخلاف .

الصورة الثالثة : ويظهر فيها أثر الأسلوب في توجيه القراءات مع ما يتناسب مـع قـول المفسر ، ومثالها قوله تعـالى :﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ١٧].

قال الفراء : " وهو يعنى **المسجد الحرام وحده** " وأيد هذا القول بالقراءة الأخرى في الآية فقال : " وقرأها مجاهد وعطاء بن أبى رباح [(١)] : (مسجِد الله) [(٢)] " ثم ذهـب يوجه ويجيب عن قراءة الجمع (مساجد) مستعينا بأسلوب إطلاق الجمع على الواحـد فقال :" وربما ذهبت العرب بالواحد إلى الجمع ، وبالجمع إلى الواحد ؛ ألا ترى الرجـل على البِرذَون فتقول : قد أخذت في ركوب البراذين ... وكذلك قول العـرب : عليـه أخلاق نعلين وأخلاق ثوب ؛ وأنشدني أبو الجراح العقَيلي [(٣)] :

جاء الشتاءُ وقميصى أخلاق : شراذم يضحك منه التـواق " [(٤)]

والشاهد من البيت قوله : (أخلاق) أراد : خلق ، أي : متقطّع بالي ، فعبر بلفظ الجمع عن الواحد .

---

(١) هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلَم القرشي مولاهم ، من أجلاء التابعين وفقهائهم ومفتي الحرم ، روى عن جابر وابن عباس وابن عمرو - رضي الله عنهم - وغيرهم ، وروى عنه : عمرو بن دينار ، والزهري وغيرهما ، توفي سنة ١١٥ وقيل ١١٤ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ٧ :١٨٠ ، وسير أعلام النبلاء ٥ : ٧٨ ، وطبقات المفسرين للداودي ١: ١٤ .

(٢) وهي قراءة سبعية قرأ بها : ابن كثير ، وحماد ابن أبي سلمة ، وعاصم الجحدري . انظر : السبعة لابن مجاهد ص : ٣١٣ ، وتفسير البحر المحيط ٥ : ٢٠ .

(٣) لم أتمكن من تعيينه . والبيت في العين ٦: ٣٠٢ مادة (شرذم) ، والزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري ١ : ٢٢ ، ولسان العرب ١٠ : ٣٣ ، مادة (توق) و١٠ : ٨٩ مادة (خلق) و ١٢: ٣٢٢ مادة (شرذم) ، وتاج العروس ٣٢ : ٤٦٤ ، وخزانة الأدب ١: ٢٣٣ ، قال مؤلفه : و (التواق) بفتح التاء المثناة الفوقية وتشديد الواو اسم ابن الشاعر ذكره الفراء وغيره ا.هـ .

(٤) معاني القرآن للفراء ١ : ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

وهذا ما ذهب إليه الزجاج [١] ولم يذكر القول الآخر .

وذكر النحاس القولين ، وقال : " والقراءة (مساجد) أصوب [٢] ؛ لأنه يحتمل المعنـيين [أي المسجد الحرام وجميع المساجد] وقد أجمعوا على قراءة قوله : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾[التوبـة: ١٨] على الجمع " [٣].

وبه يتبين كيف كان لهذا الأسلوب أثره في توجيه القراءات بما يوافق ما ذهب إليه فمن قال : إن المراد بالمساجد عموم المساجد احتاج أن يوجه قراءة الإفراد (مسجد الله) فقال : هي من باب إطلاق الواحد على الجمع ، ومن قال : هو المسجد الحـرام وحـده احتاج أن يوجه قراءة الجمع بما يتناسب مع قوله فقال : هو من باب إطلاق الجمع علـى الواحد ، والله أعلم .

الصورة الرابعة : وهي أثر الأسلوب في تعدد احتمال مرجع الضمير وتعدد معنى الآيـة والخلاف، ومثالها في قوله تعـالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧]. قد يتبادر إلى الذهن عند قراءة الآيـة أن قولـه : ﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ خطاب كفارِ قوم نوح للأراذل - على زعمهم - لكن يرى الفراء أن الخطاب هنا لنوح عليه السلام **وحده** .

قال الفراء: " وقوله :﴿ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ مثل قوله :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [الطلاق: ١]" ثم عللَ قوله، فقال :" لأنهم كذبوا نوحا وحده، وخرج على جهة الجمع"[٤] .

---

(١) انظر : معاني القرآن للزجاج ٢ : ٤٣٧ .

(٢) لم يجوز العلماء الترجيح بين القراءات السبعية لثبوتها عن النبي ﷺ وما جاء عن العلماء من التفضيل والترجيح بينها فهو لاعتبار معين عنده؛ كظهور الوجه الإعرابي، أو كثرة المعاني، أو كونها أشهر، وغيرها من الاعتبارات. انظر : إعراب القرآن للنحاس ٥ : ٦٢ ، ٢٣١ ، التحرير والتنوير ص : ٦٠.

(٣) معاني القرآن لنحاس ٣ : ١٩١ . فائدة : قال القرطبي : "وقال الحسن : إنما قال: (مَسَٰجِدَ) وهو المـسجد الحرام ؛ لأنه قبلة المساجد كلها " . انظر : تفسير القرطبي ٨ : ٨٩ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢ : ١١ .

وهذا اختيار الطبري [١] ، ومع ذلك فإن كثيرا من المفسرين ذكروا أن الآية تحتمل معنيين :

الأول : أنه خطاب لنوح عليه السلام وحده ، وعللوا بأن الواحد قد يخاطب خطاب الجمع .

الثاني : أن الخطاب لأتباع نوح عليه السلام وحدهم . [٢]

والمعنى مختلف على القولين ، فعلى الأول يكون المعنى : تكذيب نوح عليه السلام في دعوى الرسالة ، وعلى الثاني يكون : تكذيب قومه في صدق إيمانهم واتباعهم ، وهذا المعنى قد يكون مناسبا لقول من قال: إن (بَادِىَ ٱلرَّأۡيِ) بمعنى : ظاهر الرأي، وباطنهم على خلاف ذلك - والله أعلم - .

وهكذا يتبين كيف كان لهذا الأسلوب أثره في إرجاع ضمير الجمع إلى مفرد، وبه يتعدد المعنى ويتسع وتصبح الآية لها أكثر من وجه .

الصورة الخامسة : أثر الأسلوب في الشذوذ في التفسير ، ومثالها في قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

قال الفراء :" ذكر المفسرون : أنهما بستانان من بساتين الجنة ، **وقد يكون** في **العربية : جنة؛ تثنيها العرب** في **أشعارها** ؛ أنشدني بعضهم :

ومهمين قَذَفَين مرتين : قطعته بالأم لا بالسمتين

يريد : مهمهاً وسمتا واحدا ، وأنشدني آخر :

يسعى بكَيداء ولِهْذمين : قد جعل الأرطاةَ جنتين

وذلك أن الشعر له قواف يقيمها الزيادة والنقصان ، فيحتمل ما لا يحتمله الكلام " [٣]

وقد أنكر العلماء على الفراء هذا القول ، ومن أنكر عليه النحاس ، وابن قتيبة ،كما

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٢: ٢٧ ، ٢٨ وذكر نحوا من كلام الفراء .

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٣: ١٦٤، وتفسير ابن كثير ٢: ٤٤٣، والتفسير لكبير ١٧: ١٧٠، وفتح القدير٢: ٤٩٣ .

(٣) معاني القرآن للفراء : ٣ : ١١٨ ، قال الفراء : الكيداء : القوس ، ويقال : لهذم ولهذَم لغتان ، وهو السهم .

نقله عنهما القرطبي [١] في تفسيره ، قال : " وقال الفراء إنما هي جنة واحدة، فثنى لرءوس الآي ، وأنكر القتبي هذا، وقال : لا يجوز أن يقال خزنة النار عشرون، إنما قال تسعة عشر لمراعاة رؤوس الآي ، وأيضا قال : ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ [الرحمن : ٤٨] " أي : فعبر بالتثنية وليس لـ ﴿ ذَوَاتَآ ﴾ تأثير على رؤوس الآي،مما يؤكد أن المراد حقيقة التثنية، ثم قال القرطبي :" وقال أبو جعفر النحاس: قال الفراء : قد تكون جنة فتثنى في الشعر، وهذا القول **من أعظم الغلط** على كتاب الله ﷻ ،يقول الله ﷻ : ﴿ جَنَّتَانِ ﴾ ويصفهما بقوله: ﴿ فِيهِمَا ﴾ فيدع الظاهر ويقول يجوز أن تكون جنة ويحتج بالشعر " [٢] .

وقد نسب إلى الفراء قولٌ آخر في الآية؛ وأن المراد بقوله : ﴿ جَنَّتَانِ ﴾ الجمع، أي: جنات ، وأنه عبر عن الجمع بالمثنى للفاصلة أيضا ، وتكون التثنية هنا يراد بها التعدد، كما في قوله تعالى : ﴿ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ [الملك: ٤] [٣] .

فهذا مثال يتبين به ما لهذا الأسلوب من أثر في الشذوذ في التفسير ، والقول هذا يستغرب من الفراء مع وضوح الآية، وقول الرسول ﷺ في تفسيرها : **((جَنَّتَان من فضة آنِيَتهمَا وما فيهمَا ، وَجَنَّتَان من ذَهَبٍ آنِيَتهمَا وما فيهمَا ... الحديث))** [٤].

---

(١) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي ، توفي بمنية بني خصيب من الصعيد الأدنى بمصر سنة ٦٧١ هـ ، له تفسير الجامع لأحكام القرآن، وكتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة . انظر : طبقات المفسرين ١: ٩٢ ، وطبقات المفسرين للداودي ١: ٢٤٦ .

(٢) تفسير القرطبي : ١٧: ١٧٧ .

(٣) انظر : الإتقان في علوم القرآن ٢: ٢٦٨ - ونسب النقل لابن الصائغ - والتحرير والتنوير ٢٧ : ٢٦٥ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير ، باب قوله: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٢]، ٤ : ١٨٤٨، برقم : (٤٥٩٧) ، وباب: قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢]، ٦: ٢٧٠٣ ، برقم : (٧٠٠٦) ، ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : إثْبات رؤية الْمؤمنِين في الْآخرة ربهم سبحانه وتعالى ١ : ١٦٣ ، برقم : (١٨٠) .

ومثالها أيضا في ظهور أقوال ضعيفة والشذوذ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦].

قال الفراء : " وقوله : ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ ﴾ ذكروا أن موسى عليه السلام الذي قال له ذلك ؛ لأنه من قومه، وإن كان على غير دينه، **وجمعه هاهنا وهو واحد** كقول الله [تعالى] : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] وإنما كان رجلا من أشجع" (١).

فهنا جعل الفراء ﴿ قَوۡمُهُۥ ﴾ من الجمع الذي عنِي به الواحد، فَنسِب فعلُ الواحد إليه ، وهذا وإن كان محتملا لغة لكنه مردود تفسيرا ؛ لأنه مخالف لظاهر الآية من غير دليل ، ومخالف لأقوال أهل التفسير، فلم أجد من قال به منهم ، إلا من ذكره بصيغة التضعيف (٢)، أو ردا عليه .

وكان ممن أنكره النحاس، قال : " ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ ﴾ تأوله الفراء على أن موسى ﷺ هو الذي قاله له وحده فجمع ، ومثله عنده : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ وإنما هو نعيم بن مسعود رجل من أشجع وحده ، قال أبو جعفر : وسمعت علي بن سليمان يقول غير هذا، وينكر ما قال الفراء؛ لأنه بطلان البيان ، قال : وإنما هذا على أن نعيما قاله ومن يذهب مذهبه " (٣) .

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢ : ٣١١ . والرجل الذي من أشجع هو نعيم بن مسعود بن عامر بن أُنيف أبو سلمة الأشجعي ، صحابي مشهور له ذكر في البخاري ، أسلم ليالي الخندق ، وهو الذي أوقع الخُلف بين الحيين قريظة وغطفان في وقعة الخندق ، له رواية عن النبي ﷺ ، قُتل في أول خلافة علي رضي الله عنه قبل قدومه البصرة في وقعة الجمل ، وقيل: مات في خلافة عثمان، والله أعلم . انظر: أسد الغابة لابن الأثير ٥ : ٣٦٤ ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٦: ٤٦١ .

(٢) انظر : روح المعاني٢٠: ١١٣ ، والكشاف ٣ : ٤٣٥ ، وقد جعله ابن عاشور احتمالا في الآية . انظر : التحرير والتنوير ٢٠ : ١٧٧ .

(٣) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣ : ٢٤٣.

فهذا مثال أيضا على أثر الأسلوب في الشذوذ ونشوء أقوال لم ترد وليس عليها دليل [١] .

---

(١) لمزيد من الأمثلة حول هذا الأسلوب انظر : معاني الزجاج ٢ : ٣٦٤ في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٠] قال : وجائز أن يكون الخطاب لفرعون وحده .

وكذلك معاني الزجاج ٣ : ٤٠٧ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ ، و قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] على قراءة (وكتابه) قال : الزبور جميع الكتب . والمحرر الوجيز ٤: ٥٤٢ ،وتفسير قوله : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ ﴾ [الزمر: ٦٩]، قال ابن عطية :وقالت فرقة :وضع اللوح المحفوظ ،وهذا شاذ وليس فيه معنى التوعد وهو مقصد الآية، وفي المحرر الوجيز أيضا ٥: ٣٨٠ ،وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ﴾ [الجن: ٤]،والسفيه المذكور قال جميع المفسرين : هو إبليس ، وقيل اسم جنس لكل سفيه .

المبحث الثالث

أسلـوب الكنـاية

أولا : لمحة عن الأسلوب :

تعريف الكناية لغة :

قال ابن فارس[١] : " الكاف والنون والحرف المعتل يدل على تورية عن اسمٍ بغيره: يقال : كنيت عن كذا، إذا تكلمت بغيره مما يستدل به عليه ".

تعريف الكناية في الاصطلاح :

المراد بالكناية في اصطلاح البلاغيين : (أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فـلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه ،كقولهم : هو طويل النجاد ، يريدون طويل القامة ، وكثير رمـاد القدر، يعنون كثير القرى ، فقد أرادوا في هذا معنى ، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود ، وأن يكون إذا كان، أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد ، وإذا كثر القرى كثر رماد القدر) [٢] .

وقد ذكر أصحاب كتب المعاني كلمة الكناية - إلا الأخفش - في عدة مواضـع في كتبهم، وإن كانت قليلة معدودة ولم يتوسعوا فيها؛ ذلك أن الكناية مـصطلح بلاغـي لم يستقر مفهومه الاصطلاحي السابق تعريفه إلا في وقت متأخر عنهم [٣] لاسيما أبو عبيـدة والفراء والأخفش، وكان أصحاب كتب المعاني يتردد مرادهم في إطلاقهم لفظ الكناية بين المعنى النحوي لها - وهو الضمير [٤] - وبين المعـنى الاصطلاحي، وأحـيانا لا يصـرح

---

(١) انظر: مقاييس اللغة ٥ : ١٣٩. وابن فارس هو أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين القزويني اللغوي، صاحب مقاييس اللغة، توفي بالري سنة ٣٩٥ هـ، له: المجمل، وفقه اللغة. انظر: إنباه الرواة ١ : ٩٢، والبلغة ١ :٦١ .

(٢) انظر : دلائل الإعجاز ١: ٦٦ بتصرف يسير ، ولسان العرب ١٥: ٢٣٣ .

(٣) وذلك في نهاية القرن الثالث . انظر : الكناية مفهومها وقيمتها البلاغية ص : ٥٣ .

(٤) كما قال : " ومجاز : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة: ٥] : إذا بدأ بكناية المفعول قبل الفعل جاز الكلام ، فإن بدأت بالفعل لم يجز كقولك: نعبد إياك " . مجاز القرآن ١: ٢٤ ، وقول النحاس : " وقوله جل وعز : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ

أصحاب كتب المعاني بلفظ الكناية، ولكن تفهم من كلامهم[١].

ثانيا : أثر أسلوب الكناية في التفسير

كان لهذا الأسلوب - كما في أي لفظ أو تركيب يحتمل أكثر من معنى [٢] - أثره الواضح في التفسير ويظهر ذلك في آثار متعددة منها :

الأثر الأول : أثره في تعدد معاني الآية واتساعها ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [القلم : ٤٢]

قال أبو عبيدة : " ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ إذا اشتد الحرب والأمر ، قيل : قد كشف الأمر عن ساقه ، قال قيس بن زهير بن جذيمة العبسي [٣] :

فإذ شمرت لك عن ساقها : فَويهاً ربيع ولا تسأمِ " [٤]

فحمل أبو عبيدة كشف الساق في الآية على الكناية ، وأن الله - تبارك وتعالى - كنى عن شدة ذلك اليوم وهوله بقوله:﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ ،كما هو استعمال العرب[٥]،وأصله أن الإنسان إذا وقع في أمر شديد شمر ساعده وكشف عن ساقه للاهتمام به [٦]،كما نقله الزجاج عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .

إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾[الأنعام: ٤٦]، المعنى : من إله غير الله يأتيكم بما أخذ منكم، والهاء كناية عن المصدر فلذلك وحدت، ويجوز أن يكون تعود على السمع، مثل: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [التوبة : ٦٢] ". معاني القرآن للنحاس ٢ : ٤٢٦ .

(١) انظر : مجاز القرآن : ١: ٤٠٤ .

(٢) مع التنبيه على أن الأصل في الكلام الحقيقة لا الكناية . انظر : المحصول للرازي ١ : ٤٧٤، والأشباه والنظائر للسيوطي ص : ٦٣ .

(٣) هو صاحب حرب داحس والغبراء الفارس المشهور . انظر : معجم الشعراء للمرزباني ص : ١٦٨ . والبيت في الأغاني ١٧: ٢٠٣ ، ولسان العرب ١٣ : ٥٦٣ مادة (ويه) ، ومعنى (ويهاً) : كلمة تقال للإغراء والتحريض . ينظر : مختار الصحاح ١: ٣٠٨ .

(٤) انظر : مجاز القرآن ٢: ٢٦٦ .

(٥) النسفي سماه كناية . انظر: تفسير النسفي ٤ : ٢٧١ .

(٦) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٣: ٢٨ .ومثل هذا القول للفراء . انظر : معانيه ٣ : ١٧٧، وهذا القول أحد قولي السلف في الآية . انظر : الدر المنثور ٨ : ٢٥٤ .

والقول الثاني في الآية كما نقله الزجاج عن ابن مسعود ﷺ إن الساق على ظاهرها، فقال: يكشف الرحمن عن ساقه، وهذا التفسير تؤيده السنة، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : ((**يكْشف ربنا عن ساقه فَيسجد له كُل مؤمنٍ ومؤمنة، ويبقى كُل من كَانَ يسجد** في **الدنيا رياءً وسمعةً، فَيذْهب ليسجد فَيعود ظَهره طَبقًا واحدا**)) [(١)] .

وبهذا يظهر كيف كان أسلوب الكناية سببا للخلاف، وتعدد واتساع معنى الآية، فيمكن حمل الآية على المعنيين جميعا ؛ لأنهما صحيحان ولا تعارض بينهما [(٢)]، والله تعالى أعلم .

الأثر الثاني : ويتبين فيه أثر أسلوب الكناية في الخلاف بين المفسرين ، ومثاله قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [فصلت :٢٠] .

قال الفراء : " الجلد ها هنا - والله أعلم – **الذكر** ، وهو ما كنى عنه ،كما قال [تعالى]: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ [البقرة: ٢٣٥] يريد: النكاح، وكما قال:﴿ أَوۡ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ ﴾ [النساء : ٤٣]، والغائط : الصحراء ، والمراد من ذلك : أو قضى أحد منكم حاجةً " [(٣)].

فحمل معنى الجلد على الكناية؛ وأن معناه الذكر، وليس المعنى عنده شاملا للجلد المعروف .

وذكر الزجاج هذا القول، فقال : " جاء في التفسير ﴿ وَجُلُودُهُم ﴾ كناية عن الفرج " [(٤)]، ولم يذكر غيره، مع أن جمهور المفسرين - كما نقله ابن عطية، والشوكاني [(٥)] عنهم - على القول الثاني؛ وأن الجلود هنا على ظاهرها، وهو الجلد المعروف .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب:﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ [القلم: ٤٢]٤ :١٨٧١، رقم : ٤٦٣٥ .

(٢) جمع السعدي بين القولين ، وهذا يدل على أنه يرى أنهما محتملان . انظر : تفسير السعدي ١: ٨٨١ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣: ١٦ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤ : ٣٨٤ .

(٥) انظر : المحرر الوجيز ٥ : ١١ ، وفتح القدير ٤ : ٥١١ . والعجيب أن السمعاني نسب القول بالكناية إلى أكثر المفسرين . انظر : تفسير السمعاني ٥ : ٤٦ .

وابن عطية هو : عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية أبو محمد الغرناطي القاضي ، من أئمة المفسرين ، ولد سنة ٤٨٠ هـ ، وتوفي سنة ٥٤٦ هـ ، وقيل : ٥٤١ هـ ، له التفسير المشهور المحرر =

وقد ضعف الطبري القول بالكناية بعد أن ذكر من قال به من المفسرين ، فقال : " وهـذا القول الذي ذكرناه عمن ذكرنا عنه في معنى الجلود وإن كان معنى يحتمله التأويـل فلـيس بالأغلب على معنى الجلود ولا بالأشهر ، وغير جائزٍ نقلُ معنى ذلك المعروف على الـشيء الأقرب إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها " (١) .

ولا شك أن دلالة القولين مختلفة، فعلى قول الجمهور يكون قوله : ﴿ وَجُلُودُهُم ﴾ تعميم بعد تخصيص ، فيدل أن الشهادة تكون من كل عضو من أعضاء الإنسان، وهذا فيه من التخويف ما فيه ، وعلى القول الآخر قال عنه أبو السعود : " وهو الأنسب بتخصيص السؤال بها في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ [فصلت : ٢١] فـإن مـا تشهد به من الزنا أعظم جناية وقبحا ، وأجلب للخزي والعقوبة مما يـشهد بـه الـسمع والأبصار من الجنايات المكتسبة بتوسطهما " (٢) .

وبهذا يعلم كيف كانت الكناية سببا للخلاف في التفسير المؤثر في المعنى .

الأثر الثالث : وهو أثر أسلوب الكناية في الشذوذ في التفسير ، ومن أمثلته قال الله تعالى :

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال : ١١]

الذي عليه أهل التفسير أن معنى تثبيت الأقدام في الآية هو تلبيد الرمل ، وهـو مـا ذهب إليه الفراء قال : " كانوا في رمل تغيب فيه الأقدام فشدده المطر حـتى اشـتد عليـه الرجال ، فذلك قوله : ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ . " (٣)

= الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. انظر : تاريخ الإسلام ٣٧ : ٧٣ ، وطبقات المفسرين للداودي ١: ١٧٥ .
والشوكاني هو : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني الخولاني ثم الصنعاني أبو عبد الله ، مفسر محدث فقيه أصولي ، ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان سنة ١١٧٣هـ ، ونشأ بصنعاء وولي القضاء بها ، توفي سنة ١٢٥٠هـ ، له تصانيف كثيرة منها : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول . انظر : معجم المؤلفين لكحالة ١١ : ٥٣ .

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٤ : ١٠٦ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ٨ : ١٠ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١: ٤٠٤ ، وبه قال الزجاج - وجوز أن يكون الضمير في (به) عائدا على الربط- فيكون المعنى : ويثبت بالربط الأقدام . انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢ : ٤٠٤ ، ونقله النحاس عن الضحاك.=

إلا أن أبا عبيدة ذهب إلى قول تفرد به، وجانب فيه الصواب، حيث اعتمد على اللغة وحدها - كما هو منهجه المشهور - من غير نظر في أقوال السلف في الآية ، وحملها على الكناية، فقال : " ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ مجازه : يفْرِغُ عليهم الصبر، وينزله عليهم، فيثبتون لعدوهم " (١) .

فجعل ثبات الأقدام كناية عن الصبر وثبات القلب، وهذا وإن صح لغة فإنه غير مقبول في التفسير .

وقد بين الطبري شذوذ هذا الرأي، فقال :" وقد زعم بعض أهل العلم بالغريب من أهل البصرة أن مجاز قوله : ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ ويفرغ عليهم الصبر، وينزله عليهم فيثبتون لعدوهم ، وذلك قول خلاف لقول جميع أهل التأويل من الصحابة والتابعين، وحسب قولٍ خطأً أن يكون خلافا لقول من ذكرنا، وقد بينا أقوالهم فيه، وأن معناه : ويثبت أقدام المؤمنين بتلبيد المطرِ الرملَ حتى لا تسوخ فيه أقدامهم وحوافر دوابهم " (٢) .

وبه يتبين كيف كان لهذا الأسلوب أثر في الشذوذ في التفسير .

الأثر الرابع : ويظهر في الخلاف بين المفسرين في استنباط الأحكام الفقهية ، ومثاله قوله عَجَلَّ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة : ٣]

اختلف أهل التفسير في معنى التماس في الآية ، هل هو كناية عن الوطء، فلا يحرم ما دون ذلك على المظاهر من اللمس والتقبيل والنظر لشهوة؟ أو أن التماس هنا عام في جميع أنواع المباشرة؟ على قولين، اختار منهما الزجاج أن التماس هنا كناية، فقال : " ﴿ مِّن قَبْلِ

= انظر : معانيه ٣: ١٣٦ ، وجميع السلف من الصحابة والتابعين . انظر : تفسير الطبري ٩: ١٩٤، والدر المنثور ٤ : ٢٢ .

(١) مجاز القرآن ١: ٢٤٢ .

(٢) تفسير الطبري ٩ : ١٩٧ .

أَن يَتَمَآسَّاۚ ﴾ كناية عن الجماع " ثم احتج لذلك فقال : " ودليل ذلـك قولـه : ﴿ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾ [البقرة: ٢٣٧] فالمعنى من قبل أن تدخلوا بهن " [١] .

وهذا القول الذي اختاره الزجاج عزاه البغوي[٢] **لأكثر العلماء**، ثم قال : " هو قول الحسن [٣]، وسفيان الثوري ، وأظهر قولي الشافعي " [٤].

القول الثاني : أنه عني بذلك كل معاني المسيس ، وقالوا : الآية على العموم ، وهو قـول النحاس في إعراب القرآن [٥] ، وبه قال الزهري [٦] ، ونسب الشوكاني هـذا القـول إلى الجمهور أيضا! [٧] .وبه يتبين كيف كانت الكناية عاملا في اختلاف وجهات نظر المفسرين في تفسير الآية ، وما ينبني عليه من اختلاف في استنباط الأحكام الفقهية وغير ذلك .

---

(١) معاني الزجاج ٥ : ١٣٥ .

(٢) هو الحسين بن مسعود بن محمد أبو محمد البغوي الفقيه الشافعي، له معالم التنزيل في التفسير وشرح السنة والمصابيح مات سنة ٥١٦ هـ . انظر: طبقات المفسرين١ :٤٩ ، وطبقات المفسرين للداودي ١ : ١٥٨ .

(٣) هو الحسن بن أبي الحسن واسمه يسار البصري أبو سعيد ، مولى زيد بن ثابت ، من سادات التابعين وكبرائهم ولد بالمدينة ، بالغ الفصاحة بليغ المواعظ ، كثير العلم بالقرآن ومعانيه ، رأى عثمان وطلحة والكبار ، وروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة ، وروى عنه خلق كثير من التابعين منهم : أيوب وشيبان النحوي ويونس بن عبيد ، توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٤: ٥٦٣ ، وطبقات المفسرين للداودي ١: ١٣.

(٤) تفسير البغوي ٤ : ٣٠٥ . والشافعي هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، يجتمع مع رسول الله ﷺ في عبد مناف ، أحد الأئمة الأربعة المشهورين ولد سنة ١٥٠هـ بغزة ، وقيل بغيرها ، توفي بمصر سنة ٢٠٤هـ . انظر : طبقات الفقهاء ١: ٦٠ ، ووفيات الأعيان ٤ : ١٦٣ .

(٥) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤ : ٣٧٣ .

(٦) هو أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهري القرشي البغدادي ، يصل نسبه إلى عبد الرحمن بن عوف الصحابي ولد سنة٢٩٠هـ ، عالم عابد ثقة، سمع من إبراهيم بن شريك الكوفي، وجعفر بن محمد الفريابي وغيرهما ، وحدث عنه البرقاني وعبد العزيز الأزجي وغيرهما ، مات سنة ٣٨١هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ١٦: ٣٩٢ .

(٧) نيل الأوطار ٧ : ٥٤ . وبه قال الزهري ، واختاره السمعاني . انظر : تفسير السمعاني ٥ : ٣٨٤ .

الأثر الخامس : وهو ظهور أقوال ضعيفة لا دليل عليها - وهو قريب من السابق - ومثاله قوله تعالى:﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة : ٧٥].

نبه سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ﴾ للرد على من قال بإلوهية عيسى عليه السلام ؛ لأن من يحتاج إلى الطعام لا يمكن أن يكون إلها ، وظاهر معنى قوله : ﴿ يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ﴾ أن المراد أكل الطعام حقيقة ، إلا أن النحاس ذكر قولا آخر في معنى الآية وقدمه على هذا القول المشهور، بل وذكر القول المشهور بصيغة التضعيف ، وأن المراد من الآية كناية عن إتيان الحاجة ! [(١)]، وهذا القول في الحقيقة لا داعي له، وقد أعرض عنه كثير من المفسرين، ولم يذكروه، بل إن بعضهم قد رده وضعفه .

قال ابن عطية : " وذكر مكي [(٢)]، والمهدوي [(٣)] وغيرهما أنها عبارة عن الاحتياج إلى الغائط ! **وهذا قول بشعٌ ولا ضرورة تدفع إليه**، حتى يقصد هذا المعنى بالذكر، وإنما هي عبارة عن الاحتياج إلى التغذي، ولا محالة أن الناظر إذا تأمل بذهنه لواحق التغذي وجد ذلك وغيره " [(٤)].

---

(١) انظر : معاني النحاس ٢ : ٣٤٤ .

(٢) هو أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم القرطبي ، العلامة المقرئ صاحب التصانيف ، ولد بالقيروان سنة ٣٥٥هـ ، وتوفي سنة ٤٣٧هـ ، كثير التآليف في علوم القرآن فمنها : الهداية إلى بلوغ النهاية في معاني القرآن الكريم وتفسيره ، وكتاب التبصرة في القراءات وغيرها . انظر : سير أعلام النبلاء ١٧: ٥٩١ ، وطبقات المفسرين للداودي ١: ١١٤ .

(٣) هو أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي ، كان رأسا في القراءات واللغة ، أصله من المهدية من بلاد أفريقية توفي سنة ٤٣٠ هـ ، له تفسير يسمى (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل) اختصره وسماه (التحصيل) وشرح كتاب الهداية في القراءات . انظر : البلغة ١ : ٦١ ، ومعرفة القراء الكبار للذهبي ١ : ٣٩٩ .

(٤) المحرر الوجيز ٢: ٢٢٢ ، وانظر كذلك فيمن رده : التفسير الكبير ١٢: ٥٢ ، قال الرازي : وهذا عندي ضعيف من وجوه ا.هـ ، والتسهيل لعلوم التنزيل ١: ١٨٤ .

فتأمل كيف كانت الكناية سببا في الذهاب إلى أقوال ضعيفة لا داعي لها في معـاني القرآن الكريم . [١]

---

(١) انظر أمثلة أخرى : تفسير قوله تعالى :﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود: ٨٧] معاني الزجاج ٣: ٧٣ ، وتفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾ [الكهف: ٤٢] في مجاز القرآن ١: ٤٠٤.

المبحث الرابع

أسلوب إجراءِ غيرِ العاقلِ مجرى العاقل

أولا : لمحة عن الأسلوب

من أساليب العرب أنها تخاطب غير العاقل - في بعض الأحوال - مخاطبة العاقل كاستعمال ضمير العقلاء معها ، والإخبار عنها بأدوات مختصة بهم كـ (من) ، قال الشاعر [(١)] :

تمززتها والديك يدعو صباحه : إذا ما بنو نعشٍ دنوا فتصوبوا

فقال : (دنوا)، وهو يخبر عن (بني نعش)، وهي كواكب لا تعقل .

وقد نزل القرآن الكريم جريا على هذا الأسلوب في آيات كثيرة ، كما نص عليه أصحاب كتب المعاني في كتبهم .

وقد عده أبو عبيدة في مقدمة مجازه من الأساليب العربية التي نزل بها القرآن الكريم فقال : " ومن مجاز ما جاء من لفظ خبر الحيوان والموات [أراد بهذا غير العاقل] على لفظ خبر الناس " [(٢)] .

أراد بـ (الناس) عموم من يعقل ، ثم ضرب عدة أمثلة من القرآن الكريم جرت على هذا الأسلوب فقال : " قال [تعالى] : ﴿ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف : ٤] فقال : (رَأَيْتُهُمْ) ولم يقل : (رأيتهن) أو (رأيتها) وقال : (سَاجِدِينَ) ولم يقل : (ساجدات) ، وقال : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] وقال للأصنام : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٥] وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا

---

(١) هو النابغة الجعدي ، والبيت من شواهد أبي عبيدة والأخفش . انظر : مجاز القرآن ١: ٢٧٦ ، ٢ : ٣٨ ، ٨٣ ، ٩٣ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢ : ٦٤٤ ، وكتاب سيبويه ٢: ٤٧ ، والمقتضب للمبرد ٢: ٢٢٦ ، ولسان العرب ٦: ٣٥٥ مادة (نعش) ولم ينسباه ، وخزانة الأدب ٨ : ٨٣ وغيرها . والشاعر يصف خمراً باكرها بالشرب عند صياح الديك ، وتصوب بنات نعشٍ : دنوها من الأفق للغروب .

(٢) مجاز القرآن ١ : ١٠ .

ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾ [النمل: ١٨] وقال : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء : ٣٦] " .

وقال الفراء :" وأما قوله : ﴿ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ [يوسف: ٤] فإن هذه النون والواو إنما تكونان في جمع ذكران الجن والإنس وما أشبههم ، فيقال : الناس ساجدون والملائكة والجن ساجدون ، فإذا عدوت هذا صار المؤنث والمذكر إلى التأنيث ، فيقال: الكباش قد ذبحن، وذبحت، ومذبحات ، ولا يجوز : مذبحون " ثم علل هذا الأسلوب فقال: " وإنما جاز في الشمس والقمر والكواكب بالنون والياء ؛ **لأنهم وصفوا بأفاعيل الآدميين،** ألا ترى أن السجود والركوع لا يكون إلا من الآدميين ، فأخرج فعلهم على فعال الآدميين ومثله : ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ ﴾ [فصلت: ٢١] فكأنهم خاطبوا رجالا؛ إذْ كلمتهم وكلموها ، وكذلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ ﴾" ثم أعطى قاعدة تشمل هذا وغيره، فقال :" **فما أتاك مواقعا لفعل الآدميين من غيرهم أجريته على هذا** " [(١)] ، وهذه هي الحال الأولى التي يعطى فيها غير العاقل لفظ العاقل .

وقال الفراء في موضع آخر : " وقوله : ﴿ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ ﴾ [النور: ٤٥] يقال : كيف قال : ﴿ مَّن يَمۡشِي ﴾ وإنما تكون (من) للناس وقد جعلها ههنا للبهائم ؟ قلت : لما قال :﴿ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ ﴾ فدخل فيهم الناس كنى عنهم [أي : أضمر] فقال : (منهم) لمخالطتهم **الناس** ، ثم فسرهم بـ (من) لما كنى عنهم كناية الناس خاصة ، وأنت قائل في الكلام : من هذان المقبلان ؟ لرجل ودابته، أو رجل وبعيره . فتقول بـ (من) و(ما) لاختلاطهما ، ألا ترى أنك تقول : الرجل وأباعره مقبلون ، فكأنهم ناس إذا قلت : مقبلون " [(٢)] .

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢: ٣٤ . وانظر أيضا : معاني الأخفش ٢ : ٦٨٢ .
(٢) معاني القرآن للفراء ٢: ٢٥٧ .

وقال أيضا :" الناس إذا خالطهم شيء من البهائم صار فعلهم كفعل الناس ، كما قال :﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ﴾ [القمر: ٢٨] فصارت الناقة بمنزلة الناس " (١) .

فبين الفراء حالا أخرى من الأحوال التي يعطى فيها غير العاقل حكم العاقل في اللفظ وهي إذا خالط العاقل غير العاقل فإنه يغلب العاقل، وقد يغلب غير العاقل .

وقال الزجاج : " ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥] أي : من أضل ممن عبد غير الله وجميع ما خلق الله دليل على وحدانيته ، فمن أضل ممن عبد حجرا لا يستجيب له، وقال: (من)، وقال: (هم)، وهو لغير ما يعقل ؛ **لأن الذين عبدوها أجروها مجرى ما يميز ، فخوطبوا على مخاطباتهم ،**كما قال : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر : ٣] " (٢) .

وهنا أيضا يبين الزجاج موضعا ثالثا لهذا الأسلوب ، وهو إذا كان المخاطب يعتقد أن هذا الشيء يعقل فيخاطب فيها بما يعتقده .

نخلص من كلامهم أن غير العاقل قد يجرى مجرى العاقل في الكلام، وأن هذا من أساليب العرب في كلامهم، وأن ذلك يكون في مواطن:

١ - إذا وصفوا بأفعال تختص بالعقلاء .

٢ - إذا اختلطوا مع العقلاء خوطبوا مخاطبتهم تغليبا (٣) .

٣ - إذا كان المخاطب يعتقد أن شيئا يعقل وهو لا يعقل خوطب فيه حسب اعتقاده .

تنبيه : قد يكون هناك خلاف بين العلماء في أصل المسألة، وهل هذا اللفظ مختص بـالعقلاء أو يشمل غير العقلاء، كما في لفظ الإشارة (أولئك) (٤) .

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣ : ١١٢ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤ : ٤٣٨ .

(٣) ذكر الشنقيطي أنه قد يغلب غير العاقل على العاقل لكثرته ومنه قوله تعالى: ﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ البقرة : ١١٦ . انظر : أضواء البيان ٦ : ٣٣ .

(٤) ومن العلماء من رجح أنها قد يشار بها لغير العاقل لكن بقلة . انظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ١: ١٣٤ ، ١٣٥ ، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١ : ١٣٢ ، ١٣٣ .

ثانيا : أثر الأسلوب في التفسير

هذا الأسلوب مستعمل بكثرة في القرآن الكريم ، لاسيما مع آلهة الكفار فإنها تخاطب في القرآن الكريم في كثير من المواطن في اللفظ مخاطبة العاقل جريا على اعتقاد عابـديها، أو لغير ذلك من الأسباب ، وكان لهذا الأسلوب أثر في التفسير، ويتضح ذلك في صور :

الصورة الأولى : وهي أثر الأسلوب في الخلاف في مرجـع الـضمير ثم في تعـدد معـاني الآية ، ومثالها قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ [النحل : ٢٠ – ٢١] .

هذه الآية في وصف أصنام المشركين وبيان بطلانها ، وقد خوطبت هنا بخطاب من يعقل بقوله : ﴿ يَخۡلُقُونَ ﴾ و ﴿ وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾ جرياً على اعتقـاد عابـديها ، وهـذا لا يشكل أنه خطاب لها وعائد عليها ، لكن ما قد يشكل هو قوله ﷻ : ﴿ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ فهل الأصنام ستبعث ؟ فإن الضمير في قوله: ﴿ يُبۡعَثُونَ ﴾ يحتمـل أن يكون عائدا إلى الأصنام أو إلى عابديها من المشركين،وكذلك في قوله:﴿ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ .

قال النحاس : " ﴿ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ يجوز أن يكون المعنى وما تشعر الأصنام ، ويجوز أن يكون المعنى : وما يشعر المشركون متى يبعثون " (١) .

فعلى الأول يكون المعنى : وما تشعر هذه الأصنام أيان تبعث ، ويؤيد ذلك مـا روي أن الله - تعالى - يبعث الأصنام ويخلق لها أرواحا معها شياطينها ، فيـؤمر بالكـل إلى النـار(٢)، وعلى الثاني فالمعنى واضح وأن المشركين لا يعلمون وقت البعث والنشور .

ومن المفسرين من جعل الآية تحتمل قولا ثالثا - وهو الأرجح - بأن يكون الـضمير في الأول عائدا على الأصنام ، والثاني على عابديها، فيكون المعنى: و ما تشعر هذه الجمادات

---

(١) معاني النحاس ٤: ٦٢ . كذلك الفراء جوز الاحتمالين . انظر : معاني القرآن للفراء ٢ : ٩٨ ، ٩٩ ، لكنه صرح أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ [النحل: ٢١] للأصنام .

(٢) انظر : زاد المسير ٤: ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

من الأصنام أيان يبعث عبدتها من الكفار، ويكون هذا على طريقة التهكم بهم؛ لأن شعور الجماد مستحيل بما هو من الأمور الظاهرة فضلا عن الأمور التي لا يعلمها إلا الله ﷻ [(١)] .
والذي سوغ خطاب الأصنام خطاب من يعقل هو الجَري على اعتقاد عابديها .

وبه يعلم كيف كان لهذا الأسلوب أثر في احتمالية تعدد مرجع الضمير وتعدد معاني الآية ، ولو كان التعبير في الآية بخطاب من لا يعقل فقال : وما تشعر أيان تبعث ، لم يحتمل غيرها - والله تعالى أعلم - .

الصورة الثانية : وتبين أثر الأسلوب في الترجيح في مرجع الضمير ، ومثاله قوله ﷻ : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾ [نوح: ٢١ – ٢٤]

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله : ﴿ وَقَدْ أَضَلُّواْ ﴾ هل هم الرؤساء من قوم نوح ، أم هي الأصنام ؟ على قولين :

الأول : إنها الأصنام، قال الفراء : " هذه **الأصنام** ، قد ضل بها قوم كثير " [(٢)]
فيكون - على هذا - قد أجرى الأصنام في الخطاب مجرى الآدميين ؛ لأنه استعمل مع الفعل أضل واو الفاعلين ، وهذا جريا على اعتقاد عابديها كما سبق ، ثم نبه على الأصل في خطاب جمع ما لا يعقل وأنه يكون بالتأنيث ، فقال : " ولو قيل : وقد أضلت كثيرا أو أضللن كان صوبا " [(٣)] فجعلها كقوله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم : ٣٦] .

القول الثاني : إن المراد بقوله ﷻ :﴿ وَقَدْ أَضَلُّواْ ﴾ هم الرؤساء من قوم نوح عليه السلام .
ورجحه الألوسي، قال : " ولا يخفى أن عوده على الرؤساء أظهر ؛ إذ هم المحدث عنهم، والمعنى فيهم أمكن " [(٤)] .

---

(١) انظر : فتح القدير ٣ : ١٥٦ .
(٢) معاني القرآن للفراء ٣ : ١٨٩ .
(٣) هذا قول الطبري - ولم يذكر غيره – وقول البغوي وابن كثير . انظر : تفسير الطبري ٢٩ : ١٠٠ ، وتفسير البغوي ٤: ٤٠٠ ، وتفسير ابن كثير ٤ : ٤٢٨ وغيرهم .
(٤) روح المعاني ٢٩ : ٧٨ . واختاره ابن عطية والسعدي . انظر : المحرر الوجيز ٥ : ٣٧٦ ، وتفسير السعدي

فساعد هذا الأسلوب أصحاب القول الأول على ترجيح قولهم ؛ بأن يكون مرجع الضمير هنا - وهو للعقلاء - عائدا على الأصنام .

الصورة الثالثة : ويتبين فيها أثر الأسلوب في الإجابة عما يشكل في القرآن الكريم **، ومثالها** في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ [الحجر : ٢٠] .

جاء عن مجاهد أن المراد بـ ﴿ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ أنهم الدواب والأنعام، ونقل أيضا أنهم الوحش ، وهذا فيه إشكال؛ إذْ (من) في اللغة لا يفرد بها غير العاقل .

وهذا ما جعل الفراء يعرض عن هذا القول ، ويفسر الآية تفسيرا آخر مناسبا لـ (من) المستعملة للعقلاء ، فقال [(١)] : " جعلنا لكم فيها المعايش، **والعبيد والإماء** " ثم اعترض على ذلك التفسير [أعني تفسير مجاهد]، فقال :" قد جاء أنهم الوحوش والبهائم، و(من) لا يفرد بها البهائم ولا ما سوى الناس " إلا أنه مع ذلك وجه هذا القول المروي عن السلف في تفسير الآية مستعينا بهذا الأسلوب ، فقال : " فإن يكن ذلك على ما روي فنرى أنهم أُدخل فيهم المماليك ؛ على أنا ملكناكم العبيد والإبل والغنم وما أشبه ذلك ، فجاز ذلك " [(٢)] .

وقد تبعه على هذا التوجيه كثير من المفسرين [(٣)] .

وبهذا يكون قد استعمل هذا الأسلوب في التخلص من هذا الإشكال الوارد في الآية، ومن جانب آخر في ترجيح القول بأن المراد في الآية هم العبيد والبهائم معا، والذي تجتمع به الأقوال .

ومثالها أيضا قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

---

١ : ٨٨٩ .

(١) معاني القرآن للفراء ٢ : ٨٦ .

(٢) ذكر الفراء توجيها آخر للآية فقال : " وقد يقال : إن (من) في موضع خفض، يراد : جعلنا لكم فيها معايش ولمن . وما أقل ما ترد العرب مخفوضا على مخفوض قد كني عنه " .

(٣) وهذا ترجيح الزجاج ، والنحاس ، وابن جرير ، والألوسي ، والشوكاني ، والسعدي . انظر : معاني الزجاج ٣: ١٧٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤ : ١٨ ، وتفسير الطبري ١٤: ١٨ ، وروح المعاني ١٤: ٢٩ ، وفتح القدير ٣ : ١٢٦ ، وتفسير السعدي ١ :٤٣٠ .

الآية فيها وجهان من التفسير؛ الأول: أن الإنسان يسأل يوم القيامة عن أفعـال جوارحـه، فيقال له: لم سمعت ما لا يحل لك سماعه، ولم نظرت إلى ما لا يحل لك النظر إليه، ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه .

والوجه الثاني: أن الجوارح هي التي تسأل عن أفعال صاحبها، فتشهد عليه جوارحه بما فعل.

وعلى كلا الوجهين فإن اسم الإشارة (أولئك) عائد إلى السمع والبصر والفـؤاد، وهي مما لا يعقل، والأشهر في (أولئك) أن يكون للعقلاء [(١)]، فاحتيج إلى الجواب عن ذلك على القول بأنها مختصة بالعقلاء .

أجاب عن ذلك أبو عبيدة فقال:"﴿ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾خرج مخرج ما جعلوا الخبر عنه والعدد كالخبر عن الآدميين، وعلى لفظ عددهم إذا جمعوا، وهو في الكلام:كل تلك" [(٢)] .

وبين الشوكاني النكتة في ذلك بقوله: " وأجريت مجرى العقلاء؛ لما كانت مـسئولة عن أحوالها، شاهدة على أصحابها " [(٣)] .

الصورة الرابعة : وهي أثر الأسلوب في توجيه الآية بما يتوافق مع أقوال السلف وما جاء في التفسير، ومثالها قوله تعالى: ﴿ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ٢٧ وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ﴾ [القمر: ٢٧ - ٢٨] اختلف المفسرون، من المراد بقوله ﷻ: (بَيۡنَهُمۡ) ؟

فذهب الطبري [(٤)] أن المراد قسمةٌ بين قوم صالح أنفسهم ، وذلـك وقـت غـب الناقة [(٥)] فإنها كانت ترد يوما وتغب يوما ، فأمرهم أن يقتسموا الماء في اليوم الذي لا ترد فيه الناقة ، وهذا القول هو مقتضى ظاهر اللفظ ، فإن (هم) للعقلاء .

---

(١) والمسألة فيها خلاف؛ هل هي مختصة بالعقلاء أم يجوز الإشارة بها إلى غير العقلاء . انظر : معاني القرآن للأخفش ٢ : ٦١٢ ، ومعاني القرآن للفراء ١ : ٤٣٥ ، ومعاني الزجاج : ٣ : ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٢) مجاز القرآن ١ : ٣٨٠ .

(٣) فتح القدير ٣ : ٢٢٧ ، وقد رد الشوكاني قول الزجاج : إن العرب تعبر عما يعقل وعما لا يعقل بـ (أولئك)، ورد استشهاده ببيت جرير برواية أخرى هي : .... : والعيش بعد أولئك الأقوام ، بدل (الأيام) . إلا أن أكثر المفسرين على القول بأنّ (أولئك) تستعمل لغير العاقل أيضا، فلا يكون في الآية إشكال .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٧ : ١٠١ .

(٥) المراد بغب الناقة : هو أن ترد الإبل يوما وتدع يوما . انظر : مقاييس اللغة ٤: ٣٧٩ .

وقال الفراء :" وقوله [ﷻ]: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ﴾ للناقة يوم ، ولهم يوم فقال : بينهم وبين الناقة" [(١)]، لكنه احتاج إلى أن يوجه قوله ﷻ : ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ ؛ لأن (هم) للعقلاء، فكيف يصلح أن تكون كناية عن الناقة ؟ فاستعان بهذا الأسلوب في موضع آخر، فقال : " فصارت الناقة بمنزلة الناس" [(٢)]، أي: بمنزلة من يعقل ؛ لأنها جمعت معهم، فغلبوا، وهذا قول الزجاج [(٣)]، وكثير من المفسرين .

وبه يتبين كيف كان للأسلوب أهميته في توجيه الآية بما يتوافق مع ما ورد في تفسيرها [(٤)].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣ : ١٠٨ .
(٢) معاني القرآن للفراء ٣ : ١١٢ .
(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج ٥ : ٩٠ .
(٤) انظر مثالا آخر على الأسلوب : معاني القرآن للفراء ١ : ٩٥ ، ٩٦ .

المبحث الخامس

التعبير عن المُذَكر بلفظ المؤنث والعكس

أولا : لمحة عن الأسلوب [١] :

التذكير والتأنيث ، أو المذكر والمؤنث في اللغة وفي القرآن الكريم من المباحث التي بحث فيها العلماء قديما وحديثا ، وألفوا فيها المؤلفات [٢] ؛ ذلك أنه وجد في اللغة كلمات مذكّرة عوملت معاملة المؤنث في بعض الأحوال ، والعكس : وجدت كلمات مؤنثة عوملت معاملة المذكر ، كتذكير أو تأنيث الفعل المنسوب للاسم ، أو الإشارة إليه بإشارة المذكر أو المؤنث ، أو وصفه بصفة المذكر أو المؤنث ، أو عود الضمير المذكر أو المؤنث عليه وما أشبه ذلك .

وقد تعرض أصحاب كتب المعاني في معانيهم لهذا الأسلوب من أساليب اللغة لاسيما الفراء [٣] ، وبينوا كثيرا من الأمثلة القرآنية له ، كما بينوا الأسباب في تأنيث تلك الكلمات المذكرة أو العكس ، ومن تلك الأسباب التي ذكروها :

١- الحمل على المعنى [٤] ، بحيث لا يعود الكلام على لفظ مطابق له في التذكير والتأنيث، بل يعود على معنى في ذلك اللفظ يكون من سببه ، أو مرادفا له ، وما أشبه ذلك ، ويكون مطابقا له في التذكير والتأنيث .

قال أبو عبيدة : " ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ [الفرقان : ١١] ثم جاء بعده : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ [الفرقان : ١٢] و(السعير)

---

(١) للاستزادة انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ٢ : ٥١٠ ، والبرهان في علوم القرآن ٣ : ٣٥٩ ، والإتقان في علوم القرآن ٢ : ١٠٧ ، ودراسات في أسلوب القرآن الكريم لعضيمة ٨ : ٤٤٣ و ١١ : ٢٠٤.

(٢) انظر : الألفاظ المذكرة أو المؤنثة للدكتور : محمد أبو الفتوح ، فقد جمع المؤلفات في ذلك .

(٣) الفراء له كتاب مستقل في الموضوع بعنوان : الألفاظ المذكرة والمؤنثة ، وهو من أول من صنف فيه .

(٤) للاستزادة حول هذه المسألة انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري ٢ : ٧٥٨ المسألة رقم : (١١١) .

مذكر وهو ما تسعر من سعار النار ، ثم جاء بعده فعلُ مؤنثة [يعـني : قولـه ﷻ : (رَأَتْهُم)] مجازها : أنها النار ، **والعرب تفعل ذلك ؛ تظهر مذكرا** [وهو هنا الـسعير] **من سبب مؤنثـة** [وهي : النار] **، ثم يؤنثون ما بعد المذكر على معنى المؤنثة ،** قال المُخيس [(١)] :

إن تميماً خلقت ملموماً

فتميم رجل ، ثم ذهب بفعله إلى القبيلة **فأنث** ، فقال : خلقت ، ثم رجع إلى تمـيم **فـذكّر** فعلَه، فقال : ملموما ، ثم عاد إلى الجماعة ، فقال :

قوماً ترى واحدهم صهميما

ثم عاد إليه ، فقال :

لا راحم الناس ولا مرحومـا " [(٢)] .

وقال الفراء في تفـسير قـول الله - تعـالى - : ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ [الحجر : ٥] : " ولم يقل : تستأخر ؛ لأن الأمة لفظها لفظ مؤنث ، فأخرج أول الكلام على تأنيثها ، وآخره **على معنى الرجال** ، ومثلها : ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾ [المؤمنون: ٤٤] ولو قيل : كذبته كان صوابا ، **وهو كثير** " [(٣)] .

وقال الأخفش : " قال [الله تعالى] : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[النساء: ٨] ثم قال : ﴿ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ فذكّر ، و(ٱلْقِسْمَةَ) مؤنثة ؛ **لأنها** في **المعـنى** : المـيراث، والمال، فذكر على ذلك " [(٤)] .

---

(١) هو المُخيس بن أرطاة الأعرجي أبو ثمال ، أول شاعر مدح بني العباس في خلافتهم ، وهو راجز شامي ، اشتهر في أيام مروان بن محمد . انظر : معجم الشعراء للمرزباني (ط : دار إحياء الكتـب العربيـة) ص : ٤٥٣ ، والأعلام للزركلي ٧ : ١٩٥ . والبيت في لسان العرب ١٢: ٣٤٩ مادة (صهم) ، والإنـصاف في مـسائل الخلاف ٢ :٥١٠ ولم ينسبه . والصهميم من الرجال : الذي يركب رأسه لا يثنيه شيء عما يريد ويهـوى . انظر : العين ٣ : ٤١٤ .

(٢) انظر : مجاز القرآن ٢ : ٧٠ ، ٧١ . وانظر أيضا موضعا آخر منه ١ : ٣٦١ ، ٣٦٢ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢ : ٨٤ .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢ : ٤٧٠ ، ٤٧١ .

ففيما سبق أنزل المؤنث منزلة المذكر والعكس اعتبارا للمعنى المضمن فيه ، إما لكونه من سبب مذكر أو قريبا من معناه .

٢ - أن تكون الكلمة مما يذكر ويؤنث في لغات العرب ، كما في أسماء الأجناس [١] ، مثل كلمة : (نخل) ، و(سحاب) ، وبعض أسماء الجمع [٢] ، مثل : (قوم) ، و (نساء) .

٣- أحيانا يغلب حكم المذكر على المؤنث إذا اجتمعا ، كما في قولـه ﷻ : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ﴾ [إبراهيم : ٣٣] ولم يقل : دائبتين ، مع أن الشمس مؤنثة[٣] وقوله - تعالى - : ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ [القيامة : ٩] [٤] ولم يقل : وجمعت .

٤ - المصدر يلزم حالا واحدة في وصف المذكر والمؤنث [٥] .

قال أبو عبيدة : " فلفظه [أي المصدر] من والواحد ، والاثنين ، والجمـع ، مـن المـذكر والمؤنث ، واحد " [٦] .

---

(١) اسم الجنس : هو ما يفرق بينه وبين واحده بياء النسب ، أو تاء التأنيث ، قال الزجاج : وما كان مثل : بقرة ، وبقر ، ونخلة ، ونخل ، وسحابة ، وسحاب فإن العرب تذكره وتؤنثه ، فتقول : هذا بقر ، وهذه بقر ، وهـذا نخل ، وهذه نخل ، فمن ذكّر ؛ فلأن في لفظ الجمع أن يعبر عن جنسه ، فيقال : هذا جمع وفي لفظه أن يعبر عن الفرقة والقطعة ، فتقول : هذه جماعة ، وهذه فرقة ، قال الله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ﴾ [النـور: ٤٣] فذكّر وواحدته سحابة ، وقال : ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ ﴾ [ق: ١٠] فجمع على معـنى جماعـة ، ولفظها واحد ، فمن قرأ : ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ ﴾ [البقرة: ٧٠] فمعناه : أن جماعة البقر تتشابه علينا...ومن قرأ : (يتشابه علينا) بالياء أراد جنس البقر أيضا ا.هـ . معاني القرآن للزجاج ١: ١٥٤،١٥٥ . وانظـر : مجـاز القرآن ٢ : ٢٤١ .

(٢) اسم الجمع : ما دل على جمع وليس له واحد له من لفظه، أو له واحد من لفظه لكنه ليس على وزن من أوزان الجموع المعروفة . والأول : مثل : (قوم) و (نساء)، والثاني مثل : (طير)، و(صحب) . انظر: حاشية الخضيري ١ : ٢٧١، وشرح الشافية للرضي ٢ : ٢٠١ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ١ : ٣٤٢ .

(٤) جعله الفراء احتمالا في بيان تذكير الفعل (جمع) . انظر : معاني الفراء ٣ : ٢٠٩ .

(٥) قال أبو عبيدة : " ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً ﴾ [يـونس: ٥] وصفها بالمصدر [يعني : الشمس، وصفها بالمصدر (ضياء)]، والعرب قد تصف المؤنثة بالمصدر وتسقط الهاء، كقولهم : إنما خلقت فلانـةٌ لـك عـذابا وسجنا، ونحو ذلك بغير هاء ". مجاز القرآن ١ : ٢٧٤ ، وانظر أيضا : ٢ : ٣٢ و ٣٧، وقضايا المذكر والمؤنث عند أبي عبيدة ص : ٥٨. وانظر : معاني الفراء ١ : ٣٥٦، وشرح التصريح لخالد الأزهري٢ : ١١٣ .

(٦) مجاز القرآن ٢ : ٧٩ .

ومنه قول الله - تعالى - : ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طـه : ١٢٤] ، وقولـه ﷻ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ [الفرقـان : ٦٢] [(١)] ، فقال : (ضَنكًا)، وهو من وصف المعيشة وهي مؤنثة [(٢)]، وقال : (خِلْفَةً) ، في وصف الليل والنهار، وهما مذكران .

٥ – يجوز أن يؤنث الفعل ويذكر مع الفاعل الواحد في مواضع :

- أن يكون الفاعل غير حقيقي التأنيث [(٣)] كالشمس ، فتقول : طلعت الشمس ، وطلع ، وتطلع ، ويطلع .

- أو يكون حقيقيا ، لكن فصل بينه وبين فعله بفاصل [(٤)]كقولهم : حـضر القاضـي اليوم امرأةٌ .

- أو كان جمعا ، على تفصيل في ذلك وخلاف في بعض أنواعه [(٥)] .

ومن أمثلة ذلك في القرآن قول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ ﴾ [الأنفـال : ٣٥] ، وقوله ﷻ : ﴿ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [البقرة : ٧٤]، وقوله تعـالى : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ ﴾ [الممتحنة:] ، وقوله : ﴿ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا ﴾ [الأعراف: ٤٣] ، وقولـه : ﴿ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ﴾ [هود : ١٠] ويجوز في الكلام : وما كانت صلاتهم ، وتتفجر منه الأنهار، وإذا جاءتك المؤمنات ، وجاء رسل ربنا ، وذهبت السيئات عني .

---

(١) انظر : مجاز القرآن ٢ : ٣٢ و ٨٠ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٦ : ٢٦٥ .

(٣) قال الزجاج : فأما قوله : ﴿ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨١]، فذكّر ، ولم يقل : بيتت؛ لأن كل تأنيث غير حقيقي فتعبيره بلفظ التذكير جائز ، تقول : قالت طائفة من أهل الكتاب ، وقال طائفة من المـسلمين ؛ ولأن طائفة وفريقا في معنى واحد ا.هـ . معاني الزجاج ٢: ٨١ ،٨٢ ، ويلاحظ هنا أن هذا يرجع إلى الحال الأولى وهو الحمل على المعنى .

(٤) وهذا لا يوجد له مثال في القرآن الكريم .

(٥) انظر التفصيل في ذلك : دراسات في أساليب القرآن الكريم ٨ : ٤٤٣ ، والقاعدة في ذلك جواز اقتران التاء بالفعل إذا أسند إلى أي نوع من أنواع الجمع ؛ جمع التكسير، - سواء أكان لمذكر أو مؤنث - وجمع المؤنث السالم - سواء أكان مفرده غير حقيقي التأنيث أم حقيقي التأنيث - غير أنه لم يوجد له شاهد من القرآن - عدا جمع السلامة لمذكر فلا يجوز اقتران التاء معه بالفعل ، وبعضهم يستثني أيضا جمع المؤنث السالم . أما الكوفيون فيجيزون ذلك مطلقا حتى مع جمع المذكر السالم . انظر : شرح ابن عقيل على الألفية ٢ : ٩٤، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ٢ : ١١٦ .

٦ - أحيانا يكتسب المذكر التأنيث إذا كان مضافاً إلى مؤنث [١] والعكس ، قال الشاعر :

أرى **مر** السنين **أخذنَ** مني : كما أخذَ السرار من الهلال [٢]

فاكتسب لفظ (مر) – ولفظه مذكر - التأنيث من السنين . ومثله - على بعض الأقوال - قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦] فذكّر كلمة (قريب) مع أنه إخبار عن (الرحمة) وهي مؤنثة ، ولم يقل : قريبة ، وسيأتي مزيد شرح للآية في المثال الثاني من هذا المبحث [٣] .

٧ - وأحيانا يذكر المؤنث بإلقاء علامة التأنيث استغناءً [٤] ؛ لأنه وصف خاص بالمؤنث ولا حظ فيه للمذكر [٥] ، فيستغنى عن علامة التأنيث ، مثل : حامل ، وطالق ، إلا أني لم أجد له مثالا في القرآن الكريم ، أما لفظ (عاقر) الوارد في القرآن الكريم [٦] ، فذكر أبو عبيدة أنه يطلق على المذكر والمؤنث ، ولا يختص بالمذكر ، والزجاج يرى أنه على النسب [٧].

٨ - أن تكون علامة التأنيث في المذكر للمبالغة ، كـ (راوية) ، و(علّامة) ، كما قيل في (خَآئِنَةٍ) من قوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ [المائدة : ١٣] [٨] .

---

(١) انظر : معاني الفراء ٢ : ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) القائل هو جرير ، والبيت في ديوانه ص : ٣٤١ . والسرار : سرر الشهر وسراره آخر ليلة منه ، وهو مشتق من قولهم : استسر القمر ، إذا خفي ليلة السرار . انظر : مختار الصحاح لمحمد الرازي ١: ١٢٤ .

(٣) انظر : ص : ١٠٠ من هذا المبحث .

(٤) مجاز القرآن : ٢ : ٢٧٤ .

(٥) إلا إذا قصد به الحدوث في أحد الأزمنة لحقتها التاء ، ويجوز أيضا استعمال الصفة بغير تاء مع المؤنث إذا كانت الصفة مما يشيع في الرجال ، تقول : فلانة وصي فلان ، وقال الشاعر : فليت أميرنا وعزلت عنا :مخضبةً أناملُها كعاب، وحمل أبو حيان قوله ﷻ : ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤] على هذا النوع، حيث وصفت (النفس) وهي مؤنثة بقوله : (حَسِيبًا) وهو مذكر . انظر : المذكر والمؤنث للفراء ص : ٥٨ ، ٦١، والبحر المحيط ٦ : ١٤ .

(٦) كما في قوله ﷻ: ﴿ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾[آل عمران: ٤٠]، وقوله ﷻ :﴿ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾[مريم:٥].

(٧) انظر : مجاز القرآن ٢ : ١ ، ومعاني الزجاج ١ : ٤٠٨ .

(٨) انظر : مجاز القرآن ١ : ١٥٨ ، ١٥٩ ، والتاء التي تلحق الأسماء تأتي لأغراض منها : التفريق بين المذكر والمؤنث ، أو تكون علامة التأنيث للنسب كدماشقة ، عوضا عن دمشقيون ، وأحيانا للتعويض عن حرف =

هذه أهم الأسباب التي ذكرها أصحاب كتب المعاني لهذا الأسلوب ، وهناك أسباب أخرى [١]، وليس المقام هنا مقام تفصيل في هذه المواضع والأسباب ، فتبحث في الكتب المتخصصة ، لكن الذي يعنينا هنا هو تقرير هذا الأسلوب ، وإبراز أهم صوره ، وبيان أثره في التفسير .

وهذه المواطن التي ذكرها أصحاب المعاني قد تتداخل ، لاسيما أن بعضها يرجع إلى السبب الأول وهو الحمل على المعنى ، كما أنهم قد يختلفون في توجيه الآية الواحدة الجارية على هذا الأسلوب وتحديد السبب فيها ، وقد تجتمع أكثر من علة في الموطن الواحد . [٢]

ثانيا : أثر هذا الأسلوب في التفسير

إن المتتبع لأمثلة هذا الأسلوب يظهر له جلياً مدى أثره في فهم معاني الآيات في كتاب الله ﷻ ، كما كان له الأثر الواضح في احتمال الآية أكثر من معنى ؛ ذلك أن الأصل في الكلام رجوع المذكر والمؤنث على مثلهما ، لكن جواز رجوعه على مؤنث وهو مذكر والعكس أعطى احتمالات أخرى للآية ، كما أن الرجوع إلى المعنى الموافق للمذكر أو المؤنث قد يختلف العلماء في تقديره فيؤدي إلى تغير معنى الآية أحيانا .

ويمكن إبراز أثر الأسلوب في التفسير من خلال الصور التالية :

الصورة الأولى : وهي أثره في توجيه القراءات ، ومثالها في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٨٠]

على قراءة :﴿ لِتُحْصِنَكُم ﴾ هناك احتمالان لتأنيث الفعل ذكرهما الفراء ، فقال في معرض ذكر القراءات في هذه الكلمة : " ومن قال : (لِتُحْصِنَكُم) بالتاء ذهب إلى تأنيث الصنعة ، **وإن شئت جعلته لتأنيث الدروع ؛ لأنها هي اللبوس**" [٣] .

= محذوف مثل : (عِدة) أصلها وعد .

(١) انظر : معاني الفراء ١: ٣٧٨، ٣٧٩ و ١: ٤٥٤ ، كما في الأوزان التي يستوي فيها المذكر والمؤنث، كـ (فعول) ، مثل : صبور و(مفْعال) مثل : معطار ، أو لأنه اسم جامد كإنسان .

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، اجتمع فيه علة الفصل بين الفعل والفاعل، وعلة أن الفاعل مصدر .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢ : ٢٠٩ .

فجعل التوجيه الأول للتأنيث على لفظ الصنعة ، والثاني على المعنى المفهوم من اللبوس ، فساعد الأسلوب على تعدد التوجيه لهذه القراءة وإن كان المعنيان متقاربين [(١)].

الصورة الثانية : وفيها أثر الأسلوب في تغير المعنى والخلاف ، **ومثالها** قوله ﷻ : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ [الأعراف : ٥٦ – ٥٧] .

كثرت أقوال العلماء في توجيه تذكير قوله : ﴿ قَرِيبٌ ﴾ في الآية وهو وصف لـ ﴿ رَحْمَتَ ﴾ وهي مؤنث ، وكان للمذاهب النحوية أثرها في ذلك [(٢)] ، وكان لأصحاب كتب المعاني كذلك توجيهات مختلفة [(٣)] لكن الذي يعنينا من تلك التوجيهات ما كان له أثر في المعنى ، والذي نريد أن نقف عنده من تلك التوجيهات هو قول الأخفش [(٤)] أن الرحمة بمعنى المطر ، وقول الزجاج [(٥)] أنها بتأويل العفو والغفران ، وقد دفعهما إلى ذلك ليعود (قَرِيبٌ) على مذكر مثله، وقد ذكرت في اللمحة عن الأسلوب أن من أهم الأحوال التي يؤثر فيها هذا الأسلوب هو العود على المعنى ؛ فيرجعون على معنى مذكر وهو في اللفظ مؤنث والعكس .

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ١١: ٣٢١ ، وروح المعاني ١٧: ٧٧ ، وزاد المسير ٥ : ٣٧٤ ، وإبراز المعاني من حرز الأماني لعبد الرحمن بن إسماعيل ٢ : ٥٩٩ .

(٢) تكلم الألوسي باستفاضة عن توجيه العلماء لهذه الآية ، وقد ذكر أكثر من ثلاثة عشر توجيها ، وهو قد ذكر حاصل كلام ابن هشام ، فراجعه إن شئت . انظر : روح المعاني ٨ : ١٤١ .

(٣) للأخفش ثلاثة أجوبة عنه ، الأول : إنه كقول العرب : ريح حريق ، وملحفة جديد وشاة سديس ، الثاني : إن تفسير الرحمة هاهنا : المطر ونحوه ، الثالث : إن ذلك كبعض ما يذكرون من المؤنث . انظر : معانيه (٢ : ٥١٩ ، ٥٢٠) . وقال أبو عبيدة : تذكير قريب على تذكير المكان أي: مكان قريب ... مجاز القرآن ١ : ٢١٦ ، أما الفراء فقال : إن القريب إذا كان بمعنى المسافة فيذكر ويؤنث ، وإن كان بمعنى النسب [أراد : القرابة] فيؤنث بلا اختلاف بينهم . معاني الفراء ١ : ٣٨٠ ، وهذا اختيار الطبري . انظر : تفسير الطبري ٨ : ٢٠٨ ، أما الزجاج فأول الرحمة بمعنى الغفران ، وقال هما بمعنى واحد ، وكذلك كل مؤنث غير حقيقي . انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢ : ٣٤٤ .

(٤) انظر : معاني الأخفش ٢ : ٥١٩ ، ٥٢٠ .

(٥) انظر : معاني الزجاج ٢ : ٣٤٤ .

وقد أُنكر على الأخفش قوله هذا ، قال الطبري : " **وقد أنكر ذلك من قيله** [أي قول الأخفش] **بعض أهل العربية،** ورأى أنه يلزمه - إن جاز أن يذكّر (قَرِيبٌ) توجيها منه للرحمة إلى معنى المطر ، أن يقول : (هند قام) توجيها منه لهند - وهي امرأة - إلى معنى إنسان " (١) .

وقال الألوسي : " ونقل ذلك عن الأخفش [أي : أن الرحمة بمعنى المطر] والمطر مذكّر وأيد بأن الرحمة فيما بعد بمعنى المطر (٢) ، واعترض عليه من أوجه :

أحدها : أنه لو كانت الرحمة الثانية هي الرحمة الأولى لم تذكر ظاهرة على ما هو الظاهر إذ الموضع للضمير .

ثانيها : أنه إذا أمكن الحمل على العام لا يعدل إلى الخاص ، ولا ضرورة هنا إلى الحمل كما لا يخفى .

ثالثها : أن الرحمة التي هي المطر لا تختص بالمحسنين ؛ لأن الله - سبحانه - يرزق الطائع والعاصي ، وإنما المختص في عرف الشرع هو الرحمة التي هي الغفران والتجاوز والثواب، والجواب عن هذا بأنه كما جاز تخصيص الخطاب بالرحمة بالمعنى الشرعي بالمحسنين على سبيل الترغيب كذلك يجوز تخصيص المطر الذي هو سبب الأرزاق بهم ترغيبا في الإحسان ليس بشيء عندي .

رابعها : أنك لو قلت : مطر الله قريب ، لوجدت هذه الإضافة مما تمجها الأسماع ، وتنبو عنها الطباع ، بخلاف (إن رحمة الله) ، فدل على أنه ليس بمنزلته في المعنى ، وأجيب عنه بأن مجموع (رحمةَ الله) استعمل مرادا به المطر ، وبأن الإضافة في (مطر الله) إنما لم تحسن للعلم بالاختصاص ، ولا كذلك رحمة الله تعالى ، وهذا كما يحسن أن يقال : كلام الله تعالى ، ولا يحسن أن يقال : قرآن الله سبحانه ، **والإنصاف أن هذا القول ليس بشيء كما لا يخفى على ذي ذهن طري"** (٣) .

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٨ : ٢٠٨ .

(٢) وهي قوله تعال : ﴿ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾[الأعراف: ٥٧] ، ولأنه قد تقدم ما يقتضيه فحمل المذكر عليه . انظر : البرهان في علوم القرآن ٣ : ٣٦٠ .

(٣) روح المعاني ٨ : ١٤٣ .

أما قول الزجاج : إن الرحمة بمعنى العفو والغفران فهو أقرب من قول الأخفش؛ لأن العفو والغفران مختص بالمحسنين والمؤمنين، والعفو والغفران كذلك مختص بالله تعـالى، فـلا يملكه إلا هو، والله أعلم .

وبه يتبين كيف كان لأسلوب إطلاق المذكر على المؤنث أثر في توجيه هذه الآيـة التوجيهات المختلفة، والتي أثرت في تغير المعنى على كل توجيه، وأن المعنى المقدر الذي يعود عليه المذكر قد يختلف تقديره، مما يؤدي إلى اختلاف المعنى .

ومثال الصورة الثانية أيضا : قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾ [المـدثر: ٣٥ – ٣٦] .

لما كان قوله تعالى : ﴿ نَذِيرًا ﴾ مذكراً وجاء بعد مؤنث وهو الـضمير (هـا) في قوله: (إِنَّهَا)، وقولُه: ﴿ لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴾ اختلفت أنظار العلماء في قوله: ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾، على أي شيء يعـود ؟

وقد حمل ذلك بعض العلماء - ووافقهم الزجاج [(١)] - على القول بأن (نَذِيرًا) متعلق بـ ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ [المدثر : ٢] في أول السورة ، فيصير المعنى : قم يا محمد نذيرا للبشر، فيتفق المذكر مع المذكر .

وقد رد الفراء هذا القول، **فقال : " ليس ذلـك بـشيء - والله أعلـم - ؛ لأنّ الكلام قد حدث بينهما شيء منه كثير "** [(٢)] .

وبعضهم أبقى (نَذِيرًا) متعلقة بالنار ، وجعل هذا من متعلقات أسلوب إطلاق المذكر علـى المؤنث، ووجه هذا على أن (نَذِيرًا) يعود على معنى **العذاب** الذي تتضمنه النـار، ولفظـه

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥: ٢٤٩ . هذا القول منسوب إلى : ابن زيد واختيار الخليل ، انظـر : المحرر الوجيز ٥: ٣٩٨ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ : ٢٠٥ ، كذلك رده القرطبي . انظر : تفـسير القـرطبي ١٩: ٨٥ ، وذهـب بعضهم إلى أن النذير هو : الله تعالى ، وقيل هو : القرآن . انظر : فتح القـدير ٥ : ٣٣١ ، وقـد أحـسن الشوكاني في جمع الأقوال في إعراب الآية فراجعه إن شئت .

مذكر فصلح ، وهو القول الآخر للزجاج ، وقال الفراء : هـو مـصدر بمعـنى الإنـذار والمصادر لا تؤنث ا.هـ [(١)] .

وبهذا يتبين كيف كان لهذا الأسلوب العربي شأنه في الخلاف وتعدد الأقوال .

ومثالها كذلك في أثر الأسـلوب في الخـلاف : قـال ﷻ : ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٣٧] .

يبين الله تعالى في هذه الآية الحكم في المهر المفروض للمرأة إذا طلقت قبل المـسيس وأن للمطلقات منه نصفه وللأزواج نصفه، هذا هو الواجب ما لم يدخله عفو ومسامحة بأن تعفو عن نصفها لزوجها، أو يعفو الزوج أو ولي المرأة - على قول - ، ثم رغب في العفو، وأن من عفا كان أقرب لتقواه، فقال الله – تعالى -:﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾، وهنا ظاهر الخطاب للرجال، إلا أنه يحتمل أن يكون للرجال والنساء معا، فإن من أحوال إطلاق المذكّر على المؤنث أنه إذا اجتمعا غُلب المذكّر على المؤنث في الخطاب .

وهذا ما بينه الزجاج، قال: " ظاهر هذا الخطاب للرجال خاصة دون النساء [سـواء أقلنا أنهم الأزواج أم الأولياء] " وهذا هو القول الأول في الآية [(٢)]، ثم بين الزجاج الاحتمال الثاني في الآية، فقال: " وهو محتمل أن يكون للفريقين [أي الرجال والنساء]؛ لأن الخطاب إذا وقع على مذكرين ومؤنثين غُلب التذكير؛ لأن الأول أمكن " [(٣)] .

وهذا هو قول أكثر المفسرين من السلف والخلف [(٤)] .

---

(١) وهذه الأقوال منقولة في التفسير بالمأثور . انظر : تفسير الطبري ٢٩: ١٦٤ .

(٢) وهو مروي عن الضحاك والشعبي . انظر : تفسير الطبري ٢: ٥٥١ ، والدر المنثور ١: ٧٠٠ ، ورجحه أبـو حيان الأندلسي ، قال : وكون عفو الزوج أقرب للتقوى من حيث إنه كسر قلب مطلقته فيجبرها بدفع جميع الصداق لها ؛ إذْ كان قد فاتها منه صحبته فلا يفوتها منه نحلته ؛ إذ لا شيء أصعب على النساء من الطلاق، فإذا بذل لها جميع المهر لم تيأس من ردها إليه، واستشعرت من نفسها أنه مرغوب فيها فانجبرت بذلك ا.هـ

(٣) معاني الزجاج ١: ٣١٩ ، ٣٢٠ ، وكلامه يدل على أن الأصل التذكير .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢: ٥٥١ . وانظر تفسير الثعلبي ٢: ١٩٤ ، وتفسير ابن كـثير ١: ٢٩٠ ، وزاد المـسير ١ : ٢٨١ ، والدر المنثور ١: ٧٠٠ .

فيتضح في هذا المثال مدى أثر هذا الأسلوب في التفسير؛ وأن احتمال اللفظ وهـو مذكر أن يكون شاملا للمؤنث بسبب التغليب ساعد على الخلاف في معنى الآية .

الصورة الثالثة : وهي أثره في تعدد المعاني للآية الكريمة ، ومن أمثلتها قولـه ﷻ : ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ [القيامة : ١٤] .

تأنيث لفظ ﴿ بَصِيرَةٌ ﴾ في الآية مع عدم وجود مؤنث ظاهر ترجع إليه ساعد على وقوع خلاف في مرجعها ، وفي معنى الآية ، على قولين :

الأول : قال بعض المفسرين (بَصِيرَةٌ) من خبر الإنسان، وإن كان مذكراً ، واختلفوا على هذا القول في توجيه التأنيث في (بَصِيرَةٌ) ، على قولين :

أ - إن التاء هنا ليست للتأنيث لكنها للمبالغة ، وهـو رأي أبي عبيـدة وغـيره، قال : " جاءت هذه الهاء [يعني تاء التأنيـث] في صفة الذكر كما جاءت في راويـة وعلامـة وطاغية " (١) .

ويكون معنى الآية على هذا التوجيه : بل الإنسان شهيد على نفسه ، عالم بما فعلـه ولو اعتذر وأنكر ، وهذا المعنى وارد عن السلف (٢) .

ب - قال آخرون : إن (بَصِيرَةٌ) ترجع على الإنسان أيضا ، لكن لا على لفظه بل على معنى الجوارح المضمن فيه ، ولفظ (الجوارح) مؤنث فصح رجوع بـصيرة عليهـا، ويكون المعنى : أن جوارح الإنسان على نفسه بصيرةٌ وشاهدةٌ عليه ، وهذا معنـاه مغـاير للقول الأول كما هو واضح (٣) .

القول الثاني في مرجع (بَصِيرَةٌ) : أن بصيرة خبر لاسم مؤنث محذوف ، واختلفوا في تقديره على قولين أيضا :

---

(١) مجاز القرآن ٢ : ٢٧٧ .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤ : ٤٤٩ ، والدر المنثور ٨ : ٣٤٧ .
(٣) وكذلك معنى هذا القول جاء عن السلف . انظر : الدر المنثور ٨: ٣٤٧ . وهذا معنى كلام الزجاج . انظـر معاني الزجاج ٥: ٢٥٢، ٢٥٣ ، وهو قول ابن قتيبة وقال : لأنها منه - أي جوارحه - فأقامه مقامها ا.هـ ـ تأويل مشكل القرآن ص : ١٩٣ .

أ - منهم من قدر كلمة (حجة) ، ؛ فيكون المعنى : بل الإنسان على نفسه حجـة بصيرة ، وهذا قد فهم من كلام الأخفش [١] .

ب - ومنهم من قدر (عين) وعليه يكون المعنى : بل الإنسان على نفـسه عـين بصيرة، وهذا التقدير قد فهم من قول الفراء [٢] ، والمعنى على هذا التقدير يحتمل أن يرجـع إلى القول الأول ، وأن الجوارح بصيرة على الإنسان .

كما جوز عليه أن تكون العين البصيرة هما الملكان الكاتبان - والله تعالى أعلم - وبه يتبين كيف كان لهذا الأسلوب الأثر في الخلاف وتعدد معاني الآية . [٣].

---

(١) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢ : ٧٢١ ، وانظر : تفسير النسفي ٤ : ٣٠٠ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ : ٢١١ ، وتفسير القرطبي ١٩: ١٠٠ ، وروح المعاني ٢٩ : ١٤١ .

(٣) لمزيد من الأمثلة انظر : تفسير قوله ﷻ : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [يونس: ٣٨]، معاني القرآن للنحاس ٣: ٢٩٣ ، وتفسير قوله ﷻ : ﴿ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨] في قراءة يحيى بن وثاب بخفض (المتينِ) جعله من نعت – القوة، وإن كانت مؤنثة في اللفظ . معاني القرآن للفراء ٣ : ٩٠ .

المبحث السادس

أسـلوب التقديم والتأخير

أولا : لمحة عن الأسلوب

يعتبر التقديم والتأخير من الأساليب البلاغية الجميلة التي تفنن العرب في استعمالها في كلامهم وأشعارهم دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام ، فكان له في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق [١] ، قال ابن فارس : " ومن سنن العرب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر ، وتأخيره وهو في المعنى مقدم ، كقول ذي الرمة [٢] :

ما بالُ عينِك منها الماءُ ينسكب : كأنه من كُلى مفرية سرِب " [٣]

أراد : مابال عينك ينسكب الماء منها .

والتقديم والتأخير أيضا من الأساليب التي نزل بها القرآن الكريم ، بل هو من أجـل مباحث علوم القرآن وأقدمها [٤] ، وقد نص أصحاب كتب المعاني على هـذا الأسـلوب وحملوا عليه آيات عديدة ، إلا أنهم لم يتعرضوا لهذا الأسلوب بالشرح والتفصيل بـشكل كاف [٥].

هذا ويمكن الإشارة إلى أسلوب التقديم والتأخير من خلال النقاط التالية :

---

(١) انظر : البرهان في علوم القرآن ٣ : ٢٣٣ .

(٢) البيت في ديوانه ص : ١ . وذو الرمة : هو غيلان بن عقبة بن بهيش أبو الحارث العدوي ، أحد شعراء الإسلام المعروفين ، قيل إن الشعراء ختموا به ، توفي بأصبهان سنة ١١٧ هـ . انظر : الـشعر والـشعراء ١ : ٥٢٤ وسير أعلام النبلاء ٥ : ٢٦٧ ، واكتفاء القنوع لادورد فنديك ١ : ٤٤ .

(٣) الصاحبي ص : ٤١٢ .

(٤) انظر : الأقوال الشاذة في التفسير للدكتور / عبد الرحمن الدهش ص : ٢٤٣ .

(٥) لم ينص أبو عبيدة على هذا الأسلوب ضمن الأساليب التي ذكرها في المقدمة مع مكانة هذا الأسلوب وأهميته ! وغالب المواضع التي ذكر فيها أن العرب تقدم وتؤخر ، واستشهد لها بأبيات من الشعر كانت للقسم الثاني من أقسام المقدم والمؤخر وهو المقدم والمعنى عليه والمؤخر والمعنى عليه ، وسيأتي أمثلة من كلامه .

أ - أقسامه :

يطلق المقدم والمؤخر في كلام العلماء ويراد به أحد أمرين ، وهذان الأمران ليس بينهما ارتباط أو علاقة [١] :

فالأول : المقدم وهو في المعنى أو في النية مؤخر - وهو المراد بالبحث هنا - وقد وضحه الجُرجاني [٢] بقوله : " وذلك في كلّ شيءٍ أقررته [أي أبقيته] مع التقديم على حكمه الذي كان عليه ، وفي جنسه الذي كانَ فيه ، كخبرِ المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل ، كقولك : منطلق زيد ، وضرب عمراً زيد ، معلوم أن منطلق وعمراً لم يخرجا بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعاً بذلك ، وكون ذلك مفعولاً ومنصوباً من أجله كما يكونُ إذا أخرت " [٣] .

ومثال هذا النوع قول الله ﷻ :﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : ٢٨] والتقدير : إنما يخشى العلماءُ اللهَ ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية : ٢٣] وترتيب الآية : أفرأيت من اتخذ هواه إلهَه [٤].

ويكون دليل هذا النوع تارة الإعراب وتارة المعنى وتارة الإعراب والمعنى معا [٥].

الثاني : ما قدم لا على نية التأخير ، والمقصود بهذا النوع تقدم الكلمة في الذكْر على غيرها لاختصاصٍ المقدم بما يوجِب له ذلك [٦] ، كتقديم المهاجرين على الأنصار في قول الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ [التوبة : ١٠٠] ، وكتقديم الجهاد بالأموال على الجهاد بالنفس في آيات كثيرة ،كما في قوله تعالى : ﴿ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال : ٧٢] وهكذا .

---

(١) انظر : البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣ : ٢٣٨ ، ودلائل الإعجاز ١: ٩٦ ، والمثل السائر ٢ : ٣٥ .

(٢) عبد القاهر بن عبد الرحمن أبو بكر الجرجاني النحوي الشافعي، أخذ النحو عن أبي الحسين محمد بن الحسن الفارسي ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي وأخذ عنه على بن أبي زيد، له كتاب الجمل وشرحه بكتاب سماه التلخيص، والعمد في التصريف، توفي سنة ٤٧١ . انظر: بغية الوعاة ٢ :١٠٦ ، طبقات الشافعية ١ :٢٥٢ .

(٣) دلائل الإعجاز ١: ٩٦ .

(٤) انظر : معاني الفراء ٣ :٩٥ ، ٩٦ .

(٥) انظر : البرهان في علوم القرآن ٣ : ٢٧٥ .

(٦) انظر : المثل السائر ٢ : ٣٥ ، ودلائل الإعجاز ١: ٩٦ .

وهذا النوع كان أبو عبيدة ينبه عليه ويستشهد له خلافا للقسم الأول ، وذلك كقوله : " قال - تعالى - : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ [النحل : ٧٨] قبل أن يخرجكم ، ثم أخرجكم **والعرب تقدم وتؤخر** ، قال الأخطل [١] :

ضخم تعلق أشناق الديات به : إذا المئُونَ أُمرت فوقه حملا

الشنق : ما بين الفريضتين ؛ المئون أعظم من الشنق ، فبدأ **بالأقل قبل الأعظم** " [٢] .

فنبه أبو عبيدة هنا إلى أن جعلَ اللهِ - تعالى- السمع والأبصار لنا مقدم زمناً على الخروج من بطون الأمهات ، لكنه في الآية أُخر في الترتيب الذكْري .

ويلاحظ كذلك في الأمثلة أنه أدخل أمورا في مسمى التقديم والتأخير قد استقر الاصطلاح عليها بغير هذا الاسم ، كما ذكر عند قوله ﷻ: ﴿ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة : ٧] [٣]، قال : " مجازه : أحسن خلْق كل شيء ، والعرب تفعل هذا **يقدمون ويؤخرون** ، قال الشاعر[٤] :

وطَعني إليك الليلَ حضنيه إنني : لتلك إذا هاب الهدانُ فَعولُ

معناه : وطعني حضني الليل إليك . وقال الراعي [٥] :

كأنّ هندا ثناياها وبهجتها : يوم التقينا على أدحالِ دبابِ

---

(١) هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبي ، شاعر مشهور يضاهى بالفرزدق وجرير ، لُقب بالأخطل لقول كعب بن جعيل له : إنك لأخطل يا غلام ، أي : أحمق . انظر : الشعر والشعراء ١ : ٤٨٣ ، وطبقات فحول الشعراء لمحمد الجمحي ٢ : ٢٩٨ . والبيت في ديوانه ١: ٢٢٢ . ومعنى ضخم تعلق أشناق الديات به أي : يحتمل الديات وافية كاملة زائدة . انظر : لسان العرب ١٠: ١٨٩ مادة (شنق) .

(٢) مجاز القرآن ١ : ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

(٣) كلامه هذا على قراءة تسكين اللام في قوله تعالى: (خلْقه) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.انظر : السبعة في القراءات ١ : ٥١٦.

(٤) هو حميد بن ثور الهلالي ، والبيت في ديوانه ص : ١١٦ بلفظ (وقطعي إليك) و (إذا هاب الرجال) . وطعن الليل أي : سار فيه كله . ينظر : تاج العروس ٣٥ : ٣٥٣ مادة (طعن) ، والهدان : الأحمق الجافي الوخم الثقيل في الحرب . انظر : لسان العرب ١٣: ٤٣٥ .

(٥) هو الراعي النميري، والبيت في ديوانه ص: ١٢. ودباب: بلد في ديار غطفان. انظر: معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري ٢ :٥٤٠ .

أي كأن ثنيا هند وبهجةَ هند " [١] .

فإن هذا كله يسمى في اصطلاح النحويين البدل جعله من المقدم والمؤخر .

ب - أسبابه ومقتضياته :

ذكر العلماء لكل قسم من أقسام التقديم والتأخير أسبابا ومقتضيات ، لاسيما في القسم الثاني وهو المقدم لا على نية التأخير ، قال عنه ابن الأثير : " فإنه مما لا يحصره حد، ولا ينتهي إليه شرح " [٢] .

وقال الزركشي : " ومقتضياته كثيرة قد يسر الله منها خمسا وعشرين " [٣]

ذكر منها السبق ،كالسبق في الزمان ،كقوله تعالى : ﴿ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٩] حيث قدم ذكر إبراهيم عليه السلام على موسى عليه السلام ؛ لأنه يسبقه في الزمن ، وذكر كذلك الترقي ، كقوله - تعالى - : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر : ٣٢] ، وكذلك تقديم السبب على المُسبب وغيرها .

وهذه المقتضيات قد تتداخل ، وقد يجوز أن يجتمع في الموطن الواحد أكثر من مقتضى، والله أعلم .

أما القسم الأول وهو المقدم على نية التأخير فأهم مقتضياته وفوائده الاختصاص والحصر والعناية ، كقول الله جل جلاله : ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ ﴾ [الزمر: ٦٦] تفيد اختصاص الله عز وجل بالعبادة دون غيره ، ولا يستفاد هذا المعنى لو قلت في الكلام : بل اعبد الله ، والله أعلم .

ج - شرط القول بالتقديم والتأخير

الأصل في الكلام أن يكون على نسقه وترتيبه ، والقول بالتقديم والتأخير خلاف الأصل ، ولا يصار إلى ذلك إلا ببينة واضحة ، والدليل عليه قد يكون من الإعراب، أو المعنى كما سبق [٤] .

---

(١) مجاز القرآن ٢ : ١٣٠ ، ١٣١ .
(٢) المثل السائر لابن الأثير ٢ : ٣٥ .
(٣) البرهان في علوم القرآن ٣ : ٢٣٨ .
(٤) راجع (ص : ١٠٧) من هذا المبحث .

قال شيخ الإسلام : "و التقديم و التأخير على خلاف الأصل ، فالأصل إقرار الكلام على نظمه وترتيبه ، لا تغيير ترتيبه ، ثم إنما يجوز فيه التقديم والتأخير مع القرينة ، أما مع اللبس فلا يجوز ؛ لأنه يلتبس على المخاطب " (١) .

ثانيا : أثر أسلوب التقديم والتأخير في التفسير

الآيات التي جرت على أسلوب التقديم والتأخير كثيرة ، فكان لهذا الأسلوب أثره الكبير في التفسير ويظهر ذلك بعدة آثار :

الأثر الأول : في فهم المعنى واتضاحه **، ومثاله** قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ [غافر : ١٠]

قال النحاس : " في الكلام تقديم وتأخير ، وقد بينه أهل التفسير ، قال الحسن : يعطون كتابهم ، فإذا نظروا في سيئاتهم مقتوا أنفسهم ، فينادون : لمقت الله إياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم .

وقال مجاهد : إذا عاينوا أعمالهم السيئة مقتوا أنفسهم، فنودوا : لمقت الله لكم إذ تدعون إلى الإيمان أكبر من مقتكم أنفسكم إذا عاينتم النار " (٢)

وهنا أثر التقديم والتأخير واضح في فهم المعنى واتضاحه؛ إذ قد يذهب الذهن إلى تعلق قول الله ﷻ :﴿ إِذْ تُدْعَوْنَ ﴾ بقوله تعالى : ﴿ مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ فيكون المعنى أن الكفار يمقتون أنفسهم في الدنيا حين يدعون إلى الإيمان فيكفرون .

الأثر الثاني : وهو في تعدد المعاني للآية الواحدة **، ومثاله قول الله تعالى** : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة : ٥٥]

قال الفراء : " معناه : فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، هذا معناه، ولكنه أُخر ومعناه التقديم - والله أعلم- لأنه إنما أراد : لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في

---

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ١٦ : ٢١٨ .

(٢) معاني النحاس ٦ : ٢٠٦ .

الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة...، ولو جعلت ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مـؤخرة، وأردت: إنما يريد الله ليعذبهم بالإنفاق كرها؛ ليعذبهم بـذلك في الـدنيا، لكـان وجهـا حسنا" (١) .

فساعد أسلوب التقديم والتأخير على تعدد معاني هذه الآية، وحملها علـى معنـيين صحيحين، الأول : أن تعذيبهم بالأموال والأولاد يكون في الدنيا؛ وذلك الإنفاق منها كرها - وهذا يكون للمنافقين خاصة – أو بما يصيبهم من الجزع على فقد الأولاد إذا قتلـوا في الغزو، أو لما يكابدون بجمعها وحفظها المتاعب ويقاسون فيها الشدائد والمـصائب ولـيس عندهم في هذا كله من الاعتقاد بثواب الله تعالى ما يهون عليهم ما يجدونه (٢) .

والثاني: أن الله يعذبهم بها في الآخرة لأنهم منافقون وكارهون لما ينفقون ، ويكون قوله تعالى ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ متأخر عن متعلقه : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ﴾ .

ومثاله أيضا في تعدد المعاني قولـه تعـالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف : ٢].قال الفراء : " ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ مؤخر، ومعناه : (المـص) كتاب أنزل إليك لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج منه . " (٣) .

فحمل الفراء الآية على التقديم والتأخير، وأن قوله ﷻ : ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ مؤخر معناه التقديم متعلق بـ (أُنزِلَ) ، فيكون تعليلاً لإنزال الكتاب .أما إذا أبقينا الآية على ترتيبها- كما هو القول الآخر في الآية – فإن قوله ﷻ :﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ متعلق بالنهي : (فَلَا يَكُن) فيكون تعليلاً لنهيه عن أن يكون في صدره حرج من الكتاب ، وهذا معنى مختلف .

وبين الشوكاني وجه الاختلاف في المعنى على القولين، مبينا وجه ارتبـاط انتفـاء الحرج بالإنذار، فقال: " والضمير في ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ راجع إلى الكتاب، أي: لتنـذر النـاس بالكتاب الذي أنزلناه إليك ، وهو متعلق بـ (أُنزِلَ) ، أي : أُنزل إليك لإنذارك للناس بـه، أو متعلق بالنهي [وهو قوله : ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾] ؛ **لأن انتفاءَ الشك** في **كونِه منزلاً**

---

(١) معاني القرآن للفراء ١ : ٤٤٢ . والقول الأول هو قول قتادة ، والثاني قول الحسن البصري ، انظـر : تفـسير الطبري ١٠: ١٥٣ ، وتفسير ابن كثير٢: ٣٦٤ وقد رجحا الاحتمال الثاني .

(٢) انظر : روح المعاني ١٠: ١١٧

(٣) معاني القرآن للفراء ١ :٣٧١ .

من عند الله، أو انتفاءَ الخوف من قومه يقويه على الإنذار ويشجعه؛ لأن المتيقن يقدم على بصيرة، ويباشر بقوة نفس " (١) .

وفسر الطبري أيضا الآية على التقديم والتأخير ، ثم قال : " ولو قيل: معنى ذلك : هذا كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه أن تنذر به وتذكر به المؤمنين، كان قولا غير مدفوعة صحته " (٢) .

فبين أن المعنى : لا تتحرج يا محمد به في إبلاغه والإنذار به ، وأن هذا مما تحتمله الآية . فأفاد القول بتأخير ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ معنى آخر لا يستفاد لو كانت الآية على ترتيبها والله أعلم .

الأثر الثالث : ويظهر في تغير المعنى والخلاف بين المفسرين وتخريج ما أشكل من الآيات ، **ومثاله** قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ [الزلزلة: ٤ - ٦]

من فسر قوله تعالى : ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ بأنه الصدور من أرض المحشر أشكل عليه قوله : ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ إذ الصدور يكون بعد رؤية الأعمال والحساب عليها ؟

أجاب الفراء عن هذا الإشكال مستعملا أسلوب التقديم والتأخير فقال : " ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ يقول تحدث أخبارها بوحي الله - تبارك وتعالى- وإذنه لها، ثم قال: ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ فهي- فيما جاء به التفسير- متأخرة وهذا موضعها ، اعترض بينهما ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ مقدم معناه التأخير " (٣) .

فيكون المعنى: يومئذ تحدث الأرض أخبارها وتشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها ليريهم الله أعمالهم، يومئذ يصدر الناس، وبهذا تخلص الفراء من الإشكال الوارد في الآية ! .

---

(١) فتح القدير ٢ : ١٨٧ .
(٢) تفسير الطبري ٨ : ١١٧ .
(٣) معاني القرآن للفراء ٣ : ٢٣٨ .

لكن نقل ابن عطية عن الجمهور أن الصدور في الآية من القبر! والورود كان إليه[١]، وعليه فلا تقديم ولا تأخير، والآية على ترتيبها .

فهنا ساعد الأسلوب على تخريج الإشكال المذكور على ذلك القول [٢].

الأثر الرابع : ويظهر فيه أن عدم مراعاة شرط القول بالتقديم والتأخير أدى إلى الشذوذ في التفسير، وظهور أقوال ضعيفة ، ومثاله في قوله تعـالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة : ١٠٦] .

قال أبو عبيدة : " ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ﴾ ، أي : نأتيك منها بخير " .

فجعل الآية على التقديم والتأخير ، وكأن أبا عبيدة - والله أعلـم - أشكل عليه ما تفيده الآية من تفاضل آيات القرآن الكريم ، فقال بالتقديم والتأخير هروبا من هذا المعنى .

وقد تعقبه ابن حجر[٣]، فقال : " وقد روى ابن أبي حاتم [٤] من طريق علي بن أبي طلحة [٥] عن ابن عباس في قوله : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ﴾ أي : في المنفعة، والرفق، والرفعة، وفي **هذا تعقب على من قال: فيه تقديم وتأخير،** والتقدير : نأت منها بخير " [٦] .

---

(١) المحرر الوجيز ٥ : ٥١١ .

(٢) ذكر المفسرون احتمالا آخر في الآية وأنها على ترتيبها ، والصدور من المحشر ، لكن قدروا محذوفا هو (جزاء) فيكون معنى الآية : ليروا جزاء أعمالهم . انظر : المرجع الأخير ، وتفسير البغوي ٤ : ٥١٦ .

(٣) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المصري المولد والمنشأ يعرف بابن حجر ، محدث مؤرخ من العلماء المحققين ، توفي سنة ٨٥٢ هـ ، له : فتح الباري ، وتجريد التفسير من صحيح البخاري وغيرها كثير . انظر : طبقات المفسرين للداودي ١ : ٣٢٩ ، ومعجم المؤلفين لكحالة ٢ : ٢٠ ، ٢١ .

(٤) هو عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر ، أبو محمد التميمي الرازي ، من الأئمة الحفاظ ، مات سنة ٣٢٧ هـ ، له التفسير المسند ، والجرح والتعديل . انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ٨٢٩ ، وطبقات المفسرين للسيوطي ١ : ٦٢ .

(٥) هو علي بن أبي طلحة سالم بن المخارق ، أبو الحسن مولى بني هاشم ، سكن حمص وأصله من الجزيرة، من مفسري التابعين روايته عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرسلة إلا أن العلماء اعتمدوها، روى عن أبي الوداك، وراشد بن سعد المقرائي ، وعنه أرطاة بن المنذر ، وبدل بن ميسرة ، مات سنة ١٤٣ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ٧ : ٢٩٨ ، ورجال مسلم لابن منجويه ٢ : ٥٦ ، وطبقات المفسرين للداودي ١ : ٢٤ .

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨ : ١٥٨ .

فليس المعنى على ما فهم أبو عبيدة ؛ لأن التفضيل من حيث المعنى لا من حيث الصفة ، أو من حيث النفع لنا ، لذلك قال الزجاج : " بخير منها لكم " [١] .

وبهذا يتبين كيف كان أسلوب التقديم والتأخير سببا في ظهور أقوال مخالفة لأقوال أهل التفسير دفع إليها اعتقاد خاطئ [٢].

---

(١) معاني الزجاج ١: ١٩٠ .

(٢) لمزيد من الأمثلة لهذا الأسلوب انظر : معاني الزجاج ١ : ٢١١ و ٣ :٩ و ١ :٢٩٤ و ٢ : ١٢٦ ، ١٢٧ في تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ إلى﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [البقرة:١٣٠]..وقوله: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ ﴾ [البقرة: ١٣١]،﴿ مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴾ [يونس: ١٢]،وقوله ﷻ : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ ﴾ [البقرة: ٢١٩ – ٢٢٠] وقوله تعالى : ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النساء: ١٥٣].
ومعاني الفراء ٣: ٢٥٦ في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾ [الأعلى: ٥] .
ومعاني الأخفش ٢ :٥٠٨ و ٢ : ٧٠٦ تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا ﴾ [الأنعام: ١٤٥] وقوله:﴿ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ [المجادلة: ٣] .

المبحث السابع

أسـ ـلوب القلـ ـب

أولا : لمحة عن أسلوب القلب [١]

القلب من الأساليب العربية التي وقع فيها خلاف بين علماء اللغة في كونـه مـن أساليب البلاغة أم لا، ثم في جواز حمل القرآن الكريم عليه ، وكان أبو عبيدة والفراء مـن أصحاب كتب المعاني ممن جوز حمل القرآن الكريم عليه ، وطبقوه في معـانيهم، وكـانوا يطلقون عليه أو يصفونه بالتحويل [٢] .

ويمكن تناول الأسلوب من خلال النقاط التالية :

أ - تعريفه :

القلب لغة : تحويل الشيء عن وجهه ، وقَلب الشيءَ وقلبه : حوله ظهراً لبطن [٣] .

اصطلاحا : جعلُ أحد أجزاء الكلام مكان الآخر ، والآخر مكانه ، على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر [٤] .

وبهذا القيد الأخير يخرج التقديم والتأخير ؛ لأن التقديم والتأخير وإن كان يجعل فيه أحد أجزاء الكلام مكانَ الآخر ، غير أن كلاً منهما لا يـأخذ حكم الآخر ، بل هو بـاقٍ على حكمه . تقول العرب : أدخلت الخاتمَ في إصبعي، والقلنسوةَ في رأسـي، والأصـل؛

---

(١) يبحث البلاغيون بعض أنواع القلب تحت مسمى : (المجاز العقلي). انظر : أسرار البلاغة ١: ٣١٦ والإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ١ : ٢٧ .

(٢) أما الزجاج فلم أقف على رأي واضح وصريح له في أسلوب القلب ، وأما النحاس فلا يرى جواز حمل القرآن على القلب والاضطرارات البعيدة ، كما عبر . انظر : إعراب القرآن ٥ : ٢٤٥ .

(٣) انظر : لسان العرب ١ : ٦٨٥ .

(٤) انظر : المصنف من الكلام على مغني ابن هشام (حاشية الشمني) ٢ : ٢٨٣ ، المطول شرح التلخيص للتفتازاني ص : ٢٩٧ ، وشرح الإيضاح في علوم البلاغة لعمر الخفاجي ٢ : ٩٧ ، ومعاهدة التنصيص لعبد الرحيم العباسي ١ : ١٧٨ .

أدخلت أصبعي في الخاتم ورأسي في القلنسوة، فجعل الخاتم والقلنسوة مكان الأصبع والرأس والعكس، وأخذ كلٌ حكم الآخر من حيث الإعراب . ومنه قول الشاعر [١] :

كانت فريضةُ ما تقولُ كما : كانَ الزناءُ فريضةَ الرجمِ

والمعنى : كما كان الرجم فريضةَ الزنا، فقلب، وأنشد الفراء :

إن سراجا لكريم مفخره : تحْلى به العين إذا ما تجهره [٢]

والمعنى : يحلى هو بالعين ، ففي هذا وأشباهه لما كان المعنى معلوما لدى السامع حولت العرب خبر الشيء المراد الإخبار عنه إلى شيء مصاحب له ونحو ذلك اتساعا واستخفافا .

ب - أنواعه :

أشهر أنواع القلب هو قلب الإسناد [٣] ؛ بأن تسند إلى الشيء وتريد غيره ، وله صور ذكرها أصحاب كتب المعاني :

١ - إسناد الفعل إلى المفعول وترك الفاعل : فينسب الفعل للمفعول في الأصل، ويجعل الفاعل مكانه ويعطى حكمه، كقولهم : خرق الثوب المسمار، وكسر الزجاج الحجر، ومنه قول الشاعر :

مثلُ القنافذ هداجونَ قد بلغت : نجرانَ أو بلغت سوآتهم هجر [٤]

والمعنى : سوآتهم هجر ؛ فرفع المفعول وهو (هجر) لأنها المبلوغة، ونصب الفاعل (السوآت)؛ لأنها البالغة، لأمن اللبس .

وقد أشار أبو عبيدة إلى هذا النوع من القلب في سياق ذكر الأساليب التي نزل بها القرآن الكريم ، فقال :" ومن مجاز ما يحول فعلُ الفاعل إلى المفعول أو إلى غير المفعول ، قال

---

(١) هو النابغة الجعدي . والبيت في اللآلي شرح أمالي القالي لعبد الله البكري ١ : ٣٦٨ ، ولسان العرب ١٤: ٣٥٩ ، مادة (زنا) .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ : ٢٧٣ ، لم أقف على قائله .

(٣) تنبيه : قد يرد مصطلح (القلب) في كلام العلماء ويكون في كلمة واحدة ، وهذا غير داخل في الأسلوب المراد ؛ لأنه متعلق بتقديم وتأخير حروف الكلمة الواحدة وهو داخل في علم الصرف ، مثل : جبذ وجذب ، ويئس وأيس وغير ذلك . وهناك أنواع أخرى تحت مسمى القلب غير داخلة في هذا البحث . انظر : البرهان في علوم القرآن ٣ : ٢٨٨ .

(٤) القائل هو : الأخطل ، والبيت في ديوانه (ط : دار الفكْر) ص : ١٥٤ ، وهداجون: من الهدج وهو السير السريع ، و(هجر) : اسم موضع بالبحرين . انظر : خزانة الأدب ٩ : ٢٧٣ .

[تعالى] : ﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ [القصص : ٧٦] **والعصبة هي التي تنوءُ بالمفاتح** " (١) .

وكذلك الفراء ، قال : " وقوله [تعالى] : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ [القصص : ٥٨] ... إنما المعنى - والله أعلم - أبطرتها معيشتها ؛ كما تقول : أبطرك مالُك وبطرته ، وأسفهك رأيك فسفهته . **فذُكرت المعيشة ؛ لأن الفعل كان لها في الأصل ، فحول إلى ما أضيفت إليه** " (٢) .

وبين الفراء أيضا هذا الأسلوب في موضع آخر ، وأن من شرطه عدم اللبس ، وأن يكون المعنى معلوما لدى السامع ، فقال : " وقوله [تعالى] : ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ [هود : ٢٨] ... وسمعت العرب تقول : قد عمي علي الخبر ، وعمي علي ، بمعنى واحد ، **وهذا مما حولت العرب الفعل إليه وليس له ؛ وهو في الأصل لغيره** ؛ ألا ترى أن الرجل الذي يعمى عن الخبر ، أو يعمى عنه [مراده أن المعنى : فعميتم عليها] لكنه في جوازه مثل قول العرب: دخل الخاتم في يدي ، والخف في رجلي ، وأنت تعلم أن الرجل التي تدخل في الخُف، والأصبع في الخاتم ، **فاستخفوا بذلك إذا كان المعنى معروفا ، لا يكون لذا في حال ولذا في حال، إنما هو لواحد** ، فاستجازوا ذلك لهذا " (٣) .

٢ - إسناد الشيء إلى الفاعل والمعنى للمفعول : وهذا عكس الأول .

قال أبو عبيدة : " ومن مجاز ما وقع المعنى على المفعول وحول إلى الفاعل، قال [الله تعالى] : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾ [البقرة : ١٧١] والمعنى على الشاء المنعوق به ، وحول على الراعي الذي ينعق بالشاء " (٤) .

---

(١) مجاز القرآن ١ : ١٢ .
(٢) معاني الفراء ٢ : ٣٠٨ .
(٣) معاني الفراء ٢ : ١٢ .
(٤) مجاز القرآن ١ : ١٢ .

٣ - إسناد الفعل المتعدي بنفسه إلى المجرور وجر المفعول به

قال أبو عبيدة : " والعرب تريد الشيء فتحوله إلى شيء من سببه ، يقولون : اعرض الناقة على الحوض ، وإنما تعرض الحوض على الناقة [(١)] ، ويقولون : هذا القميص لا يقطعني، ويقولون : أدخلت القلنسوة في رأسي ، وإنما أدخلت رأسك في القلنسوة، وكذلك الخف، وهذا الجنس " [(٢)] .

٤ - إسناد الفعل إلى الظرف الذي وقع فيه وترك الفاعل

الأصل أن يسند الفعل إلى فاعله، إلا أن من أساليب العرب أن تسند الفعل إلى الظرف والزمن الذي حدث فيه الفعل، وتغفل الفاعل .

قال الفراء : " وقوله [ﷻ] : ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [سبأ : ٣٣] المكر ليس لليل ولا للنهار، وإنما المعنى : بل مكركم بالليل والنهار، وقد يجوز أن نضيف الفعل إلى الليل والنهار ويكونا كالفاعلين ؛ لأن العرب تقول : نهارك صائم ، وليلك نائم ، ثم تضيف الفعل لليل والنهار وهي في المعنى للآدميين [المعنى : أنت صائم في نهارك، وقائم في ليلك] ، كما تقول: نام ليلك، وعزم الأمر، إنما عزمه القوم، **فهذا مما يُعرف معناه فتتسع به العرب** "[(٣)] .

يتلخص مما سبق أن القلب يكون بالإسناد إلى الشيء والمراد غيره ، مثل أن تسند الفعل إلى شيء وتريد غيره ، كما في الأمثلة السابقة .

وأيضا يتبين مما سبق حكمةُ القلب وشرطُه ، وأن العرب تفعل ذلك استخفافا واتساعا في الكلام ، **بشرط أن يكون المعنى معلوما لدى السامع، من غير أن يكون هناك لبس ،** وهذا أحد الأقوال في أسلوب القلب [(٤)].

---

(١) في الأصل كتبت : اعرض الحوض على الناقة ، وإنما تعرض الناقة على الحوض ، وهذا خطأ وتحريف .

(٢) مجاز القرآن ١ : ٦٣ .

ذكروا في النكتة البلاغية في مثل هذا أنه لما كان المناسب أن يتحرك المظروف نحو الظرف والمعروض إلى المعروض عليه وهو هنا بالعكس قلبوا الكلام رعاية لهذا الاعتبار . انظر : حاشية الشمني ٢ : ٢٨٣ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢ : ٣٦٣ .

(٤) أشار الأخفش أيضا إلى أسلوب القلب . انظر : معاني القرآن للأخفش ٢: ٦٥٤ ، ٦٦٣ .

ج - أقوال العلماء فيه :

اختلف العلماء في كون القلب من أساليب البلاغة ، ثم في جواز حمل القرآن الكريم عليه [١] :

فذهب كثير من علماء اللغة [٢] – منهم أبو عبيدة والفراء - إلى أنه من أساليب اللغة التي نطقت به العرب ، وجواز حمل القرآن الكريم عليه ، واشترطوا لذلك أمن اللبس[٣] .

وذهب بعضهم إلى إنكاره مطلقا [٤] ، وأنه ليس من أساليب البلاغة ، وإنما استعملته العرب في ضرورة الشعر خاصة ، ولا يجوز حمل القرآن الكريم عليه .

وقال آخرون : إن تضمن معنى لطيفا وسرا بلاغيا قُبل ، وإلا فلا [٥].

ثانيا : أثر أسلوب القلب في التفسير:

كان لهذا الأسلوب أثره الواضح في التفسير ، فإن حمل الآية على القلب يعطي الآية معنى مختلفا ، وأحيانا معاكسا لمعناها إذا لم تحمل عليه ، ويظهر أثر الأسلوب في صور:

الصورة الأولى : أثره في تعدد المعاني ، ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان : ١٠] .

---

(١) انظر في الخلاف : الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ١: ٧٨ ، والبرهان في علوم القرآن ٣ : ٢٨٨ ، ومعاهدة التنصيص ١ : ١٨٠ ، وأضواء البيان ٧ : ٢٢٨ .

(٢) انظر : أضواء البيان ٧ : ٢٢٨ .

(٣) نسبه الزركشي للمبرد في كتابه (ما اتفق لفظه واختلف معناه) . البرهان في علوم القرآن ٣ : ٢٨٨ . ومـن قال به من المفسرين : الطبري ، وحكم باستفاضة استعماله في العربية . انظر : تفسير الطبري ٢ : ٣٤٠ .

(٤) منهم أبو حيان . انظر : تفسير البحر المحيط ٨ : ٦٣ .

(٥) أشار الشنقيطي للخلاف باختصار – وهو من يهتم بأساليب العرب في تفسيره - ورجح أنه أسـلوب عـربي نطقت به العرب في لغتها ، إلا أنه يحفظ ما سمع منه ، ولا يقاس عليه ، قال: ومن أمثلته في التشبيه قول الراجز:

ومنهلٍ مغبرة أرجاؤه : كأن لونَ أرضه سماؤه

أي كأن سماءه لون أرضه ا.هـ . أضواء البيان ٧ : ٢٢٨ ، والرجز لرؤبة في ديوانه (مجموع أشعار العـرب) لوليم بن الورد ص : ٣ ، بلفظ : (وبلد) بدل (ومنهل) .

قال الزجاج : " العبوس : الذي يعبس الوجوه ، وهذا مثل قوله [ﷻ] : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٤] " (١) .

فحمل الزجاج الآية على القلب ، وأن العبوس وإن كان منسوبا إلى اليوم في الظاهر إلا أن المراد أهله ، كما قيل في قولهم : ليله نائم ، و نهاره صائم وما أشبه ذلك (٢) .

والقول الآخر : إن (العبوس) في الآية على ظاهره منسوب إلى اليوم ، وقد جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسيره ما هو قريب من هذا المعنى ، فقال : عبوس بمعنى ضيق .

وعلق عليه ابن كثير (٣) فقال عن قوله :" وأوضح العبارات وأجلاها وأحلاها وأعلاها وأولاها قول ابن عباس – رضي الله عنهما - " (٤) .

فهنا يتبين أثر القلب في تغير المعنى ؛ فإذا فسرت الآية على القلب كان العبوس منسوبا إلى وجوه البشر في ذلك اليوم ، وإلا كان العبوس من صفة اليوم ، بمعنى أنه ضيق وشديد ، وإن كان المعنيان بينهما نوع تلازم (٥) .

الصورة الثانية : وهي أثر الأسلوب في فهم المعنى ، وتوجيه أقوال السلف ، وأن عدم القول به والأخذ بمقتضى اللفظ سبب في تغير المعنى والخلاف ، ويتضح هذا بالمثال الآتي : قوله ﷻ : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ [الحاقة : ٣٠ – ٣٢].

مقتضى اللفظ في قوله : ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ أن الكافر هو الذي يدخل في السلسلة ، بمعنى أنها ستحيط به ، وليس هي التي تدخل فيه ؛ لأن ترتيب

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥ : ٢٥٩ .
(٢) هذا معنى قول طائفة من السلف . انظر : تفسير ابن كثير ٤: ٤٥٦ ، وكثير من المفسرين إن لم يكن أكثرهم .
(٣) عماد الدين أبو الفداء إسماعيلُ بن عمر بن كثير القيسي البصروي ، ولد سنة ٧٠٠ هـ ، إمام حافظ مفسر فقيه، مات بدمشق سنة ٧٧٤ هـ ، له البداية والنهاية ، ومسند الشيخين وعلوم الحديث وغير ذلك . انظر : ذيل طبقات الحفاظ للذهبي ١: ٣٦١ ، ٣٦٢ ، وطبقات المفسرين للداودي ١ : ٢٦٠ ، ٢٦١ .
(٤) تفسير ابن كثير ٤: ٤٥٦ .
(٥) انظر : تفسير البغوي ٤ : ٤٢٩ ، والتفسير الكبير ٣٠ : ٢١٧ .

الآية : فاسلكوه فيها ، أي : أدخلوه فيها ، لكن جاء في التفسير على خلاف هـذا المعـنى قال الفراء : " ذُكر أنها تدخل في دبر الكافر فتخرج من رأسه ،كذلك سلكه فيها، والمعنى: ثم اسلكوا **فيه** سلسلة ، ولكن العرب تقول : أدخلت رأسي في القلنـسوة ، وأدخلتـها في رأسي " (١) .

فالكلام على هذا القول ليس على مقتضى اللفظ، ويكون في الآية قلب ، فالمسلوك هي السلسلة .

وهذا المعنى هو قول السلف والمشهور من أقوال المفسرين ، إلا أن بعض المفـسرين قال : إن الآية على ظاهرها ، وليس في الآية قلب ، والمسلوك والمدخل هو الكافر ، وفـسر الألوسي (٢) معنى إدخال الكافر في السلسلة فقال : " **وإدخاله فيها بأن تُلف على جـسده وتلوى عليه من جميع جهاته ، فيبقى مرهقا فيما بينها لا يستطيع حراكا ما** "

ثم ذكر القول الآخر، وعزاه إلى من قال به من السلف ومن أخرج أقوالهم ، ثم قال: " **ومن هنا قيل : إن** في **الآية قلبا، والأصل فاسلكوها فيه، والجمهور على الظاهر** " (٣) .

فجعل القول بمقتضى اللفظ هو قول الجمهور ، وأنه هو الظاهر ! وهذا عجيب، فإن هذا القول الذي اختاره ونسبه إلى الجمهور ليس عليه دليل ، ولم أجـد مـن رواه عـن السلف (٤)، بل لم يتعرض لهذا القول أكثر المفسرين من أصحاب التفاسـير المـشهورة في تفاسيرهم .

وقال أبو حيان مرجحا القول الأول :" **ولا ضرورة تدعو إلى إخـراج الكـلام عن ظاهره، إلا إن دل الدليل الصحيح على خلافه " !** (٥) .

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣ : ١٨٢ .

(٢) هو أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي ، مفسر أديب لغوي ، صاحب تفسير روح المعاني ، توفي ببغداد سنة ١٢٧٠ هـ ، له مصنفات كثيرة منها : كتاب نشوة المدام في العود إلى دار السلام وكشف الطرة عن الغرة في شرح درة الغواص . انظر : فهرس الفهارس والأثبات لعبد الحي الكتاني ١: ١٣٩، ومعجم المؤلفين ١٢ : ١٧٥ .

(٣) روح المعاني ٢٩ : ٥٠ .

(٤) إلا ما روي عن أبي الدرداء من أن السلسلة تلقى في أعناق الكفار . انظر : الدر المنثور ٨ : ٢٧٤ .

(٥) انظر : البحر المحيط ٨ : ٣٢٠ . ممن قال بهذا القول وأشار إليه : ابن عطية، والزمخشري . انظر : المحرر الوجيز ٥: ٣٦١ ، والكشاف ٤ : ٦٠٨ ولم يذكر غيره !

الصورة الثالثة : أثر أسلوب القلب في تعدد معاني الآية واتساعها ، كما يتضح ذلك بهـذا المثال : قوله ﷻ:﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[الليل : ١٩ – ٢٠].

قال الفراء : " وقوله ﷻ : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴾ يقول : لم ينفـق نفقة مكافأةً ليد أحد عنده ، ولكن أنفقها ابتغاء وجه ربه ، فـ ﴿ إِلَّا ﴾ في هذا الموضع بمعنى : لكن [(١)].

وقد يجوز أن تجعل الفعل في المكافأة مستقبلا ، فتقول : ولم يرد مما أنفق مكافأة من أحد ، ويكون موقع اللام التي في ﴿ لِأَحَدٍ ﴾ في الهاء التي خفَضتها ﴿ عِندَهُۥ ﴾، فكأنك قلت : وما له عند أحد فيما أنفق من نعمة يلتمس ثوابها .

وكلا الوجهين حسن ، قال الفراء : ما أدري أي الوجهين أحسن، **وقـد تـضع العرب الحرف** في **غير موضعه إذا كان المعنى معروفا** " [(٢)] .

وهذا هو القلب [(٣)] لأنه أسند النعمة أولا للناس ، وفي الثاني أسندها لنفسه ؛ فعلـى الأول يكون المعنى : أنه لا يفعل الخير جزاء على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما تقدم ، بـل يفعله ابتداء خالصا لوجه الله .

وعلى الثاني : أنه لا يقصد ولا ينتظر بنفقته جزاءً من أحد في المستقبل على ما يفعل . وكلا القولين جاءت به الآثار [(٤)] .

الصورة الرابعة : الإجابة عن الإشكالات التي تواجه قارئ القرآن الكريم في بعض المواضع وتحقيق الفصاحة، ويتبين هذا بالمثال الآتي : قـال الله ﷻ :﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾[يونس : ٦٧] .

---

(١) ووافقه الزجاج في معانيه . انظر : ٥: ٣٣٦ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٣: ٢٧٢ .

(٣) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٥ : ٢٤٤ .

(٤) من الجدير بالذكر أن الطبري قال عن القول الثاني :" هو الصحيح الذي جاءت به الآثار " . تفـسير الطـبري ٣٠ : ٢٢٨ . قلت : والآثار بعضها يدل على الأول وبعضها على الثاني .

قال أبو عبيدة : " ﴿ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا ﴾ مجازه : ما كان العمل والفعل فيه لغيره، أي : يبصر فيه ؛ ألا ترى أن البصر إنما هو في النهار، والنهار لا يبصر ،كما أن النوم في الليل، ولا ينام الليل ، فإذا نِيم فيه قالوا : ليله قائم ، ونهاره صائم ، قال جرير [(١)] :

لقد لُمتنا يا أم غيلانَ في السرى : ونمت وما ليلُ المَطي بنائمِ " [(٢)]

قال الزمخشري [(٣)] مظهرا النكتة البلاغية في الآية :" فإن قلت لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال ، وهلا كانا حالين أو مفعولاً لهما فيراعي حق المقابلة ؟ قلت : هما متقابلان من حيث المعنى ؛ لأن كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ؛ لأنه لو قيل: لتبصروا فيه، **فاتت الفصاحة التي في الإسناد المجازي** ، ولو قيل: ساكنا - والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى إلى قولهم : ليل ساج وساكن ؛ لا ريح فيه - لم تتميز الحقيقة من المجاز " [(٤)]

فهنا قلب فعل الإبصار للنهار ، وهو في الأصل لمن كان فيه .

الصورة الخامسة : أثره في الشذوذ في التفسير والخروج عن أقوال أئمة التفسير والنزول بالقرآن الكريم عن مستوى البلاغة ، ومثالها : قول الله تعالى : ﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴾[الأنبياء : ٣٧].

---

(١) البيت في ديوانه١: ٦١٧. والسرى : سير الليل ، والمطي : جمع مطية وهي الراحلة التي يمتطى ظهرها، والمقصود أصحابها . ينظر : لسان العرب ١٥: ٢٨٦ مادة (مطا) .

(٢) انظر : مجاز القرآن ٢ : ٩٦ . وقال في موضع آخر : إنه من باب إطلاق اسم الفاعل على المفعول . انظر المجاز ١ : ٢٧٩ وهو متعلق بهذا المبحث ، وهو أحد أنواعه ، وسيأتي في مبحث مستقل . انظر المبحث الأول من الفصل الثالث ص : ٢٤٣ .

(٣) هو محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم جار الله الخوارزمي المعروف بالزمخشري، بارع في الأدب واللغة والتفسير، ولد سنة ٤٦٧ هـ بزمخشر قرية من قرى خوارزم وقدم بغداد، وكان متجاهرا بالاعتزال داعية إليه، توفي سنة ٥٣٨ هـ ، له التصانيف البديعة، منها : الكشاف في التفسير ، والفائق في غريب الحديث ، وأساس البلاغة، وغيرها . انظر : معجم الأدباء ٥: ٤٨٩ ، وطبقات المفسرين ١: ١٢٠ .

(٤) الكشاف ٤ : ١٨٠ .

القول المشهور في هذه الآية عن أئمة التفسير إنها كقولـه تعـالى :﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء : ١١] (١)، وقالوا: إن وصف الإنسان بأنه خلق من عجل وقد خلق من طين هذا إشارة إلى المبالغة في وصفه بالعجلة ، وكأنه مخلوق منها ، وهذا استعمال عربي شـائع ومعروف ، فتقول على سبيل المثال لمن يكثُر منه الكرم : خلق من الكرم ، وما أشبه ذلـك والعجب من أبي عبيدة حين خفي عليه هذا الأمر مما اضطره للقول بالقلب في الآية خروجا من الإشكال، فقال:" ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ مجازه مجاز: **خُلق العجلُ من الإنسان،** وهو العجلة ، والعرب تفعل هذا؛ إذا كان الشيء من سبب الشيء بدؤوا بالسبب " (٢).

فإن أراد أن معنى الآية - على القلب - هو : أن العجلَ جعل من طبائع الإنـسان وأخلاقه للزومه له (٣) فهو قلب غير مقبول - وإن كان المعنى قريبا من المعنى المـشهور - لأن معـنى الآية صحيح على ترتيبها ، والأصل عدم القلب .

وقد رد العلماء هذا القول من أبي عبيدة (٤) منهم ابن جرير الطبري – وكـان يقـول بالقلـب (٥) - قال : " وفي إجماع أهل تأويلٍ على خلاف هذا القول الكفايـةُ المغنيـة عـن الاستشهاد بفساده بغيره " (٦) .

وأيضا على القول بالقلب فإنه يسلُب ما في الآية من القوة والمبالغـة في وصـف الإنسان بالعجلة .

---

(١) انظر : المحرر الوجيز ٤: ٨٢ ، وتفسير القرطبي ١١: ٢٨٨ ، وتفسير ابن كثير ٣: ١٧٩ ، وروح المعاني ١٧: ٤٨ ، وأضواء البيان ٤ : ١٤٩ ، وغيرهم وهو معنى كلام الفراء . انظر : معاني الفراء ٢ : ٢٠٣ .

(٢) مجاز القرآن ٢ : ٣٨ ، ٣٩ .

(٣) كما ذكر أبو حيان وغيره ، انظر تفسير البحر المحيط ٦ : ٢٩٠ .

(٤) انظر : التفسير الكبير ٢٢ : ١٤٩ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٣٤٠ .

(٦) تفسير الطبري ١٧: ٢٧ .

قال ابن منظور [١] في تعليقه على القول بالقلب : " وحملُه على القلـب يبعـد في الصنعة، ويصغر المعنى " [٢] .

(١) هو محمد بن مكرم بن علي - وقيل رضوان - الأنصاري الإفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل المعروف بابن منظور الأديب اللغوي ، ولد بالقاهرة سنة ٦٣٠ هـ ، عنده تشيع بلا رفض ، مات بمصر سنة ٧١١ هـ له لسان العرب ، وتهذيب الخواص من درة الغواص للحريري وغيرها من المختصرات . بغية الوعاة ١: ٢٤٨ وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لـ مصطفى القسطنطيني ٦: ١٤٢ .

(٢) لسان العرب ١١: ٤٢٨ ، أما الأخفش فيرى أن معنى (مِنۡ عَجَلٖ) أي : من تعجيلٍ من الأمر ، وهو قوله : كن . معاني القرآن للأخفش ٢ : ٦٣٣ ، لكن هذا القول ضعيف ؛ لأنه يلغي اختصاص الإنسان بذكر أنه خلق من عجل ، ولأن كل شيء أراده الله ﷻ يقول له : كن فيكون . انظر : تفسير الطبري ١٧: ٢٧ .

لمزيد من الأمثلة انظر على سبيل المثال : مجاز القرآن ٢ : ١١٠، ١١١ لأبي عبيدة في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ ﴾ [القصص: ٧٦] ، ومعاني القران للفراء ١: ١٣١، ١٣٢ في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ ﴾[البقـرة : ٢١٣]،وتفـسير: قولـه تعـالى: ﴿ مَعِيشَتَهَاۖ ﴾ [القـصص: ٥٨] ٢ : ٣٠٨ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤ : ٦٦ في قوله تعالى : ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ ﴾ [الفرقان : ٣٢] ، ومعاني القرآن للنحاس ٢ : ١٢ في تفسير قولـه تعـال : ﴿ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [هود : ٢٨] ، وأيسر التفاسير ١ : ٤٠٣ في تفسير قولـه تعـالى : ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ ﴾ [النساء: ٤٢] .

المبحث الثامن

أسـلوب الالتفـات

أولا : نبذة عن الأسلوب

من خلال استقرائي للأسلوب من كتب المعاني الخمسة يتبين أنه لم يذكر أحد منهم الالتفات باسمه في أي من كتبهم ، بل كانوا يطلقون عليه الرجوع أو التحويل أو التـرك، كما أنهم لم يعرفوه ، ولم ينبهوا على جميع أنواعه التي وقعت في القرآن الكريم ، إلا نوعين؛ وهما الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، وعكسه من الخطاب إلى الغيبة ، ولم يذكروا الالتفات من التكلم إلى الغيبة والعكس كما سيأتي . وكذلك فإنهم لم يتعمقوا في أسرار الالتفـات ، وفوائده الخاصة والعامة ، كما هو الطابع العام على منهجهم في تناول الأساليب . لـذلك سأعرض هذا الأسلوب من خلال النقاط التالية :

أ - تعريف الالتفات :

لغة : قال ابن فارس : " اللام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على اللـي وصـرف الشيء عن جهته المستقيمة منه ، لفتُ الشيءَ : لويته ، ولفت فلانا عن رأيه : صرفته " [١] .

والمراد بالالتفات في اصطلاح البلاغيين : أن المتكلم بعد أن يعبر عن ذات بأحـد طرقٍ ثلاثة من تكلمٍ ، أو غَيبة ، أو خطابٍ ، ينتقل في كلامه ذلك فيعبر عن تلك الـذات بطريقٍ آخر من تلك الثلاثة [٢].

و قد أدخل أبو عبيدة في الالتفات التعبير عن ذات بطريـق مـن طـرق الـتكلم أو الخطاب ، أو الغيبة ، عادلا عن أحدهما - الذي هو الحقيق بالتعبير في ذلك الكلام - إلى

---

(١) مقاييس اللغة ٥: ٢٥٨ .

(٢) ذكره ابن عاشور في تعريفه له وذكر ضابطه على رأي جمهور البلاغيين ، وهو من أوضح التعاريف التي رأيتها. انظر التحرير والتنوير ١ : ١٧٨ ، كذلك انظر : الإتقان في علوم القرآن ٢ : ٢٢٨ .

طريق آخر منها ، فقال : " ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الغائب ومعناها للـشاهد ، قال [ﷻ] : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ [البقرة: ١ – ٢] مجازه : (الم) هذا الكتاب " [١] .

فجعل هذا من الالتفات ، وإن لم يكن فيه انتقال من أسلوب إلى آخر ، وإنما هـو استعمال لصيغة الغيبة في قوله : (ذَٰلِكَ) عوضا عن المخاطب ؛ لأن الكتاب حاضر .

وقد جاء الالتفات في كلام العرب ، من ذلك بيت عنترة [٢] الذي كان أبـو عبيـدة يستشهد به كثيرا لهذا الأسلوب :

شطت مزار العاشقين فأصبحت : عسِراً عليّ طلابك ابنةَ مخرمِ

فقال : شطت ، ثم قال : طلابك ، فتحول من الغيبة إلى الخطاب ، والوجه طلابها ، قـال الأخفش : " وجاز أن يجعل الكلام كأنه خاطبها ؛ لأنه حـين قـال : (شـطت مـزار العاشقين) كأنه قال : شطَطْت مزار العاشقين ؛ لأنه إياها يريد بهذا الكلام " [٣] .

واستشهد الأخفش لأسلوب الالتفات ببيت كثير [٤] :

أسيئي بِنا أو أحسِنِي لا ملُومةً : لَدينا ولا مـقْليةً أنْ تقَلـت

فقوله : (تقَلت) التفات من الخطاب في أول البيت إلى الغيبة ، والأصل أن يقول : تقليتي .

ب - صور الالتفات :

من التعريف السابق للالتفات يتحصل أن صور الالتفات ست ، هي :

---

(١) مجاز القرآن ١ : ١١.

(٢) هو عنترة بن عمرو بن شداد العبسي ، وقيل : شداد أبوه ، وكان أحد أغربة العرب ، فأمه أمة حبشية ، وكان أشد أهل زمانه وأكرمهم . ينظر ترجمته : الشعر والشعراء ١ :٢٥٠ ، والأغاني ٨ : ٢٤٤ . والبيت في ديوانه ص : ١٨٦ . و (شطت) أي : بعدت ، ومزار العاشقين : موضع مزارهم ، والمعنى : أنها صارت حيث لا تزار لبعد دارها . انظر : لسان العرب ٧ : ٣٣٣ مادة (شطط) .

(٣) معاني القرآن للأخفش ١ : ٣١٣ .

(٤) معاني الأخفش ١ : ٣١٢ ، والبيت في ديوان كثير عزة ص : ٥٧ . وأسيئي بنا ، أي : إلينا ، ومقلية ، أي : مبغضة ، وتقلت : تبغضت . وكثير هو ابن عبد الرحمن بن أبي جمعة ، من خزاعة ، أحد عشاق العرب المشهورين ، وقد نسب إلى عشيقته (عزة) وأكثر شعره فيها ، قال ابن قتيبة : " وكان رافضيا " ، توفي سنة ١٠٥ هـ بالمدينة . ينظر : الشعر والشعراء ١ : ٥٠٣ ، ووفيات الأعيان ٤ : ١٠٦ .

١ - الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، كقوله ﷻ : ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ [القيامة: ٣٣ - ٣٤] ولم يقل : أولى له .

٢- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ،كقوله تعـالى :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ [يونس: ٢٢] ولم يقل : وجرين بكم .

٣ - الالتفات من الغيبة إلى التكلم ، ويأتي مثاله مع الصورة الرابعة .

٤ - الالتفات من التكلم إلى الغيبة . ومثال هذين القسمين قوله تعـالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ [الإسـراء: ١] إلى قولـه : ﴿ بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ فقـال : (لِنُرِيَهُۥ) بصيغة التكلم ، ولم يقل : (ليريه من آياته) بصيغة الغيبة كما هو بداية الآية، ثم التفت ثانيا إلى الغيبة فقال : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١] .

وهنا يبقى صورتان حسب القسمة العقلية ، وهما : الالتفات من الخطـاب إلى الـتكلم، والعكس وهذه الصورة ، قال فيها السيوطي (١) : " لم يقع في القرآن، ومثل لـه بعـضهم بقوله [تعالى] : ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ [طه : ٧٢] ثم قال : ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا ﴾ [طه: ٧٣] وهذا المثال لا يصح لأن شرط الالتفات أن يكون المراد به واحدا " (٢) .

وقد نص أبو عبيدة على صورتين من الصور الأربع الموجودة في القرآن الكريم وهما : الأولى والثانية ، قال أبو عبيدة : " ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الـشاهد ثم تركـت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب ، قـال الله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ

---

(١) هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد الخضيري الأسيوطي جلال الدين أبو الفضل ، ولد سنة ٨٤٩ هـ ونشأ بالقاهرة يتيما ، وقرأ على مشايخ كثر ، ولما بلغ الأربعين اعتزل الناس وألف أكثر كتبه ، توفي سنة ٩١١ هـ ، من مصنفاته : الإتقان في علوم القرآن ، والدر المنثور في التفسير المأثور وغيرها كثير . انظر : طبقات المفسرين للداودي ١ : ٣٦٥ ، ومعجم المؤلفين ٥ : ١٢٨ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٢ : ٢٣٠ .

بِهِم ﴾ [يونس: ٢٢] ، أي : بكم . ومن مجاز ما جاء خبره عن غائب، ثم خوطب الـشاهد قال: ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴾ [القيامة : ٣٣ - ٣٤] " (١) .

٣ - شروط الالتفات :

ذكر العلماء للالتفات شرطين :

الأول : أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى المنتقل عنه .

قال السيوطي : " وإلا يلزم عليه أن يكون في : (أنت صديقي) التفات " (٢).

الثاني : أن يكون الالتفات في جملتين ، أي : كلامين مستقلين ، حتى يمتنع بـين الـشرط وجوابه .

قال الزركشي عن هذا الشرط : " وفي هذا الشرط نظرة ؛ فقد وقـع في القـرآن مواضع الالتفات فيها وقع في كلام واحد ، وإن لم يكن بين جزأي الجملة ،كقوله تعـالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي ﴾ [العنكبـوت: ٢٣] ، وقولـه : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ ﴾ [القصص: ٥٩] " ثم ذكر عدة أمثلة (٣) .

٤ - فوائد الالتفات :

فوائد الالتفات تنقسم إلى قسمين (٤) :

أ - فوائد عامة للالتفات ، وتكون في جميع صوره ، وهي :

١- حمل المخاطب على الانتباه ؛ لتغير وجه الأسلوب عليه .

٢- حمله على التفكير في المعنى ؛ لأن تغير وجه الأسلوب يؤدي إلى التفكير في السبب.

٣ - دفع السآمة والملل عنه ؛ لأن بقاء الأسلوب على وجه واحد يؤدي إلى الملل غالبا.

---

(١) مجاز القرآن ١ : ١١ . وقد يحتمل كلامه الصور كلها ؛ لأن قوله : (الشاهد) قد يشمل المخاطب والمتكلم - والله أعلم - .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٢ : ٢٣٢ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ٣ : ٣٣١ .

(٤) انظر : أصول في التفسير لابن عثيمين . ص : ٦٥ ، ٦٦ .

ب - فوائد خاصة : وهي ما يتعين في كل صورة حسب ما يقتضيه المقام ، وليس لها حد أو ضابط .

ومن تلك الفوائد أذكر فائدتين على سبيل المثال :

١- قصد التعظيم ، كما في قوله تعـالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النـساء : ٦٤]

قال الزمخشري : " ولم يقل : واستغفرت لهم ، وعدل عنه إلى طريقة الالتفات ؛ تفخيمـا لشأن رسول الله ﷺ وتعظيما لاستغفاره " (١) .

٢ - وكذلك من فوائده شدة التوبيخ والإنكار، كما في قولـه تعـالى :﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾ [مريم: ٨٨ - ٨٩] .

قال الزركشي : " عدل عن الغيبة إلى الخطاب ؛ للدلالة على أن قائل مثـل قـولهم ينبغي أن يكون موبخا ومنكرا عليه ، ولما أراد توبيخهم على هذا أخبر عنه بالحـضور [أي : بالخطاب] ، فقال : ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمْ ﴾ ؛ لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة له " (٢) .

وهكذا في كثير من الأمثلة في القرآن الكريم ينظر في فائدة الالتفات في كل مثـال بعينه (٣) .

ثانيا : أثر الالتفات في التفسير

أكثر ما يظهر فيه أثر الالتفات في التفسير هو أثره في الترجيح في مرجع الضمير، ثم في تغير المعنى ، فإن الأصل في الكلام أن يرجع على مثله في الخطاب ، أو الغيبة ، أو التكلم، فإذا كانت الآية محتملة للالتفات أو البقاء على الأصل ، فإن الآية سيتجاذبها الأمران : البقاء على الأصل ، أو القول بالالتفات، ويتغير عليه مرجع الضمير على الاحتمالين .

ويظهر أثر هذا الأسلوب في التفسير من عدة وجوه :

---

(١) الكشاف ١ : ٥٥٩ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣ : ٣٣٠ .

(٣) لمزيد من الفوائد الخاصة للالتفات انظر : البرهان في علوم القرآن ٣ : ٣٢٦ ، والمثل السائر ٢ : ٤ .

الوجه الأول : أثر الأسلوب في توجيه القراءات ، ومثاله قوله ﷻ :﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء : ١٨]

قال النحـاس : " ﴿ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾ ، أي : الـدنيا ، ﴿ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ ﴾ وتقرأ : (ما يشاء) [(١)] ، قال أبو جعفر : والمعنيان واحد ، أي : ما شاء الله ، ويجـوز أن يكون لـ ﴿ مَّن ﴾ . " [(٢)]

هنا التوجيه الأول للنحاس لقراءة (ما يشاء) أنها على طريقة الالتفات من التكلم في قوله : ﴿ عَجَّلْنَا ﴾ إلى الغيبة في قراءة (ما يشاء) ، فكان المعنى يعود على الله - تعالى - على كلا القراءتين فتطابقت [(٣)] .

إلا أن بعض العلماء رد هذا التوجيه، وقال :" وقوع الالتفات في جملة واحـدة إن لم يكن ممنوعا فغير مستحسن " [(٤)] .

أما التوجيه الثاني للنحاس فإنه جعل الضمير في (يشاء) يعود على ﴿ مَّن ﴾، أي: ما يشاء من كان يريد العاجلة [(٥)] ، وهذا قيده الله بقوله : ﴿ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ .

فهنا يتبين كيف كان لهذا الأسلوب أثره في توجيه القراءات في القرآن الكريم .

ومثاله أيـضا : قـول الله تعـالى:﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾[الإسراء : ٣٣].

---

(١) وهي قراءة سلام ، ونافع في رواية ، وهي قراءة شاذة ، انظر : مختصر ابن خالويه ص : ٧٥ ، والبحر المحيط ٦ : ١٨ .

(٢) معاني القرآن للنحاس ٤ : ١٣٨ .

(٣) ومن ذكر هذا التوجيه : الزمخشري وأبو حيان . انظر : الكشاف ٢ : ٦١٣ ، وتفسير البحر المحيط ٦ : ١٨.

(٤) انظر : روح المعاني ١٥: ٤٦ ، كما استبعد الشوكاني هذا القول وإن لم يشر إلى الالتفات، وعلل ذلك لمخالفته لما قبله وهو قوله: ﴿ عَجَّلْنَا ﴾ [الإسراء: ١٨]، وما بعده وهو ﴿ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [الإسراء: ١٨]. انظر : فتح القدير ٣ : ٢١٦ .

(٥) معاني القرآن النحاس ٤ : ١٣٨ .

في قوله تعالى : ﴿ فَلَا يُسْرِف ﴾ قراءتان سبعيتان ، إحداهما بالياء - وهي قراءة المصحف - والثانية بالتاء (فلا تسرف) [١] ، وعلى القراءتين اختلف لمن الخطاب، هل هو لولي المقتول[٢] ، أم للقاتل [٣] - كما هو قول مجاهد على قراءة الياء [٤] - على قولين ، لكن من رجح عود الضمير على ولي المقتول فعلى قراءة (فلا تسرف) يخرج الكلام عن وجهه ؛ لأن قوله : ﴿ فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ ﴾ غائب ، و (لا تسرف) مخاطب ، فقالوا هي للأولياء التفاتا، فتتفق القراءتان [٥] .

قال النحاس : " الأبين بالياء [أي قراءة : ﴿ فَلَا يُسْرِف ﴾] وتكون للولي ؛ **لأنه إنما يقال لا يسرف، لمن كان له أن يقتل،** فهذا للولي " ثم وجه القراءة بالتاء بما يتفق مع ما رجحه، قال : "وقد يجوز بالتاء ، ويكون للولي أيضا ، إلا أنه يحتاج فيه إلى تحويل المخاطبة " [٦] .

ومراده بتحويل المخاطبة ، أي : الالتفات من الغائب إلى المخاطبة - والله أعلم - وبه يتبين كيف كان أسلوب الالتفات طريقاً لتوجيه القراءات كما سبق .

الوجه الثاني من أثر أسلوب الالتفات : أنه ساعد على الترجيح بين الأقوال ، ومثاله في قوله تعالى : ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٧]

---

(١) وهي بالياء قراءة : ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وبالتاء قراءة :حمزة ، والكسائي ، وابن عامر . انظر : السبعة في القراءات ١ :٣٨٠ ، وحجة القراءات ١ : ٤٠٢ .

(٢) رجح الطبري أن الخطاب فيه للنبي - ﷺ - والأئمة من بعده تبع له . انظر تفسير الطبري ١٥: ٨١ .

(٣) انظر : زاد المسير ٥ : ٣٣ ، والكشاف ٢: ٦٢٢ ، وتفسير البيضاوي ٣ : ٤٤٤ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٥ : ٨٣ .

(٥) انظر : روح المعاني ١٥ : ٧٠ . ومعنى الإسراف في القتل على الأول: أن لا يقتل غير القاتل ولا يقتل اثنين بواحد ، أو لا يمثل به ، وعلى الثاني يكون نهي له عن تجاوز حده بالقتل .

(٦) معاني القرآن النحاس ٤ : ١٥٠ .

اختلف المفسرون، من المراد بقوله : ﴿ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ ﴾ هل هو الزوج أم ولي المرأة ؟ (١) على قولين ، وكلٌ له أدلته ومرجحاته وردوده على القول الآخر، والذي يعنينا من مرجحات الفريقين وكلامهم أن مما رد به من رجح أن المراد ولي المرأة على القائلين بأنه الزوج ، قالوا : لو كان خطابا للأزواج لقال :(إلا أن تعفوا) بالخطاب ؛ لأن صدر الآية مخاطبة لهم ، في قوله : ﴿ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ ﴾، وأما قوله : ﴿ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾ فهو للغائب ، لكن أُجيبوا بالاستعانة بهذا الأسلوب ، وقالوا : إن هذا على طريقة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ، وهو من أساليب اللغة التي نزل بها القرآن وبكثرة .

وقد نبه على ذلك النحاس، فبعد أن ذكر ما يرجح أنه الولي أثرا، ذكر بعض المرجحات من اللغة على ذلك، منها ما ذكرنا آنفا ، قال :" وقد جرى ذكر الزوج في قوله: ﴿ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ فلو كان للزوج لقيل : (أو تعفُوا) ، وهذا أشبه بسياق الكلام ، وإن كان يجوز تحويل المخاطبة إلى الإخبار عن غائب " (٢) .

فيلاحظ هنا كيف ساعد أسلوب الالتفات على الترجيح بين الأقوال في الآية .

ومثاله أيضا على الترجيح : قوله ﷻ : ﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴾ [الكهف : ٨٠ – ٨١].

نقل الزجاج عن بعض المفسرين قوله إن جملة ﴿ فَخَشِينَآ ﴾ من قول الخضر ، وأنه لا يجوز أن يكون من قول الله - جل وعلا - واستدلالهم بقوله : ﴿ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا ﴾،ثم علق على هذا الرأي، فقال :"وهذا جائز أن يكون عن الله ﷻ ﴿ فَخَشِينَآ ﴾؛ لأن الخشية من الله ﷻ معناه : الكراهة (٣)، ومعناه من الآدميين :

---

(١) انظر في الخلاف : تفسير القرطبي ٣ : ٢٠٦ ، وفتح القدير ١ : ٢٥٤ .

(٢) معاني القرآن للنحاس ١ : ٢٣٣ .

(٣) هذا مذهب الأخفش . انظر : معاني الأخفش ٢ : ٦٢٠ ، ويرى الفراء أن الخشية هنا بمعنى العلم . انظر : معاني القرآن للفراء ٢ : ١٥٧ . وكلهم - أعني أصحاب كتب المعاني - يرى أن الضمير في : ﴿ فَأَرَدۡنَآ ﴾ =

الخوف ، وقوله : ﴿ فَأَرَدْنَآ ﴾ ، بمعنى : أراد الله - جل وعز - لأن لفظ الإخبار عن الله كذا [أراد بضمير الجمع للتعظيم] أكثر من أن يحصى " (١) .

جوز هنا الزجاج عود الضمير في قوله : ﴿ فَأَرَدْنَآ ﴾ على الله تعالى ، ثم قال الله بعده : ﴿ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا ﴾ ولم يقل : (نبدلهما) ، فبعد أن عاد الضمير بلفظ المتكلم على الله تعالى رجع وأعاد الضمير عليه - جل وعلا - بصيغة الغائب ، فعلى ما جوزه الزجاج لابد أن يكون في الآية التفات - والله أعلم - مع أني لم أجد من المفسرين من نبه على هذا الالتفات في الآية . وبه يعلم كيف ساعد هذا الأسلوب على هذا القول من الزجاج .

الوجه الثالث لأثر الأسلوب : الأثر البلاغي والنكت البلاغية المستفادة منه ، وقد مر في شرح الأسلوب بعض منها ، وإليك مثالا تفصيلا آخر يوضح ذلك :

قول الله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

قال أبو عبيدة عند تفسير الآية :" والعرب قد تخاطب فتخبر عن الغائب والمعنى للشاهد، فترجع إلى الشاهد فتخاطبه " (٢) .

إشارة إلى قول الله ﷻ : ﴿ لِلنَّبِيِّ ﴾ بعد أن كان يخاطبه مخاطبة الشاهد بقوله ﷻ : ﴿ أَحْلَلْنَا لَكَ ﴾ رجع فخاطبه مخاطبة الغائب بقوله : ﴿ لِلنَّبِيِّ ﴾ وقوله :﴿ ٱلنَّبِيُّ ﴾، ثم رجع مرة أخرى فخاطبه مخاطبة الشاهد ، فقال تعالى : ﴿ خَالِصَةً لَّكَ ﴾ .

قال الزجاج : " وإنما قال : ﴿ إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ ولم يقل : (لك)؛ لأنه لو قال: (لك) جاز أن يتوهم أن ذلك يجوز لغير رسول الله ﷺ، كما جاز في بنات العم

= يعود على الله تعالى .

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣ : ٣٠٥ .

(٢) مجاز القرآن ٢ : ١٣٩ .

وبنات العمات " [١] .

فبين أن ذلك الالتفات لبيان اختصاص الحكم بالنبي ﷺ .

وزاد الزمخشري فقال : " ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على أن الاختصاص تكْرِمةً له لأجل النبوة ، وتكريره [عنى به قولـه ﷻ : ﴿ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ ﴾] تفخيم له ، وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته " [٢] .

وهذا المثال كما أن فيه التفاتا فيه أيضا إظهار في موضع الإضمار [٣]، ويتبين فيـه الأثر البلاغي للالتفات [٤] .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤ : ٢٣٣ بتصرف يسير .

(٢) تفسير الزمخشري ٣ :٥٥٩ .

(٣) لم ينص أكثر المفسرين أن هذا التفات ! ولعل السبب أن بعض العلماء يشترط للالتفات أن يكون في كلامـين مستقلين !

(٤) لمزيد من الأمثلة انظر في غير كتب المعاني : تفسير قوله تعـالى : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ٩] ، الكشاف ٤ : ١٨ ، وقولـه : ﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْۖ ﴾ [يس: ٣٥] روح المعاني ١٦ : ٢٥٩ ، وقوله ﴿ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ﴾ [طـه: ٩٩ – ١٠٠] قيل الضمير لله تعالى على سبيل الالتفات وهو خلاف الظاهر جدا ، وقوله : ﴿ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] قيل: (عنه) يعود على (القافي) التفاتا . انظر : روح المعاني ١٥ : ٧٤ ، وقولـه ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩] فتح القدير ١ : ٤٠٤ .

المبحث التاسع

قصر لفظ الخبرِ لأشياء متعاطفة على بعض دون بعض

أولا : لمحة عن الأسلوب [١] **:**

من سنن العرب في الكلام وأساليبهم أنهم إذا أخبروا عن أشياء مشتركة ومتعاطفـة - سواء كانت هذه الأشياء من جنس واحد أم مختلفة - ثم أرادوا أن يخبروا عن **أحدها** بشيء لـيس في الباقي ، فربما أعادوا الخبر في اللفظ على الجميع ، بسبب اشتراكها واقترانها في الكلام .

وأحيانا العكس يكون المعنى للجميع ، لكن يجعلون الخبر في اللفظ لأحـدهما - أي المُشركين - اختصارا ، وفي هذه الحال إما أن يكون **لفظ** الخبر راجعا إلى الأخير من المُشركين - وهو الأكثر - وأحيانا يرجع إلى الأول .

ومما مضى ينتج عدة صور لهذا الأسلوب :

الصورة الأولى : أن يكون لفظ الخبر عائدا على آخر الاسمين المتعاطفين، والمراد كلاهما في المعنى ، وهذا هو الأكثر .

قال عنه أبو عبيدة : " وأكثره الذي يلي الفعل ، ومثاله كمـا في قولـه تعـالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا ﴾ [التوبة: ٣٤] " [٢] " صـار الخبر عن أحدهما ، ولم يقل : (ولا ينفقونهما) ، والعرب تفعل ذلك إذا أشركوا بين اثنين قَصروا ؛ فخبروا عن أحدهما **استغناء بذلك ، وتخفيفا ، لمعرفة السامع بـأن الآخـر قـد شاركه ، ودخل معه** في **ذلك** الخبر **،** قال [٣] :

فمن يك أمسى بالمدينة رحلُه : **فإني وقيار** بهـا لغـريب

---

(١) هذا المبحث له تعلق بمبحث إطلاق المفرد على المثنى والعكس .
(٢) مجاز القرآن ١ : ٣٩ .
(٣) القائل هو ضابئ بن الحارث البرجمي ، والبيت في الأصمعيات ١ : ١٨٤ ، وتهذيب اللغة ٩ : ٢١٣ وروايته فيه مختلفة يسيرا ، ولسان العرب ٥ : ١٢٥ مادة (قير) . و (قيار) اسم لفرسه ، وقيل : لجمله ، وسمي كذلك لشدة سواده كالقار . ينظر المرجع الأخير .

وقال حسان بن ثابت [١] :

إنَّ **شرخ** الشبابِ **والشعرَ** الأسـ : ود ما لم **يعاص** كان جنونا

ولم يقل : [لم] يعاصيا ، وقال جرير [٢] :

ما كان حينك والشقاءُ لينتهي : حـتى أزورك في مغارٍ محصـد

ولم يقل : [لـ]ينتهيا " [٣] .

والشاهد في البيت الأول أنه ذكر نفسه وقياراً ، ثم أخبر عن نفسه، وترك الخبر عن قيار، وهو مراد .

الصورة الثانية : أن يكون لفظ الخبر عائدا على أول الاسمين المتعاطفين ، والمراد كلاهما في المعنى كذلك .

قال أبو عبيدة : " ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي ﴾ [سبأ : ٣٧] ومجـازه مجـاز المشركين يخبر عن أحدهما بلفظ الواحد منهما ، ويكف عن الآخر، وقد دخل معه في المعنى، ولو جمع خبرهما لكان مجازه : وما أموالكم ولا أولادكم **بالذين** يقربونكم عندنا زلفى"[٤] .

الصورة الثالثة : أن يكون لفظ الخبر عائدا على كلا الاسمين المتعاطفين والمراد أحـدهما في المعنى .

قال أبو عبيدة في سياق ذكر الأساليب التي نزل بها القرآن :" ومن مجـاز الاثـنين المشتركين وهما من شتى أو من غير شتى ثم **خبّر عن شيء لا يكـون إلا** في **أحـدهما** دون

---

(١) هو حسان بن ثَابِت بن المُنذر الخزرجي الأنصاري، يكنى أبا الوليد وهو الأشهر ، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو حسام ، أحد فحول الشعراء وشاعر رسول الله ﷺ والمدافع عنه ، توفي قبل الأربعين ، وقيل: سنة (٥٠ هـ) ، وقيل : (٥٤ هـ) وكان من المعمرين ، عاش ستين عاما قبل الإسلام ومثلها بعده . ينظر: أسد الغابة ٢ : ٧ ، والإصابة في تمييز الصحابة ٢ : ٦٢ ، والشعر والشعراء ١ : ٣٠٥ . والبيت في ديوانه ص: ٢٥٢ . وشرخ الشباب : أوله . انظر : العين ٤ : ١٦٩. ويعاصى : بمعنى: يعصى . انظر: القاموس١ :٨٠٦ . وقد يقال: إن شرخ الشباب والشعر الأسود دلا على شيء واحد ، فلذلك رجع عليهما بفعل الواحد .

(٢) البيت في تفسير الثعلبي ٥ : ٦٤ ولم ينسبه مع اختلاف في الرواية ، ولم أجد البيت في ديوان جرير ولا في غيره .

(٣) مجاز القرآن ١ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

(٤) مجاز القرآن ٢ : ١٤٩ .

الآخر فجعل فيهما أو لهما ؛ **لمّا أشرك بينهما في الكلام** ، قال [الله تعالى] : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ [الرحمن: ١٩] ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾[الرحمن: ٢٢] وإنما يخرج اللؤلؤ من البحر دون الفرات العذب " (١) .

قال الفراء: " ومثله في الكلام أن تقول : عندي دابتان أركبهما وأسقي عليهما، وإنما يركب على إحداهما ، ويسقى على الأخرى ؛ وقد يمكن أن يكونا جميعا تركبان ويسقى عليهما ، وهذا من سعة العربية التي يحتج بسعتها " (٢) .

وعلى جميع الصور الثلاث يحتمل البقاء على الظاهر ، فينتج ثلاث احتمالات أخرى في أمثال تلك التراكيب :

الأولى : أن يكون لفظ الخبر عائدا على آخر الاسمين وهو له وحده .

الثانية : أن يكون لفظ الخبر عائدا على أول الاسمين المتعاطفين وهو له وحده .

الثالثة : أن يكون لفظ الخبر عائدا على كلا الاسمين المتعاطفين والمراد أيضا كلاهما .

ثانيا : أثر أسلوب قصر لفظ الخبر في التفسير :

أعطى تعدد الاحتمالات في مثل هذا التركيب من كلام العرب إلى سعة في تفسير الآيات التي جرت على هذا الأسلوب ، فإن هذا التركيب لغة يحتمل عدة احتمالات كما سبق ، وهذا يؤدي إلى اختلاف المعنى على كل احتمال ، ثم إلى اختلاف المفسرين فيها ويحتاج كل مفسر إلى قرائن تؤيد الاحتمال الذي يراه راجحا ، وهذه بعض الآثار للأسلوب في التفسير :

الأثر الأول : اختلاف المفسرين حسب تعدد الاحتمالات ، ومثاله قول الله تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى : ٢٩] .

---

(١) مجاز القرآن ١ : ١٥ .

(٢) معاني القرآن للفراء ١ : ١٤٧ ، وانظر أيضا ٣ : ١٥٧ ، وهو قريب مما ذكر أبو عبيدة ، وهو - أعني الفراء - من أحسن من تعرض للأسلوب شرحا وتطبيقا .

نقل الطبري وغيره عن مجاهد أن المراد بقوله : ﴿ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا ﴾ قال :الناس والملائكة [١] .

وعلى هذا القول يمكن أن يطلق على الملائكة أنها دابة ، وهذا هو الظاهر ، وهو مقتضى اللفظ ، فإن لفظ الخبر ومعناه يعود على كلا الاسمين المشركين ؛ السماوات والأرض .

وأنكر ابن عطية هذا ، وقال :" وبعيد غير جار على عرف اللغة أن تقع الدابة على الملائكة " [٢]،وهذا ما جعله يخرج الآية بطرق أخرى ، منها ما اختاره الفراء حيث استخدم هذا الأسلوب في توجيه الآية ، فقال :" وقوله [تعالى] :﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ أراد : وما بث في **الأرض دون السماء** ، بذلك جاء في التفسير [٣]، ومثله مما ثني ومعناها واحد قوله:﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٢٢] وإنما يخرج من المالح دون العذب " [٤] .

فجعل قوله : ﴿ فِيهِمَا ﴾ - وإن كان لفظه يعود على الاسمين المشركين - عائدا على الأخير منهما وحده ، وهو هنا الأرض [٥] .

ومثاله أيضا : قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴾ [الشورى : ٥٢] .

ذكر الله تعالى في هذه الآية (الكتاب) و (الإيمان) ، ثم أخبر عنهما بقوله : ﴿ جَعَلْنَٰهُ ﴾ فمقتضى اللغة وهذا الأسلوب ؛ جواز أن يرجع قوله - تعالى- : ﴿ جَعَلْنَٰهُ ﴾

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٥ : ٣١ ، والدر المنثور ٧ : ٣٥٤ .
(٢) المحرر الوجيز ٥ : ٣٧ .
(٣) غريب أن ينسب هذا إلى التفسير ـ ومرادهم ما جاء عن السلف ـ مع ما سبق من قول مجاهد .
(٤) معاني القرآن للفراء ٣ : ٢٤ .
(٥) ومن التخريجات الأخرى التي ذكرها ابن عطية قال : " ومنها : أن يكون تعالى قد خلق السماوات وبث دواب لا نعلمها نحن ، ومنها : أن يريد الحيوانات التي توجد في السحاب ، وقد يقع أحيانا كالضفادع ونحوها ، فإن السحاب داخل في اسم السماء " . انظر : المحرر الوجيز ٥ : ٣٧ .

إلى الكتاب أو الإيمان أو إلى كليهما ، فهذه ثلاث احتمالات ، وكذلك الخلاف بين العلماء في تفسير الآية .

وقد ذكر الفراء قولين منها ، قال : " وقوله :﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ يعني : التنزيل [يعني والله أعلم : الروح والوحي المذكور قبلُ ، وهذا ليس داخلا في أثر الأسلوب] ، **وقال بعضهم : أراد القرآن والإيمان** " [١]

فجعلوه يعود على القرآن والإيمان ، وإن كان اللفظ يعود على واحد . [٢] وهذا الاحتمال الأول للتركيب في الآية .

والاحتمال الثاني : أن (جَعَلْنَٰهُ) يعود على الكتاب فقط ، وهو الأول من المتعاطفين - وهذا كما سبق خلاف المشهور - .

وهذا اختاره الزجاج ، وقال : " والكتاب دليل على الإيمان " ، وكأنه يعلل جمعهما في ضمير المفرد [٣] .

والاحتمال الثالث : أن **الضمير راجع إلى الإيمان** فقط ، حكاه القرطبي عن ابن عباس والضحاك [٤]، وهذا هو الأفصح على ما قرره الفراء ، بأن تجعل الراجع إلى آخر الاسمين .

وبه يتبين كيف ساعد هذا الأسلوب على الخلاف في مرجع الضمير في الآية لاحتماله كل تلك الوجوه ، ولا شك أن المعنى سيختلف على هذه الوجوه، وإن كان في بعضها شيء من التداخل .

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣ : ٢٧ .

(٢) كذلك ابن جرير ذكر هذا الاحتمال ولم ينسبه . انظر: تفسير الطبري ٢٥ : ٤٧ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤ : ٤٠٤ . وهو قول السدي ، وابن جرير . انظر : تفسير الطبري ٢٥ : ٤٦ .

(٤) انظر : زاد المسير ٧ : ٢٩٩ . والضحاك هو : ابن مزاحم البلخي الهلالي أبو القاسم ، ويقال : أبو محمد الخراساني ، تابعي جليل ، له باع كبير في التفسير ، روى عن أنس بن مالك ، وابن عمر ، والأسود بن يزيد، وسعيد بن جبير ، وغيرهم ، واختلف في سماعه من الصحابة ، روى عنه الحسن البصري ، وثابت البناني وغيرهما ، توفي بخراسان سنة ١٠٥ هـ ، وقيل : ١٠٦ ، وقيل : ١٠٢ . انظر : تهذيب التهذيب ٤ : ٣٩٧ وسير أعلام النبلاء ٤ : ٥٩٨ .

ومثاله أيضا : في قول الله تعـالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ [يونس : ٥]

قال الفراء : " ولم يقل : وقدرهما ، فإن شئت جعلت تقدير المنازل للقمر خاصة؛ لأن به تعلم الشهور ، وإن شئت جعلت التقدير لهما جميعا ، فاكتفى بذكر أحـدهما مـن صاحبه ، كما قال الشاعر [(١)] :

رماني بأمرٍ كنت منه ووالدي : بريئاً ومن جولِ الطوي رماني

وهو مثل قوله : ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [التوبة: ٦٢] ولم يقل يرضوهما " [(٢)]

الأثر الثاني :

ويتمثل في دفع كثير من الإشكالات في القـرآن الكـريم ، ومـن أمثلتـه قولـه تعالى : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٢٩]

في هذه الآية استشكل الفراء عود الضمير في قولـه : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ علـى المرأة مع زوجها ، مع أن الإثم والجناح يتوجه للزوج فقط ؛ حيث نهي عن أخذ شيء مـن مهر امرأته ، كما تقدم في صـدر الآيـة في قولـه : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا ﴾ ؟ فاستعان بهذا الأسلوب في دفع هذا الإشكال ، قال : " يقال : كيف قال :﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ وإنما الجناح فيما يذهب إليه الناس على الزوج [(٣)]؛ لأنه أخذ ما

---

(١) هو عمرو بن أحمر الباهلي ، والبيت في ديوانه ص : ١٨٧ . وجول الطوي : كل ناحية للبئر إلى أعلاه من أسفله ، ويروى البيت : (من أجل الطوي)، وكان بينه وبين رجل خصومة في بئر . ينظر: لسان العرب ١١ : ١٣٢ ، ومقاييس اللغة ١: ٤٩٥ .

(٢) معاني القرآن للفراء ١ : ٤٥٨ ، والكلام نفسه أو قريب منه للزجاج ، انظر : معانيه ٣ : ٧

(٣) أكثر المفسرين على أن الإثم متوجه إلى الزوجين معاً، واختلفوا في توجيه ذلك بالنسبة للمرأة . انظر : المحرر الوجيز ١ : ٣٠٧ ، وتفسير الطبري ٢ : ٤٦٧ وغيرهما .

أعطى ؟ ففي ذلك وجهان : **أن يراد الزوج** دون المرأة ، وإن كانا قد ذكـرا جميعـا ؛ في سورة الرحمن ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان مـن الملـح لا من العذب ، ومنه: ﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ [الكهف: ٦١] وإنما الناسي صاحب موسـى عليه السلام وحده " [١].

ثم ذهب يستشهد على هذا الأسلوب من كلام العرب، وذكْر الآيات ثم ذكر الوجه الآخر [٢]. ففيه أثر الأسلوب في توجيه ما أشكل من الآيات .

ومثاله أيضا :

قـول الله - تعـالى- : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ [الأنعام : ١٣٠]

هنا أيضا في هذه الآية إشكال على رأي من يقول: إن الرسل لا تكون إلا من الإنس خاصة، فكيف يخبر عن الجن والإنس بقوله :﴿ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ ، فظاهرها أن هناك رسلا من الجن أيضا ؟ فهذا أيضا يتخرج على هذا الأسلوب ، وأن من أساليب العرب أن تخـبر عن أشياء متعاطفة بلفظ يشملها والمقصود أحدها .

---

(١) معاني القرآن للفراء ١ : ١٤٧ .

(٢) والوجه الآخر الذي ذكره الفراء - وهو الذي عليه أكثر المفسرين إلا أنهم اختلفوا في توجيهه- قال :" أن يشتركا جميعا في ألا يكون عليهما جناح ؛ إذ كانت تعطى ما قد نفى عن الزوج فيه الإثم ، أُشركت فيه ؛ لأنها إذا أعطت ما يطرح فيه المأثم احتاجت هي إلى مثل ذلك ".
وذكر المفسرون أوجها أخرى : ذكر الطبري وجهين ، خلاصتهما : أن الزوجة يكون عليها حرج إذا أعطت الزوج ما تفتدي به منه إذا كان على وجه لا يحل له به ، كأن يضارها حتى تفتدي منه ، فتكون معينة له على الإثم فتأثم ، أو تعطيه إياه على وجه لا يحل لها به ، كأن تريد أن تتزوج من آخر من غير بأس في زوجها . انظر: تفسير الطبري ٢ : ٤٦٧ . وقال النحاس :" الجواب أنه قد كان يجوز أن يحظر عليهما أن يفتدي منه فأطلق لها ذلك وأعلم أنه لا إثم عليهما جميعا " . إعراب القرآن ١ : ٣١٥ . ويفهم من كلام ابن عاشور أن توجيه رفع الجناح عنهما بسبب أن باذل الحرام لآخذه آثم ، وهذا ما ذكره الطبري ، انظر : التحرير والتنوير ٢ : ٤١٠ .

قال الفراء :" فيقول القائل : إنما الرسل من الإنس خاصة ، فكيف قال للجن والإنس : ﴿ مِّنكُمْ ﴾ ؟ قيل : هذا كقوله : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ [الرحمن: ١٩]، ثم قال: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن : ٢٢] وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح دون العذب ، فكأنك قلت : يخرج من بعضهما ومن أحدهما " (١) .

فانظر كيف ساهم هذا الأسلوب في دفع أمثال هذه الإشكالات (٢) .

---

(١) معاني القرآن للفراء ١ : ٣٥٤ .

(٢) وهناك تخريجات أخرى للآية ، فيرى الزجاج أن ﴿ مِّنكُمْ ﴾ عائدة عليهما جميعا باعتبار أنهما من يعقل والرسل بعض من يعقل. انظر : معاني الزجاج ٢ : ٢٩٢. وذكر النحاس توجيهين ، أحدهما : ما ذكره الزجاج ، والثاني : رأي ابن عباس - رضي الله عنه - ومجاهد ، وأن المراد من رسل الجن هم النذر .انظر : معاني للنحاس ٢ : ٤٩٢ ، على أن من السلف من يرى أن الآية على ظاهرها ، وأن الله قد بعث إلى الجن رسلا منهم . انظر : زاد المسير٣: ١٢٥ ، والدر المنثور٣ : ٣٦٠، قال ابن عطية : وهذا ضعيف . انظر : المحرر الوجيز٢ : ٣٤٦ ، لمزيد من الأمثلة ، انظر : معاني القرآن للنحاس ٤ : ٤٦٠ في تفسير قوله عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ [المؤمنون: ٥٠]، ومعاني القرآن للفراء ١ : ١٤٧ و ٣ : ١٥٧ في تفسير قوله الله تعالى : ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [القصص: ٧٣]، وقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ [الجمعة: ١١] .

المبحث العاشر

الخطاب بصيغة الماضي لأمر مستقبل والعكس

أولا : لمحة عن الأسلوب : [١]

من أساليب العرب في كلامهم أنهم يخبرون عن المستقبل بلفظ الماضي - وهذا هو الأكثر- وربما عبرت العرب عن الماضي بصيغة المستقبل ، وهو قليل بالنسبة إلى الأول .إلا أن حمل لفظ الماضي على المستقبل والعكس يفتقر إلى قرينة تنقله ودليل .

قال أبو عبيدة :" ﴿ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ ﴾ [فاطر : ٩] فتثير ، أي : تجمع وتجيء به وتخرجه ، ومجاز (فسقناه) : مجاز فنسوقه ، **والعرب قد تضع (فَعلْنا)** في **موضع (نفْعل) ،** قال الشاعر [٢] :

إنْ **يسمعوا** ريبة **طاروا** بها فرحاً : مني وما **يسمعوا** من صالحٍ **دفنوا**

في موضع (يطيروا) و (ويدفنوا) . " [٣]

وبين الفراء الشق الثاني من الأسلوب - وهو التعبير بلفظ المستقبل عن أمر قد مضى- فقال : " وذلك جائز إذا أردت بـ (تفعلون) [أي الفعل المضارع الدال على المستقبل] الماضي ، ألا ترى أنك تعنف الرجل بما سلف من فعله فتقول : ويحك لم **تكذب** !؟ لم **تبغض** نفسك إلى الناس !؟ومثله قول الله : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ [البقرة : ١٠٢]، ولم يقل : ما **تلت** الشياطين ، **وذلك عربي كثير** في **الكلام** ؛ أنشدني بعض العرب [٤] :

إذا ما انتسبنا لم **تلد**ني لئيمةٌ : ولم تجدي من أنْ تقري بها بدا

---

(١) انظر في هذا المبحث : البرهان في علوم القرآن ٣: ٣٧٢ ، والإتقان في علوم القرآن ٢ : ١٠٥ .

(٢) هو قُعْنب بن أم صاحب ، والبيت في لسان العرب ٤ : ٤٣٤ مادة (شور) و ٨ : ٣٧٨ مادة (هيع) و ١٣ : ١٠ مادة (أذن) ، ومغني اللبيب ١: ٩٠٨ بلا نسبة . وذكر أن هذا - أي إتيان جواب الشرط ماضيا وفعله مضارع - لا يجوز إلا في الشعر خاصة .

(٣) مجاز القرآن ٢ : ١٥٢ ، وانظر أيضا مجاز القرآن : ٢ : ٧ ، ٨ ، كما ذكر أن من أحوال (كان) أنها تكون للمستقبل . انظر : مجازه ٢ :١٣٩ .

(٤) وهو لزائد بن صعصعة الفقعسي ، والبيت في مغني اللبيب ١ : ٤٠ بلا نسبة ، وشرح شذور الذهب ١ : ٤٤٠ كذلك . ومعنى (إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمةٌ) ، أي : يتبين أني لم تلدني لئيمة .

فالجزاء للمستقبل ، والولادة كلها قد مضت [١] ، **وذلك أن المعنى معـروف** ؛ ومثلـه في الكلام : إذا نظرت في سير عمر [ﷺ] لم يسئ ؛ المعنى لم تجده أساء ؛ فلما كان أمر عمـر لا يشك في مضيه لم يقع في الوهم أنه مستقبل " [٢]

وذكر الأخفش مستشهدا على هذا النوع قول الشاعر [٣] :

ولَقَد **أمر** على اللئيمِ يسبني : **فَمضيت** ثَـمت قُلت لا يعنِيني

قال : " يريد : (لقد مررت) بقوله : (أمر) " [٤] .

وذلك لأنه عطف عليه فعلا ماضيا وهو قوله : (فمضيت) .

ومن خلال تتبع الأسلوب من كتب المعاني يستنتج الآتي :

أ- أن التعبير بصيغة الماضي عن المستقبل يعلل بأمور، وله مسوغات :

الأمر الأول : أن تدل القرينة على الاستقبال ، فيجوز ذلك استغناء واستخفافا ؛ لأن المعنى معلوم .

قال الزجاج : " فلما كان في الحال [يعني القرينة] **دليل** على الاستقبال وقع الماضـي مؤديا عنها **استخفافا ؛** لأن اختلاف ألفاظ الأفعال إنما وقع لاخـتلاف الأوقـات ، فـإذا أُعلمت الأحوال والأوقات استغني بلفظ الأفعال عن لفظ بعض ، الدليل على ذلـك قولـه - جل وعز - : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ ﴾ [الأنعـام: ١٦٠] ، وقولـه : ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴾ [الفرقـان : ٧١] ، معناه : من يتب ومـن يجيء بالحسنة يعط عشر أمثالها " [٥].

الثاني : أن يعبر عنه بالمضي لصدقه وتأكد تحققه ، وتنزيلا له منزلة الواقع .

---

(١) ذلك أن قوله : (لم تلدني) ماض في المعنى ؛ إذ (لم) تدخل على المضارع فتقلب زمنه .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٦٠، ٦١ .

(٣) رجل من سلول كما عزاه سيبويه في كتابه ، والبيت في كتاب سيبويه ٣ :٢٤ ، والخصائص ٣ : ٣٣٠، ولسان العرب ١٢ : ٨٢ مادة (ثمم) و ١٥: ٢٩٧ مادة (مني) ، والأخيران بلا نسبة .

(٤) معاني القرآن للأخفش ١ : ٣٢٣ . وانظر مزيد أمثلة على التعبير بالمستقبل لأمر قد مضى في البرهان في علـوم القرآن ٣ : ٣٧٣ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٢ : ٩٥، ٩٦ .

قال الفراء عند تفسير قوله ﷻ : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢] : " **إن القرآن نزل وعده ووعيده ، وما كان فيه حقا ، فإنه عيان ، فجرى الكلام فيما** لم **يكن منه كمجراه** في **الكائن** ، ألا ترى قوله ﷻ : ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ [السجدة: ١٢] ، وقوله : ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ ﴾ [سبأ : ٥١] كأنه ماض ، وهو منتظر لصدقه في المعنى " [١].

الثالث : لقرب وقوعه كقوله تعالى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ ﴾ [النحل: ١] . [٢]

ب - أن أفعال الشرط والجزاء يجوز أن تكون بلفظ الماضي والمعنى للمستقبل . كقولك : إن أتيتني أكرمتك . بمعنى : إن تأتني أكرمك .

ويبين الزجاج أيضا أن من المواضع التي يكون الماضي بمعنى الاستقبال أفعال الشرط والجزاء، فيقول:" قوله :﴿ [إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً] فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ [الشعراء: ٤] معناه : فتظل أعناقهم؛ **لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي** في **معنى المستقبل** " [٣].

ج - أن الأكثر التعبير بالماضي عن المستقبل، وأما العكس فهو أقل منه . ولم يذكر أصحاب كتب المعاني الفائدة من ذلك ، لكن ذكر السيوطي أن من حكم وفوائد التعبير بصيغة الاستقبال عن أمر قد مضى إفادة الدوام والاستمرار، فكأنه وقع واستمر ، نحو : ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ ﴾ [البقرة: ٤٤]، ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ ﴾[البقرة: ١٠٢] [٤] ، كما أنهم ذكروا أن من حكمه حمل السامع على استحضار صورة الفعل وكأنه يراه الآن [٥] .

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢ : ٨٢.
(٢) انظر : معاني القرآن للنحاس ٤ : ٥٠.
(٣) معاني القرآن للزجاج ٤ : ٨٢ .
(٤) الإتقان في علوم القرآن ٢ : ١٠٦ .
(٥) انظر : مغني اللبيب ١ : ٩٠٥ .

هذه بعض الإشارات من أصحاب كتب المعاني على هذا الأسلوب فيها كفاية - إن شاء الله - عن ذكر كل ما قالوا ، ولم يكن منهم كما هو معلوم عنهم التعمق في الأسـرار والنكت البلاغية لهذا الأسلوب وغيره .

ثانيا : أثر أسلوب الخطاب بلفظ الماضي لأمر مستقبل في التفسير :

يعتبر هذا الأسلوب من الأساليب الشائعة في القرآن الكريم - لاسيما التعبير بالماضي لأمـر مستقبل - فإن الحديث عن اليوم الآخر وأحواله وما يجري فيه من المواضـيع الرئيـسة فيـه وكثيرا ما يأتي التعبير القرآني عند الحديث عن اليوم الآخر - وهو من الأمور المـستقبلية - بلفظ الماضي وذلك -كما سـبق - لتحقق وقوعه ، وانتشار هذا الأسلوب في القرآن الكـريم ساعد على أن يكون الأمر مترددا في بعض الآيات بين أن يكون للماضي فعـلا حـسب مقتضى اللفظ ، أو هو جار على هذا الأسلوب .

وسيتبين أثر هذا الأسلوب في النماذج التالية :

النموذج الأول : أثره في فهم المعنى واتضاحه ، ومن أمثلته : قول الله تعالى : ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴾ [الهمزة : ٣].

قال الفراء :" وقوله ﷻ : ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴾ يريد : يخلده ، وأنـت قائل للرجل : أتحسب أن مالك أنجاك من عذاب الله ؟! ما أنجاك من عذابـه إلا الطاعـة، وأنت تعني : ما ينجيك . ومن ذلك قولك للرجل يعمل العمل الموبق : دخل والله النـار، والمعنى : وجبت له النار " (١) .

وقال الزجاج مفسرا الآية :" يعمل عمل من لا يظن مع يساره أنـه يمـوت " (٢) .

ونبه الرازي إلى حكمة التعبير عن الاستقبال بالماضي هنا ، فقال :" ولم يقل يخلـده ؛ لأن المراد : يحسب هذا الإنسان أن المال ضمن له الخلود ، وأعطاه الأمان من الموت ، **وكأنـه حكْم قد فرغ منه** ؛ ولذلك ذكره على الماضي " (٣) .

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣ : ٢٩٠ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥ : ٣٦٢ .

(٣) انظر : التفسير الكبير ٣٢: ٨٨ ، وفيه وجوه في معنى الآية فراجعها إن شئت .

وهذه الآية وأمثالها وإن كان المعنى العام فيها معلوما لكن العلم بأن الآية جارية على هذا الأسلوب يزيد المعنى وضوحا وبيانا ، إضافة إلى المعنى البلاغي المذكور .

النموذج الثاني : أثر الأسلوب في توجيه القراءات ، ومن أمثلته قوله تعـالى : ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ [النمل : ٦٦].

قال الزجاج :" فيها أوجه: فمن قرأ : ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ ﴾ - وهو الجيد[(١)] - فعلى معنى : بل تدارك علمهم في الآخرة ، على معنى : بل **يتكامل** علمهم يـوم القيامـة ؛ لأنهـم مبعوثون، وكل ما وعدوا به حق" [(٢)] .

ونقل القرطبي عن مجاهد قوله في تفسير الآية علـى القـراءة الثانيـة في الآيـة : (أدرك) [(٣)] بمعنى : (يدرك) للاستقبال ، قال : " قال مجاهد : معناه : يدرك علمهم في الآخرة ويعلمونها إذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم ؛ لأنهم كانوا في الدنيا مكذبين " [(٤)] .

وهو المعنى نفسه الذي ذكره الزجاج على القراءة الأولى في المعنى ، فتفسير الفعـل الماضي (ادارك) - وأصله : (تدارك) أدغمت التاء في الـدال- و(أدرك) بالفعل الـدال علـى الاستقبال : (يتدارك) و (يدرك) ، كان معينا على فهم الآية بهذا المعنى ، وتوجيهها بهذا التوجيه ، كما أنه عدد المعاني التي يمكن حمل الآية عليها ، وإلا فإن ظاهر الآية المُضي .

النموذج الثالث : أثر الأسلوب في الخلاف والترجيح ، ومن أمثلتـه قـول الله تعـالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِىۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقـان : ٢٧ – ٣٠] .

---

(١) انظر ص : ٣٧ حاشية (٢) من هذه الرسالة .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤ : ١٢٧، والتفسير الآخر لهذه القراءة أنها بمعنى : بل تتابع علمهم في الآخرة ويقولون تكون ولا تكون وإلى كذا تكون . انظر: معاني القرآن للنحاس ٥ : ١٤٦، وذكر أن هذا هو المعنى المعروف .

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو . انظر : السبعة في القراءات ١ : ٤٨٥ .

(٤) تفسير القرطبي ١٣ : ٢٢٧ .

اختلف أهل التفسير في قوله ﷻ : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ ﴾ متى يكون هذا القول من الرسول ﷺ ؟

فجمهور المفسرين - كما حكاه عنهم ابن عطية وغيره [١]- أن ذلك القول كان منه في **الدنيا** ، قاله الرسول ﷺ شاكيا إلى ربه ﷻ هجر قومه للقرآن ، وصدهم عنه ، وأن الله ذكر ذلك تخويفا للمشركين .

وذهب جماعة من المفسرين [٢]- منهم أبو عبيدة - أن ذلك يكون منه ﷺ في **الآخرة** ، إلا أن ظاهر الآية والتعبير بالماضي بقوله : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ ﴾ لا يساعد على قولهم ، فأجابوا عنه مستعينين بهذا الأسلوب .

فقال أبو عبيدة : " وقوله : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ ﴾ (وقال) هنا في موضع (يقول) العرب تفعل ذلك ، قال الشاعر [٣] :

مثلُ العصافيرِ أحلاماً ومقدرةً : لو يوزنون بزف الريشِ ما **وزنوا**

وهي في موضع آخر (لم يزنوا) ؛ لأنهم لم يفعلوا بعد " [٤] .

وعليه يكون قوله : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ ﴾ معطوفا على ﴿ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ ﴾ ، وعبر بالماضي مريداً الاستقبال تحقيقا لوقوعه ، ويكون ذلك من الرسول ﷺ يوم القيامة كالشهادة على أولئك الكفرة ، وليس بشكوى إلى الله - تعالى - للتخويف كما هو المراد على القول الأول [٥] .

---

(١) انظر المحرر الوجيز ٤: ٢٠٩ ، والتفسير الكبير ٢٤ : ٦٧ .

(٢) كمقاتل ، وأبو مسلم ، والطبري ، والبغوي . انظر : زاد المسير ٦: ٨٧ ، والتفسير الكبير ٢٤: ٦٧ ، وتفسير الطبري ١٩: ٩ ، وتفسير البغوي ٣ : ٣٦٨ .

(٣) هو قعنب ابن أم صاحب ، والبيت في لسان العرب ١٣ : ٤٤٧ مادة (وزن) . وزف الريش : صغيره . انظر: لسان العرب ٩ : ١٣٧ .

(٤) مجاز القرآن ٢ : ٧٤ .

(٥) انظر : روح المعاني ١٩ : ١٤ .

ومثاله أيضا :

قـول الله ﷻ : ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يس ٧ - ١٠] .

في معنى الأغلال والسد المذكور في الآية خلاف بين المفسرين ؛ هل ذلك كله مثلٌ وتشبيه لحالهم في صرفهم عن الإيمان والهدى في الدنيا ، أو هو مثلٌ لعدم الإنفاق ، كما قال الفراء - وهذا خاص بالأغلال [(١)] - ، أم هو غل وسد على الحقيقة، وأن ذلك يكـون في الآخرة إذا دخل الكفار النار ، فيكون نوعـا مـن عـذابهم ، وتكـون كقولـه ﷻ : ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر : ٧١ – ٧٢] وهذا الأخير هو الشاهد للأسلوب ، فإن مقتضى اللفظ في الآية لا يدل على أن المعـنى للاستقبال ، حيث قال : (جَعَلْنَا) وهو للمضي ، وقد أورد هذا القول النحاس، ولم يعـزه إلى أحد [(٢)] .

قال النحاس : " قال جل وعز : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا ﴾ في معـنى هـذا أقوال :

قال الضحاك منعناهم من النفقة في سبيل الله ، كما قال تعـالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [الإسراء : ٢٩] .

وقيل: هذا في يوم القيامة إذا دخلوا النار، **والماضي بمعنى المستقبل** ..، قال أبو جعفر : السد والسد : الجبل ، والمعنى : أعميناهم ... ، ويروى أنهم أرادوا النبي ﷺ بسوء، فأحـال الله

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ : ٢٧٢، ٢٧٣ ، أما السد فإن الفراء يرى أنه سد على الحقيقة ، لكن في الدنيا؛ والمراد به ما منع الله به أبا جهل من أذية الرسول ﷺ من الظلمة عل عينيه وغير ذلك ، وهذا قول مقاتل بن سليمان . انظر : زاد المسير ٧ : ٦ . وبعضهم يجعله استعارة على هذا القول أيضا . انظر : تفسير البحر المحيط ٧ : ٣١١ .

(٢) لكن عزاه ابن عطية إلى مكي . انظر : المحرر الوجيز ٤: ٤٤٦ . وهو قول أبي حيان . انظر : تفسير البحر المحيط ٧ : ٣١١ . وعزاه ابن الجوزي للماوردي . انظر : زاد المسير ٧ : ٧ .

- جل وعز - بينهم وبينه ، أي : فصاروا كأن بينهم وبينه سدا ، وكأن في أعناقهم أغلالا كذا قال عكرمة [١] " [٢] .

فساعد هذا الأسلوب على هذا القول، وإلا فظاهر الآية على خلافه . [٣]

النموذج الرابع : أثر الأسلوب في الخلاف والشذوذ في التفسير ، ومن أمثلته قول الله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١] .

قال الزجاج عند تفسير الآية :" وزعم قوم عِندوا [٤] عن القصد وما عليه أهل العلم أن تأويله : أن القمر ينشق يوم القيامة ! والأمر بين في اللفظ ، وإجماع أهل العلم ؛ لأن قوله : ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر: ٢] فكيف يكون هذا يوم القيامة " [٥] .

وقد نقل ابن الجوزي [٦] إجماع المفسرين على ذلك وشذوذ من خالفه، فقال: " وعلى هذا جميع المفسرين [أي أن الانشقاق كان على عهد الرسول ﷺ] ، إلا أن قوماً **شذوا**

---

(١) عكرمة مولى ابن عباس- رضي الله عنهما - أبو عبد الله ، فقيه عالم بالقرآن ومعانيه ، توفي سنة ١٠٥ هـ وقيل ١٠٧ هـ . انظر : طبقات الفقهاء ١ : ٥٩ ، وطبقات المفسرين للداودي ١ : ١٢ .

(٢) معاني القرآن للنحاس ٥ : ٤٧٥- ٤٧٩ .

(٣) وقد اعترض على هذا القول ابن عطية وقال :" وقوله ﷻ :﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس: ٩] يضعف هذا القول؛ لأن بصر الكافر يوم القيامة إنما هو حديد يرى قبح حاله ". انظر : المحرر الوجيز ٤ : ٤٤٦ .
ورد عليه الألوسي وقال :"ولا يضعف هذا كما زعم ابن عطية قوله تعالى : ﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ لأن بصر الكافر يومئذ حديد يرى قبح حاله ، ألا ترى إلى قوله سبحانه : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا ﴾ [الإسراء: ٩٧]، وقوله سبحانه : ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٥]، فإما أن يكون ذلك حالين ، وإما أن يكون قوله تعالى : ﴿ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق: ٢٢]كناية عن إدراكه ما يؤول إليه حتى كأنه يبصره " ثم ذكر اعتراضا آخر على هذا القول وذكر توجيها له، قال :" واعترض بعضهم عليه بأنه يلزم أن يكون الكلام أجنبيا في البين، وتوجيهه بأنه كالبيان لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ ﴾ [يس: ٧]قد دغدغ فيه [أي : طعن] " لكنه حكم عليه في النهاية وقال : " والإنصاف أنه خلاف الظاهر " . انظر روح المعاني ٢٢: ٢١٦ . كذلك رده الشنقيطي، وقال: إنه خلاف التحقيق . انظر: أضواء البيان ٦ :٢٩٠ .

(٤) العين والنون والدال أصل صحيح واحد يدل على مجاوزة وترك طريق الاستقامة . مقاييس اللغة ٤ :١٥٣ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥ : ٨١ .

(٦) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ابن الجوزي ، البغدادي الحنبلي الواعظ المفسر صاحب التصانيف، يصل نسبه إلى الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ ، ولد تقريبا سنة ٥٠٨ هـ ، وتوفي سنة ٥٩٧ هـ . صنف زاد المسير في علم التفسير ، وله المنتظم في التاريخ وغيرها . انظر : طبقات المفسرين ١ : ٦١ ، وطبقات المفسرين للداودي ١ : ٢٠٨ .

فقالوا: سينشق يوم القيامة...**وهذا القول الشاذ** لا يقاوم الإجماع؛ ولأن قوله:﴿ وَٱنشَقَّ ﴾ لفظٌ ماضٍ ، **وحملُ لفظ الماضي على المستقبل يفتقر إلى قرينة تنقله، ودليل،** وليس ذلـك موجودا " [١] .

وبه يعلم كيف كان لهذا الأسلوب أثر في الشذوذ في التفسير، وكيف أنـه سـاعد عليه [٢] .

---

(١) زاد المسير ٨ : ٨٨ .

(٢) لمزيد من الأمثلة انظر : تفسير قوله تعالى : ﴿ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾[الأعراف: ١٠٠]، في معاني القرآن للزجاج ٢ : ٣٦١ ، وفي وروح المعاني ٩ : ١٣ ، وتفسير قولـه ﷻ : ﴿ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩١] في معاني القرآن للفراء ١ : ٦٠، ٦١، ومعاني القرآن الأخفش ١ : ٣٢٣ .

المبحث الحادي عشر

إخراج الأمر مخرج الوعيد والتهديد

أولا : لمحة عن الأسلوب :

الأمر في اللغة يأتي لمعان عدة ، فـيكون للإيجاب - وهو الأصل عنـد إطلاقـه - وقد يكون للندب ، وقد يكون للإباحة ، وغير ذلك [(١)]، ومن تلك المعاني أن يكون المقصود من الأمر التهديد والوعيد ، وهو كثير في اللغة ، وواقع في القرآن الكريم كذلك، وقد نبـه إلى هذا الأسلوب العربي أصحاب كتب المعاني - لاسيما الزجاج في معانيه - واستـشهدوا له من كلام العرب ، وأجروه على آيات من القرآن الكريم .

قال الزجاج : " الأمر على ضربين ، أحدهما : متبع لا غير [ويقصد به الأمر الذي يطلـب به الفعـل] ، والثاني : **إذا تقدمه نهي عما يؤمر به، فالمعنى في الأمر الوعيد والتهديد** ؛ لأنك قد تقول : لا تدخلن هذه الدار ، فإذا حاول أن يدخلها قلت : ادخلها وأنت رجل، فلست تأمره بدخولها ، ولكنك توعده وتهدده ، **وهذا** في **اللغة والاستعمال كثير** موجود ، ومثله في القرآن : ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقد نهوا أن يتبعوا أهـواءهم ، وأن يعملـوا بالمعاصي" [(٢)] .

ويوضح الفائدة من التهدد بصيغة الأمر، فيقول : " إنّ هذا جرى على خطاب العباد وحوار العرب الذي تستعمله في **المبالغة** في **الوعيد، وأنه مما يؤكد أمر الوعيد ".** [(٣)]

وقـال :" ﴿ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ ﴾ [الزمـر: ٣٩] ، و﴿ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ ﴾ : هذا اللفظ أمر على معنى الوعيد والتهديد، بعد أن أُعلموا ما يجـب أن يعملوا به ، ثم قيل لهم : ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ [الكهف: ٢٩] ، وهذا كلام

---

(١) انظر : الصاحبي ص :٢٨٩ ، والبرهان في أصول الفقه ١ : ٢١٧ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣ :٢٥٠ ، ٢٥١ .

(٣) المرجع السابق ٤ : ١٨٧ .

يستعمله الناس في الوعيد والتهديد، تقول : متى أسأت إلى فلان انتقمت منك ، ومتى أحسنت إليه أحسنت إليك ، **فاعمل ما شئت**، واختر لنفسك ، **فخوطب العباد على قدر مخاطباتهم وعلمهم** " (١) .

ويؤخذ مما مضى أمور :

١ - أن ضابط الأمر بمعنى الوعيد أن يتقدمه نهي عنه .

٢ - أن فائدة إخراج الوعيد والتهديد لشيء بصيغة الأمر هي **المبالغةُ** في الوعيد والتهديد وتأكيده .

٣ - أن ذلك كثير في اللغة والاستعمال وكذلك هو في القرآن الكريم .

ثانيا : أثر أسلوب إخراج الأمر مخرج الوعيد والتهديد في التفسير

إن إتيان الأمر لعدة معان سيفتح مجالا أوسع لصيغة الأمر لتحتمل أكثر من معنى ، ثم إلى اختلاف آراء المفسرين ، ولا شك أن الأمر بمعنى التهديد والوعيد هو نقيض الأصل في معنى الأمر وهو الطلب ، فإن الأول يتضمن النهي وهو طلب الكف ، وعليه فإن عدم حمل الآية الجارية على وفق هذا الأسلوب عليه سيغير المعنى بل ويعكسه .

ويتجلى أثر الأسلوب في التفسير بعدة صور وهي :

الصورة الأولى : في تعدد معاني الآية والخلاف ، ومن أمثلتها قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء : ٦٣ – ٦٤] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤ :٣٥٦ ، وقد أشار إلى هذا الأسلوب بقية أصحاب كتب المعاني ، لكن كان الزجاج هو أحسن من فصل فيه .

قال الزجاج :" فإن قال قائل : فكيف يجوز أن يؤمر إبليس أن يقال له : شـاركهم في الأموال والأولاد وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وعدهم بأنهم لا يبعثون ، فإذا فعل ذلك فهو مطيع ؟ " [(١)] ثم بين أن المراد بالأمر هنا الوعيد والتهديد ؛ لأنه تقدمه نهي .

ويرى ابن كثير في هذه الأوامر أنها ليست أمراً شرعيا ، إنما هي أوامر كونية قدرية، قال :" وهذا أمر قدري ،كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم: ٨٣] ، أي : تزعجهم إلى المعاصي إزعاجا ، وتسوقهم إليها سوقا " [(٢)].

وفسر الشوكاني الآية كذلك على أن الأمر للتهديد ، ثم قال : " وقيل: هي علـى طريقة الاستخفاف به وبمن تبعه " [(٣)] .

فيتحصل أن الأقوال ثلاثة :

الأول : إن الأمر للوعيد والتهديد وهو الراجح .

الثاني : إنه أمر قدري .

الثالث : إن الأمر هنا للاستخفاف .

وبه يتبين كيف أثر هذا الأسلوب في تعدد معاني الآية والخلاف .

ومثالها أيضا :

قوله تعالى : ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة: ٨١ – ٨٢].

في قوله : ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ ﴾ هذا أمر بالضحك ، والخطاب للمنافقين ، فمـا معـنى الأمر هنا ؟

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣ : ٢٥٠ . ٢٥١ . وكذا قال النحاس . انظر : معاني القرآن للنحاس ٤ : ١٧٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣ : ٥٠ .

(٣) فتح القدير ٣ : ٢٤٢ .

جعل النحاس قوله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾ من الأمر الذي يقصد به المبالغة في الوعيد والتهديد وليس أمرا بالضحك [١] ، وهو قول القرطبي [٢] .

وجعله بعض المفسرين - منهم ابن عطية - من الأمر بمعنى الخبر [٣] وجعل له احتمالين، قال:" قوله:﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا ﴾ إشارة إلى مدة العمر في الدنيا، وقوله:﴿ وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾إشارة إلى تأبيد الخلود في النار ، فجاء بلفظ الأمر ومعناه الخبر عن حالهم[٤]. **ويحتمل** أن يكـون صفةَ حالهم ، أي : هم لما هم عليه من الخطر مع الله ، وسوء الحال بحيث ينبغي أن يكـون ضحكهم قليلا وبكاؤهم من أجل ذلك كثيرا ، وهذا يقتضي أن يكون وقـت الـضحك والبكاء في الدنيا ، على نحو قوله ﷺ لأمته : ((**لو تعلمونَ مـا أعلـم لبكيـتم كـثيرا ولضحكْتم قليلاً**)) [٥] ، **وروي أن رسول الله ﷺ لما قال هذا الكلام أوحى الله إليـه : ((يا محمد لا تقنطْ عبادي))** " [٦] .

وبه يتبين كيف كان لأسلوب الأمر المقصود به التهديد والوعيد عاملا في احتمـال الآية أكثر من معنى، ثم الخلاف فيها، فإن معنى الآية يختلف إذا كان للتهديـد وإذا كـان إخبارا .

---

(١) معاني القرآن للنحاس ١ : ٣٥٥ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٨ :٢١٦، وقد ذكر القول الآخر بصيغة التضعيف، وانظر : تفسير العز بن عبد السلام ٢: ٤٠ .لكن هذا والله أعلم لا يصلح مع قوله ﷻ : ﴿ وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾ [التوبة: ٨٢]ويبقى أنه أمر بمعنى الخبر .

(٣) سيأتي شرح هذا الأسلوب في المبحث الآتي ص: ١٥٩ .

(٤) وهذا قول الشوكاني ، وهو ما يفهم من كلام السلف في تفسير الآية . انظر : فتح القدير ٢ : ٣٨٨ ، وتفسير ابن كثير ٢ : ٣٧٨ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الرقـاق ، باب : قول النبي ﷺ : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ٥ : ٢٣٧٩، برقم : (٦١٢٠) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب : تحريم سبق الإمام بركوع وسجود ونحوهما ١ : ٣٢٠ ، برقم : (٤٢٦) وهو بعض حديث .

(٦) انظر: المحرر الوجيز ٣ : ٦٦ . هذا بعض حديث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٣ : ٨٩ - ٩١، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ : ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، وقال: فيه سلام الطويل، وهو مجمع على ضعفه .

الصورة الثانية : وفيها أثر الأسلوب في توجيه القراءات :

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢ – ١١٣] .

في قوله تعالى :﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا ﴾ قراءة أخرى بسكون اللام (ولْيقترفوا) [(١)] فأصبحت اللام للأمر بعد أن كانت للصيرورة أو التعليل ، وهنا نحتاج لتوجيه القراءة بعد أن أصبح الفعل أمرا ؛ إذ كيف يأمر الله تعالى الذين لا يؤمنون باقتراف واكتساب الذنوب والمعاصي ؟

وقد أجاب النحاس على ذلك ، ووجه القراءة على الأسلوب فقال :" ويقرأ (**ولْيقْترفُوا**) **وفيه معنى التهديد** " [(٢)] .

فهنا وجه النحاس هذه القراءة على أنها بمعنى التهديد .

وقال غيره : إن اللام هي لام التعليل ، لكن سكنت تخفيفا لتوالي الحركات ، وذلك في الأفعال الثلاثة : (وَلِتَصْغَىٰ) ، (وَلِيَرْضَوْهُ) ، (وَلِيَقْتَرِفُوا) وليست بلام أمر ، وعلل ذلك بأن الفعل الأول الذي تتميز فيه علامة الجزم لم يجزم، ولو كانت لام أمر لكانت (ولْتصغَ) [(٣)] .

وهنا تبين فائدة الأسلوب في توجيه القراءات .

---

(١) وهي قراءة الحسن . انظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ١ : ٢٧٢ .

(٢) معاني القرآن للنحاس ٢ : ٤٧٨ وانظر : معاني الزجاج ٢ :٢٨٥ وعدلت عن نقل كلامه لأنه جعل الاقتراف بمعنى الاختلاق والكذب ، قال عنه الألوسي : فيه بعد . انظر : روح المعاني ٨ : ٧ وتفسير القرطبي ٧ : ٧٠

(٣) انظر : التبيان في إعراب القرآن ١ : ٥٣٣ ، وتفسير البحر المحيط ٤ : ٢١١ . تنبيه : عنون لكتاب التبيان في إعراب القرآن في بعض الطبعات بـ (إملاء ما من به الرحمن من الإعراب ووجوه القراءات) وهذا خطأ .

الصورة الثالثة : أثر الأسلوب في فهم المعنى واتضاحه ، ومثالها قوله ﷻ : ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٣٥] .

قال الزجاج : " فإن قال قائل : فكيف يجوز أن يأمرهم النبي ﷺ أن يقيموا على الكفر ؛ فيقول لهم : ﴿ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ ؟ فإنما معنى هذا الأمر المبالغة في الوعيد؛ لأن قوله لهم : ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ قد أعلمهم أن من عمل بعملهم فإلى النار مصيره ، فقال لهم : أقيموا على ما أنتم عليه إن رضيتم العذاب بالنار " (١) .

فتفسير قوله ﷻ : ﴿ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ بقولهم : اثبتوا على ما أنتم عليه، لا يكفي ولا يشفي حتى يبين نوع الأمر، وأنه هنا للتهديد والوعيد فيتضح معنى الآية .(٢)

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢ : ٢٩٤ ، وللنحاس مثله ، انظر : معانيه ٢ : ٤٩٣ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٨ : ٣٩ ، والمحرر الوجيز ٤ : ٥٣٣ ، وتفسير السمعاني ٢ : ١٤٧ .

المبحث الثاني عشر

أسلوب الخبر بمعنى الأمر وعكسه

أولا : لمحة عن الأسلوب

تقدم في المبحث السابق أن الأمر يأتي لمعان عدة وذكرت بعضاً منها ، ومن تلـك المعاني أن العرب تطلق الأمر وتريد به الخبر ،كما تطلق الخبر وتريد به الأمر ، والمراد بالأمر هنا الطلب عموما ، سواء أكان أمرا أم نهيا أم غير ذلك ، والحكمة من التعبير عن الأمـر بالخبر المبالغة في الحث عليه حتى كأنه وقع وأُخبر عنه ، وكذلك الحكمة من التعبير عن الخبر بالأمر هي تأكيد الخبر ووجوبه [١] .

وقد تضمن القرآن الكريم العديد من الآيات التي نزلت على وفق هذا الأسـلوب العربي ، وقد تعرض أصحاب كتب المعاني لهذا الأسلوب بالشرح والتوضيح ، ومن أحسن من تعرض له الزجاج ، فقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة : ٦٤] شارحا له :" لفظ : ﴿ يَحْذَرُ ﴾ لفظ الخبر ، ومعناه الأمر ؛ **لأنـه لا لبس** في **الكلام** في **أنه أمر ،** فهو كقولك : ليحذر المنافقون ، **وعلى هذا يجوز** في **كل ما يؤمر به أن تقول : يفعل ذلك ؛ فينوب عن قولك : ليفعل ذلك** " [٢] .

ومثله قول الرسول ﷺ : **((يغسلُ من بول الجَارية، ويرش من بول الغلام))** [٣] فقوله : (يغسل) و (يرش) هذان فعلان مضارعان، ومعناهما في الحديث الأمـر ، أي : اغسلوا، ورشوا .

---

(١) انظر : الإتقان في علوم القرآن ٢ : ١٠٦ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢: ٤٥٩ .

(٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، كتاب : الوضوء ، باب : غسل بول الصبية من الثوب ١: ١٤٣ ، وأبو داود في سننه ، كتاب : الطهارة ، باب : بول الصبي يصيب الثوب ١: ١٠٢ ، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب=

ونبه على القسم الآخر من الأسلوب - وهو الخبر بمعنى الأمر - فقال : " قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾ [مريم : ٧٥] ، هذا لفظ أمرٍ بمعنى الخبر، وتأويله: أن الله ﷻ جعل جزاء ضلالته أن يتركه فيها ويمده فيها [١] ، كما قال - جل وعز- : ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٦] " .

ثم ذكر الحكمة من ذلك فقال :" **إلا أن لفظ الأمر يؤكد معنى الخبر ، كأن لفظ الأمر يريد به المتكلم نفسه إلزاما** ، كأنه يقول : أَفْعلُ ذلك وآمر نفسي به ، فإذا قال القائل : من رآني [لعلها من زارني] فلْأكرمه ، فهو ألزم من قوله : أكرمه ، كأنه قال : من زارني فأنا آمر نفسي بإكرامه ، وألزمها ذلك " [٢] .

وقال عند تفسير قوله ﷻ:﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ﴾ [التوبة: ٥٣] :" هذا لفظ أمر، ومعناه معنى الشرط والجزاء، والمعنى : أنفقوا طائعين أو مكرهين لن يتقبل منكم[٣]، ومثل هذا في الشعر قول كثير :

أسيئي بِنا أو **أحسِني** لا ملومةً : لدينا ولا مقْليةً أنْ تقَلت

فلم يأمرها بالإساءة ، ولكن أعلمها أنها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدها ، فإن قال قائل : كيف كان الخبر في معنى الأمر ؟ قلنا : هو كقولك : غفر الله لزيد ، ورحم الله زيدا، فمعناه : اللهم ارحم زيدا " [٤] .

فالخبر يكون بمعنى الدعاء وهو من أنواع الطلب .

= الطهارة ، باب : بول الجارية ١ : ١٢٩ . قال الألباني : صحيح . انظر : صحيح سنن النسائي ١ : ٦٢ .

(١) وسيأتي التفصيل في هذه الآية في المثال الأول من هذا المبحث. انظر : ص : ١٦١ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣: ٣٤٣ .

(٣) لو قال : إن أنفقتم طائعين أو مكرهين فلن يتقبل منكم لكان أولى ، حتى يطابق قوله : " هذا لفظ أمر ومعناه معنى الشرط والجزاء ".

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢: ٤٥٣ .

ويؤخذ مما سبق أمران رئيسان :

١- أنه يجوز في كل أمر أن تعبر عنه بصيغة الخبر، وأنه ينوب عنه ، بشرط وضوح المعنى وعدم اللبس .

٢- أن الحكمة من هذا الأسلوب هي توكيد الخبر ، إذا كان على صيغة الأمر، والعكس؛ توكيد الأمر إذا كان على صيغة الخبر .

ثانيا : أثر أسلوب الخبر بمعنى الأمر والعكس في التفسير

هنا أيضا - وكما ذكرت في المبحث السابق - اتساع دلالة الأمر قد يعطي- في ظل القرائن- احتمالات متعددة لمعناه ، وهنا تردد الآية بين الخبر والأمر لا شك أنه يغير المعنى؛ فإن الخبر قد يكون أمرا حاصلا، بخلاف الأمر فإنه يطلب وجوده وحصوله، ثم قد يوجد أو لا يوجد ، كما مر من قولهم : غفر الله لفلان ، لو أخذ على ظاهره وأنه خبر لكان المعنى: أن مغفرة الله حصلت - وهذا المعنى لا يصح؛ لأنه لا يحكم لأحد بذلك - ولو حمل المعنى على الدعاء له - وهو من أنواع الطلب - فإن مغفرة الله لفلان ليس بالضرورة أن تحصل، فيتغير معنى الكلام إذا حمل على أصله من خبر أو أمر، وإذا حمل الأمر على الخبر والعكس.

ومن الآثار التفسيرية لهذا الأسلوب ما يلي :

الأثر الأول : في الخلاف في معنى الآية وتعدد معانيها ، ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ [مريم : ٧٥].

في معنى : (فَلْيَمْدُدْ) في الآية قولان مشهوران للعلماء [١] :

الأول : إنها صيغة أمر بمعنى الدعاء [٢]، وهذا هو ظاهرها، فيكون المعنى : أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يدعو على من كان في الضلالة بأنْ يمهله الله ﷻ ويبقيه في الضلالة حتى يلاقي الله بشر حال، فتكون هذه مباهلة للمشركين الذين يزعمون أنهم على هدى فيما هم فيه.[٣]

الثاني : وهو قول الزجاج وغيره [٤] إن (فَلْيَمْدُدْ) **لفظ أمر بمعنى الخبر** ، وتأويله : إن الله ﷻ جعل جزاء ضلالة الضال أن يتركه فيها ويمده فيها ، كما قال - جل وعز - : ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٦] .

والنكتة البلاغية هنا في إخراج الخبر بصيغة الأمر ؛ إيذاناً بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة ، كالمأمور به الممتثل لتقطع معاذير الضال ، كما نبه إليها الزمخشري [٥] .

وبه يتبين كيف كان لهذا الأسلوب سبب في الخلاف في الآية وتعدد معانيها ؛ فعلى الأول تكون كالمباهلة والدعاء عليهم ، وعلى الثاني تكون خبرا عن أمر حاصل .

ومثاله أيضا :

في قول الله تعالى : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴾ [الطلاق : ٦].

اختلف المفسرون في تفسير قوله : ﴿ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴾ على قولين :

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ١: ١٤٤ ، وزاد المسير ٥: ٢٥٩ ، وأضواء البيان ٣: ٤٨٨ .
(٢) هذا قول مجاهد ، رواه عنه ابن جرير . انظر : تفسير الطبري ١٦: ١١٩ ولم يذكر غيره .
(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٣: ١٣٦ .
(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣: ٣٤٣ وانظر تفسير البغوي ٣ : ٢٠٧ .
(٥) الكشاف ٣: ٣٩ .

الأول : إن هذا خبر من الله - تعالى - أنه إذا تعاسر الزوج مع زوجته البائنة منه في ابنهما الرضيع ، ولم يتفقا في أجرِ إرضاعه ، أنه سترضع له أخرى ، وليس له أن يجبرها ، ولكن يستأجر للصبي مرضعا غير أمه البائنة منه ، قالوا : وهذا فيه نوع عتاب من الله ﷻ للزوجات ، أي : إنْ لم ترضعيه ، وكان منك معاسرة فسيجد غيرك يرضع له ،كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى : سيقضيها غيرك ، تريد : لن تبقى غير مقضية ، وأنت ملوم[١].

الثاني : إنه خبر بمعنى الأمر، وهو قول الزجاج، قال :" معناه : فلْيرضع الوالد غير والدة الصبي ، وهذا **خبر** في **معنى الأمر**؛ لأن لفظ ﴿ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴾ لفظ الخبر، ومعناه : فلْيرضع " [٢] أي : الزوج ، وهذا أمر .

وذكر أبو حيان هذا الوجه ، إلا أنه جعله أمرا لأم الرضيع ، فقال :" **وقيل** : (فَسَتُرْضِعُ) خبر في معنى الأمر ، أي : فلْترضع له أخرى " [٣] أي : فلتسترضع له أمه مرضعةً أُخرى .

وكونه خبرا بمعنى الأمر قول لبعض المفسرين[٤]، وقد يتجه القول إنه خبر بمعنى الأمر للزوج - كما هو ظاهر قول الزجاج - إذا كان الإضرار والمضايقة من جانبه، فكأن المعنى : إنْ عاسرت أمه فلازم عليك أنْ تسترضع لمولودك غيرها، ولا تجبر أمه على إرضاعه، ويتجه قول أبي حيان أنه أمر لأم الرضيع إذا كان الإضرار من جهتها، ولم أجد من وجه بهذا التوجيه، فإن كان قد قيل به فحسن والله تعالى أعلم [٥] .

---

(١) انظر :تفسير الطبري ٢٨: ١٤٨، والكشاف ٤: ٥٦٣ ، وتفسير البغوي ٤ :٣٦٠ ، وروح المعاني ٢٨: ١٤٠.
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥: ١٨٦ ، ١٨٧ .
(٣) تفسير البحر المحيط ٨ : ٢٨١ ، وضعفه الألوسي ، وقال : ليس بذاك . انظر : روح المعاني ٢٨: ١٤٠ .
(٤) انظر : زاد المسير ٨ : ٢٩٧ ، تفسير ابن كثير ٤ : ٣٨٤ ، وتفسير السمعاني ٥: ٤٦٦، وتفسير ابن زمنين ٤ : ٤٠٤ .
(٥) انظر : ما نقله الألوسي في تفسيره عن ابن المنير في تفسير الآية ٢٨ :١٤٠ ، لكنه جعلها عتابا للزوج في حال كون الآية خبرا على بابها ، واستنبطت المعنى منه .

الأثر الثاني : في الإجابة عن الإشكالات في القرآن الكريم ، ومن أمثلته : قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴾ [الفجر : ٢٧ - ٢٨] .

اختلف أهل التفسير في الوقت الذي تبشر به النفس المطمئنة بهذا الكلام ؟ هل هو في الدنيا عند الموت ، أو هو في الآخرة عند البعث ، أو عند انصراف الناس إلى الجنة ، أو عند ذلك كله ، كلها أقوال للعلماء [(١)] : لكن من قال : إن ذلك في الآخرة ، وأن معنى (إِلَىٰ رَبِّكِ) أي : إلى الله ، سيشكل عليه قوله : (ٱرۡجِعِيٓ) وقد صار إلى الله تعالى ؟

ومن ذهب إلى هذا القول الفراء، وأجاب عن هذا الإشكال بجوابين، قال في الأول: " وقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴾ بالإيمان والمُصدقة بالثواب والبعث، ﴿ ٱرۡجِعِيٓ ﴾ تقول لهم الملائكة إذا أعطوا كتبهم بأيمانهم : ﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ إلى ما أعد الله لك من الثواب " أي: يقال لهم ذلك في أرض المحشر ، والرجوع يكون إلى الجنة وثواب الله تعالى .

ثم قال في الجواب الثاني – وفيه الشاهد للمبحث - : " وقد يكون أن يقولوا لهم هذا القول ينوون : ارجعوا من الدنيا إلى هذا المرجع ، وأنت تقول للرجل : ممن أنت ؟ فيقول : مضري ، فتقول : كن تميميا أو قيسيا ، أي : أنت من أحد هذين ، فيكون (كن) صلة ، كذلك الرجوع يكون صلة ؛ لأنه قد صار إلى القيامة ، **فكأن الأمر** بمعنى **الخبر** ، كأنه قال : أيتها النفس أنت راضية مرضية " [(٢)] .

فكان معنى الأمر في قوله : ﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ ﴾ بمعنى الخبر : رجعت راضية، إلا أني لم أجد من قال بقوله هذا ، وإن كان ابن جرير قد نقله مجردا [(٣)] والله أعلم .

---

(١) تفسير الطبري٣٠ : ١٩٠- ١٩٢ ، وتفسير البغوي ٤: ٤٨٧ ، وزاد المسير ٩ : ١٢٣ ونسب القول بأن ذلك في الدنيا إلى الأكثرين .

(٢) معاني القرآن للفراء ٣ : ٢٦٢ .

(٣) ابن جرير الطبري ممن يرجح أن الرد يكون للأجساد ، فمعنى ارجعي إلى ربك أي: إلى صاحبك، وعلى هذا القول فلا إشكال ، مع أن ابن كثير استغرب هذا القول . انظر تفسير ابن جرير ٣٠: ١٩٣ ، وتفسير ابن=

الأثر الثالث : أثر الأسلوب في الشذوذ في التفسير ، **ومن أمثلته** قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٠٣]

قال الفراء : " وفى قوله : ﴿ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ ﴾ وجه آخر ؛ وذلك أن يريد : **لا يقولن** هذا المتعجل للمتأخر : أنت مقصر ، ولا المتأخر للمتعجل مثل ذلك، فيكون قوله : ﴿ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ ﴾ أي : **فلا يؤثمن** أحدهما صاحبه ." (١) .

فصار الخبر وهو ﴿ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ ﴾ إلى معنى النهي ، وهو : فلا يؤثمن ، والنهي من أنواع الطلب .

وقد أورد الطبري هذا القول ثم رد عليه فقال : " وهذا أيضا تأويل لقول جميع أهل التأويل مخالف ، وكفى بذلك شاهدا على خطئه . " (٢)

والمعروف من أقوال السلف في الآية أنها خبر على ظاهرها، وفيها قولان :

الأول : أن قوله - عز وجل - : ﴿ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ ﴾ ، بمعنى : أنه لا إثم عليهما ، مغفور لهما بحجهما .

القول الآخر : لا إثم على المتعجل في تعجيله ، ولا المتأخر في تأخيره ، على تفصيل في ذلك (٣) .

فانظر كيف كان لهذا الأسلوب أثر في فهم الآية على ذلك الوجه الشاذ الذي ذكره الفراء .

=كثير ٤ : ٥١١ .

(١) معاني القرآن للفراء ١: ١٤٨

(٢) تفسير الطبري ٢: ٣١١ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢ : ٣٠٥ .

ومثاله أيضا : قوله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٣].

المفسرون على أن المعنى خبر من الله - جل وعلا - عن نفسه أنه كفى به وكيلا توكل إليه أمور العباد ، فيسهلها ويقوم بها بما هو أصلح للعبد ، أو كفى به حافظا ومدبرا وقائما على شؤون عباده [(١)].

وقال الزجاج :" ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ معناه : وكفى اللهُ وكيلا ، دخلت الباء بمعنى **الأمر ، وإن كان لفظه لفظ الخبر** ، المعنى : **اكتف** بالله وكيلا . " [(٢)] .

ولم أجد أحدا من المفسرين صرح أن هذا خبر بمعنى الأمر ، أو حتى أشار إلى هذا القول [(٣)] ، وهذا يختلف في المعنى لو كان خبرا ، وإن كان قد يقصد بالخبر العمل بلازمه ومقتضاه [(٤)] ، إلا أنه يقصد به أيضا معانيَ أخرى ، كتعظيم الله تعالى وأنه يكفي وكيلا لمن توكل عليه ، وربما تفيد كذلك الوعد بالنصر ، كما قال ابن عطية : " ثم أمره تعالى بالتوكل عليه وأنسه بقوله: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾، ففي قوة الكلام وعد بنصر" [(٥)] .

وهذا لا تفيده الآية على قول الزجاج . [(٦)]

---

(١) انظر : المحرر الوجيز ٤: ٣٩٠ ، والدر المنثور ٢: ٧١٤ ، وتفسير السعدي ١: ٦٥٧ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤: ٢١٣ .

(٣) إلا ما كان من النسفي في تفسيره فقد أشار إليه . انظر : تفسير النسفي ٣ : ٢٩٥ .

(٤) تفسير النسفي ١: ٢٥٣ .

(٥) المحرر الوجيز ٤ : ٣٩٠ .

(٦) لمزيد من الأمثلة انظر : معاني القرآن للزجاج ٣ : ١١٧ و ٣: ٥٢ و ٤: ٣٠ في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ [يوسف:٦٠] على قراءة (تقربونَ) بفتح النون .وتفسير قول الله ﷻ : ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾[هود: ٤١]، وقوله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ [النور: ٣] ،ومعاني القرآن للفراء ٣: ٢١٨ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤ : ٥٤٨ في تفسير قوله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾[النور: ٥١]،ومعاني القرآن للنحاس ٤: ١٨٨ و ١: ٢١٤ في تفسير قوله ﷻ : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الإسراء : ٨٤] وقوله تعالى : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾[البقرة: ٢٣٣] . =

= وفي غير كتب المعاني انظر : المحرر الوجيز ٣: ١٥ تفسير قولـه تعـالى : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٨].

وتفسير القرطبي ٧: ١٦٠ و ١٨: ٢١٥ تفسير قوله تعالى : ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ [الأعراف: ٢]

و قوله تعالى : ﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ [الملك: ١٥] .

وتفسير الجلالين ١: ٢٥٥ ، تفسير قوله ﷻ : ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا ﴾ [التوبة: ٨٢].

المبحث الثالث عشر

أسـلوب الاستـفهـام

أولا : لمحة عن الأسلوب

الأصل في الاستفهام طلب الإفهام والتعليم ، هذا هو الأصل لكن كثيرا ما تأتي صيغة الاستفهام وتكون بمعنى الإفهام لمعنى معين ، كالنفي ، والإنكار ، والتوبيخ ، والأمر ، وغير ذلك من المعاني المختلفة ، ويختلف هذا باختلاف سياق الكلام ومراد المتكلم [١] .

وقد نبه أصحاب كتب المعاني إلى أشهر معاني الاستفهام الذي هو بمعنى الإفهـام، فذكروا من معانيه :

أ- التوبيخ والإنكار [٢] .

ب - التعجب .

وقد أشار الفراء إلى هذين المعنيين عند تفسير قولـه تعـالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ﴾[البقـرة: ٢٨] ،قال:" على **وجه التعجب والتوبيخ**؛ لا على الاستفهام المحض؛ أي: ويحكم كيف تكفرون! وهو كقوله: ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾[التكوير: ٢٦]"[٣] .

ج- الطلب : سواءٌ أكان **أمرا ، أم نهيا** ، أم دعاء .

وقد أشار الفراء أيضا إلى هذا النوع من الاستفهام فقال : " وقولـه :﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾ [آل عمـران : ٢٠] وهو **استفهام ، ومعناه أمرٌ** ، ومثلـه قول الله: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١] استفهام ، وتأويله : انتهوا ، وكـذلك قولـه: ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ [المائـدة : ١١٢] وهل تستطيع ربك [٤] ، إنما هو مـسألة، أي :

---

(١) انظر : مجاز القرآن ٢ : ١١٨ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢ : ٣٨٤ .

(٢) ذكر الشنقيطي في تفسيره قاعدة نافعة ، وهي :..أن سؤال الله للكفار في القرآن كله توبيخ وتقريع . انظر : أضواء البيان ٢ : ٧ .

(٣) معاني القرآن للفراء ١ : ٢٣ .

(٤) بإدغام اللام في التاء قرأ بها الكسائي وحده. انظر: السبعة في القراءات١ : ٢٤٩ ، والحجة في القراءات السبع=

اسأل ربك أن ينزل علينا مائدة ؛ أو لا ترى أنك تقول للرجل : هل أنت كـاف عنـا ؟ معناه: اكفف ، [و] تقول للرجل : أين أين ؟ أي : أقم ولا تبرح " (١) .

لكنه نبه أيضا إلى نكتة بلاغية من صيغة الاستفهام المراد بها الأمر ، أو النهي وأنه قد يكون متضمنا لمعنى التهديد والوعيد .

قال : " ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ ﴾ [المائدة : ١١٦] ، هذا باب تفهـيم، وليس باستفهام عن جهل ليعلمه ، وهو يخرج مخرج الاستفهام ، وإنما يراد به **النـهيُ** عـن ذلك **ويتهدد به** ، وقد علم قائله أكان ذلك أم لم يكن ، ويقول الرجل لعبـده : أفعلـت كذا ؟ وهو يعلم أنه لم يفعله ، ولكن يحذره " (٢) .

وقال الزجاج أيضا في هذا المعنى : " كما تقول للرجل بعـد أن تـأمره وتؤكـد عليه : أقيلت ؟ .. وإلا فأنت أعلم ، فأنت إنما تسأله متوعدا في مسألتك ، لعمري هذا دليل أنك تأمره بأن يفعل " (٣) .

د - التعظيم والتفخيم .

ذكره الزجاج ، فقال : " قوله ﷻ : ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [النبـأ : ١] والمعنى : عن أي شيء يتساءلون ؟ فاللفظ لفظ استفهام ، والمعنى **تفخيم** القصة ، كما تقـول : أي شـيءٍ زيد ؟ ثم بين فقال : ﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [النبأ : ٢] " (٤) .

و- النفي والجحد .

ز- عكسه وهو الإثبات (٥) .

= ١ : ١٣٥ .

(١) معاني القرآن للفراء ١ : ٢٠٢ .

(٢) معاني القرآن للفراء ١ : ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١ : ٣٩٠ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥ : ٢٧١ .

(٥) ذكر القرطبي أن الاستفهام بمعنى النفي إذا دخل على جملة منفية كان بمعنى الإثبات . انظر: تفسير القرطبي ٧ : ٢٩٥ .

قال الفراء إشارة إلى هذين النوعين : " قوله تبارك وتعالى : ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ ﴾ [الإنسان : ١] ، معناه : قد أتى على الإنسان حين من الدهر ، **و(هل) قد تكون جحدا ، وتكون خبرا ،** فهذا من الخبر ؛ لأنك قد تقول : فهل وعظتك ؟ فهل أعطيتك ؟ **تقرِّره** بأنك قد أعطيته ووعظته ، والجحد أن تقول : وهل يقدر واحد على مثل هذا ؟ " (١) أي : لا يقدر واحد على مثل هذا .

وقال أبو عبيدة في قول الله ﷻ : ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ [هود : ٢٤] : " أي : لا يستوي المثلان مثلا ، وليس موضع (هَلۡ) هاهنا موضع الاستفهام ، ولكن موضعها هاهنا موضع **الإيجاب** أنه لا يستويان ، وموضع **تقرير وتخبير** أن هذا ليس كذاك (٢) ، ولها في غير هذا موضع آخر ؛ **موضع (قد)** ، قال [الله تعالى] : ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾ [الإنسان: ١] ، معناها : قد أتى على الإنسان " .

وقال عند قوله تعالى : ﴿ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٨]: " مجازه مجاز **الإيجاب** [الذي هو عكس الاستفهام بمعنى طلب الإفهام] ؛ لأن هذه الألف يكون للاستفهام وللإيجاب (٣)، فهي هاهنا للإيجاب ، وقال جرير (٤) :

ألستم خير من ركب المطايا : وأندى العالمين بطونَ راحِ

فهذا لم يشك ، ولكن أوجب لهم أنهم كذلك ، ولولا ذلك ما أثابوه ؛ والرجل يعاتب عبده وهو يقول له : أفعلت كذا ؟ وهو لا يشك " (٥) أي : أنه فعل .

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣ : ٢١٣ .

(٢) وقد قصد هنا بالإيجاب والتقرير : تقرير هذا المعنى وهو النفي .

(٣) وذكر الزجاج هذا التقسيم وعبر عن الثاني بالتقرير . انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢ : ٣٨٤ .

(٤) هو جرير بن عطية بن حذيفة أبي حزرةَ التميمي البصري ، شاعر مشهور من فحول شعراء الإسلام ، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض ، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن ، وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة : جرير ، والفرزدق ، والأخطل . انظر : الشعر والشعراء ص : ٤٦٤ ، ووفيات الأعيان ١ : ٣٢١ ، والبيت في ديوانه ص : ٧٧ .

(٥) مجاز القرآن ٢ : ١١٨ .

والاستفهام له معاني كثيرة ، لكن هذا ما وجدت مما نبه عليه أصحاب كتب المعاني، وهي أهمها ، وقد ذكر السيوطي اثنين وثلاثين نوعاً للاستفهام ! [(١)] ، وكلها داخلة تحت القسم العام الذي ذكره أصحاب كتب المعاني وهو : الإيجاب والتفهيم .

ثانيا : أثر أسلوب الاستفهام

إن تعدد معاني الاستفهام بهذه الكثرة ، وكثرة وروده في القرآن الكريم تؤكد على قارئ القرآن الوقوف عند التركيب الاستفهامي في القرآن الكريم ، وتفحص معناه وتدبره لما يحتمله هذا الأسلوب من معاني متباينة ، بل ومتناقضة أحيانا ، كالاستفهام بمعنى الأمر وبمعنى النهي .

وهذه صور من أثر الأسلوب تبين أثره في التفسير :

الصورة الأولى : الخلاف وتعدد معاني الآية ، ومثالها قوله ﷻ : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق : ٣٠].

للمفسرين في معنى الاستفهام في قوله تعالى حكاية عن جهنم :﴿ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ ؟ وجهان ، نقلهما الزجاج ، فقال : " أحدهما : أنها تقول ذلك **بعد امتلائها** ، فتقول : هل من مزيد ؟ أي : هل بقي فيّ موضع لم يمتلئ ؟ [(٢)]، أي : قد امتلأت .

ووجه آخر : تقول : هل من مزيد ؟ تغيظا على من عصى ، كما قال ﷻ : ﴿ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٢] " [(٣)] .

فعلى الوجه الأول يكون معنى الاستفهام النفي ، أي : ما بقي موضع فيّ للزيادة، وعلى الثاني يكون معنى الاستفهام الطلب واستدعاء الزيادة ، أي : زدني . وهذا هو الراجح لحديث : ((**لا تزالُ جهنمُ تقُولُ : هلْ من مزيد** حتى **يضع رب العزة فيها قدمهُ فتقُولُ : قطْ قطْ ، وعزتك ، ويُزوى بعضُها إلى بعضٍ**)) [(٤)] ، وهنا يتضح أن المعنى :

---

(١) انظر : الإتقان في علوم القرآن ٢ : ٢١٧ .

(٢) وقال النحاس : المعنى ما في مزيد . انظر : إعراب القرآن ٤ : ٢٢٩ . وهذا يدل على أن الاستفهام للنفي .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٥ : ٤٦ ، ٤٧ .

(٤) انظر: تفسير الطبري ٢٦ : ١٧١ ، وتفسير القرطبي ١٧ : ١٨، وتفسير البغوي ٤ : ٢٢٤ ، وإعراب القرآن=

زدني، ويمكن أن يقال: إذا كان قول الله تعالى لجهنم:(هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ) قبل أن يضع فيها الرب ﷻ قدمه الكريمة فالأنسب أن يكون معنى الاستفهام الطلب، وإن كان بعد فالأنسب أن يكون الاستفهام للنفي- والله أعلم- وهكذا ناسب الاستفهام كلا القولين لتعدد معانيه .

ومن أمثلتها أيضا : قال الله تعالى :﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٥٥].

قال النحاس عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ ﴾ : " أتهلكنا بذنوب السفهاء الذين عبدوا العجل ، وأنت متفضل علينا بالعفو قبل هذا ، قال أبو جعفر: حقيقة المعنى : **لست تلكنا** ، وألف الاستفهام تدل على هذا المعنى [يعني النفي والجحد] في كثير من المواضع " (١) .

فجعل النحاس الاستفهام في الآية بمعنى النفي، أي : لست ممن يفعل ذلك، قاله موسى ﷺ ثقة منه برحمة الله ، والمقصود منه **الاستعطاف والتضرع** .

والقول الثاني في معنى الاستفهام في الآية : إنه طلب ودعاء يتضمن الاستعطاف ، أي : لا تهلكْنا بما فعل السفهاء منا ، وهذا القول والأول مؤداهما - تقريبا - واحد .

القول الثالث : إنه استفهام على بابه للاستعلام ، أي أن موسى ﷺ يسأل ربه ﷻ : أتهلكنا ؟ واستظهره أبو حيان ، قال : " **والذي يظهر** لي **أنه استفهام استعلام :** أتبغ إهلاك المختارين- وهم خير بني إسرائيل- بما فعل غيرهم ؟ إذْ من الجائز في العقل ذلك ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾ [الأنفال: ٢٥]،

= للنحاس ٤ : ٢٢٩ . والحديث أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور ، باب : الحلف بعزة الله وصفاته ٦ : ٢٤٥٣ ، برقم : (٦٢٨٤) ، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب : النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٤ : ٢١٨٧ ، رقم : (٢٨٤٨) .

(١) معاني القرآن للنحاس ٣ : ٨٧ .

وقوله ﷺ - وقد قيل له : أنهلك وفينا الصالحون ؟ - قال : ((**نعم إذَا كَثُر الخَبثُ**)) [١]، وكما ورد : أن قوماً يخسف بهم ، قيل : وفيهم الصالحون ؟ فقيل : ((**يُبعثُون علَى نِياتهم**)) أو كلاماً هذا معناه [٢] " .

فكان تعدد معاني الاستفهام سببا في تغير معنى الآية والخلاف فيها .

ومثالها أيضا : قوله ﷻ : ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[المائدة : ١١٢] [٣] .

استشكلت الآية ؛ فإن قول الحواريين : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ هذا اللفظ ظاهره يقتضي الشك في قدرة الله ﷻ ؟ [٤] .

قال المفسرون : لم يكن ذلك شكا منهم ، بل نقل الإجماع على أنهم كانوا مؤمنين [٥]، وأجاب أصحاب كتب المعاني عن هذا الإشكال مستعملين هذا الأسلوب وأن السؤال والاستفهام ليس على بابه ، وليس هو للشك ، وإنما هو بمعنى الطلب والمسألة [٦] .

قال الأخفش : "وليس قولهم :﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ ﴾ لأنهم ظنوا أنه لا يطيق ، ولكنه كقول العرب : أتستطيع أنْ تذهب في هذه الحاجة وتدعنا من كلامك ، وتقول : أتستطيع أنْ تكُف عني فإني مغموم ، فليس هذا لأنه لا يستطيع ، ولكنه يريد : كُف عني ، ويذْكُر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ضمن حديث، في كتاب الأنبياء ، باب : قصة يأجوج ومأجوج ٣ : ١٢٢١، برقم : (٣١٦٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الْفتن وأشراط الساعة، باب : اقْتراب الْفتن وفَتح ردمِ يأْجوج ومأْجوج، ٤ : ٢٢٠٧ برقم : (٢٨٨٠) .

(٢) رواه بنحوه البخاري في صحيحه، باب بدء الوحي ٢ : ٧٤٦ ، برقم: ٢١٢ . وتفسير البحر المحيط ٤ :٣٩٩ . وانظر : تفسير البغوي ٢ : ٢٠٤ ، وتفسير السمعاني ٢ : ٢٢٠ ، وفتح القدير ٢ : ٢٥٢ .

(٣) من أحسن من تكلم عن الآية فيما وقفت عليه ابن جرير الطبري . انظر تفسيره ٧ : ١٢٩ .

(٤) تفسير البحر المحيط ٤ : ٥٧ .

(٥) قال ابن عطية : " لا خلاف أحفظه في أن الحواريين كانوا مؤمنين " . المحرر الوجيز ٢ :٢٦٠ ، وانظر : الدر المصون ٤ : ٥٠٠ .

(٦) انظر : معاني الفراء ١ : ٣٢٥ ، ومعاني القرآن للزجاج ٢ : ٢٢٠ ، ومعاني النحاس ٢ : ٣٨٥، أما أبو عبيدة فقال : " ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾[**المائدة: ١١٢**]، أي : هل يريد ربك " . مجاز القرآن ١ : ١٨٢ .

له الاستطاعة ليحتج عليه ، أي : إنك تستطيع ، فإذا ذكّره إياها علم أنها حجة عليه" [١]
فمعنى الاستفهام في الآية الطلب ، ويكون معنى الآية : فلْينزل علينا ربك مائدة من السماء .
لكن جاء التعبير بصيغة الاستفهام ليدل على التلطف والتأدب في السؤال ، كما هو مناسب أهل الإيمان الخالص [٢] .

وقد ذكر النحاس مرادهم بطلب ذلك ، وأن ذلك إما ليتبينوا ، كما قال إبراهيم ﷺ : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٠] ، **وإما** أن يكون سؤالهم هذا من قبل أن يعلموا أن عيسى ﷺ يبرئ الأكْمه والأبرص ، فأرادوا أن يروا آية له على نبوته ورسالته [٣] ، لكن لما كان سؤال آيات الاقتراح منافياً للانقياد للحق ، وكان هذا الكلام الصادر من الحواريين ربما أوهم ذلك ، وعظهم عيسى عليه السلام فقال : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢] [٤] .

وقيل في الآية : إن الاستفهام على بابه [٥] ، والمراد به : هل ذلك جائز في الحكمة أم لا ؟ وذلك لأن أفعال الله تعالى لما كانت موقوفة على رعاية وجوه الحكمة ، ففي الموضع الذي لا يحصل فيه شيء من وجوه الحكمة يكون الفعل ممتنعاً ، فإن المنافي من جهة الحكمة كالمنافي من جهة القدرة .

وشذ الزمخشري وقال : إنهم لم يكونوا صادقين في إدعائهم الإيمان ، فجعل الاستفهام هنا للشك . [٦]

وبه يتبين كيف ساعد الأسلوب على تغير المعنى والخلاف بين المفسرين .

ومثالها أيضا : قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ ﴾ [المائدة : ١١٦].

---

(١) معاني القرآن للأخفش ٢ : ٤٨١ .
(٢) التحرير والتنوير ٧ : ١٠٥ .
(٣) معاني القرآن للنحاس ٢ : ٣٨٥ .
(٤) تفسير السعدي ١ : ٢٤٨ .
(٥) نقله الرازي في سياق ذكر الأجوبة عن الإشكال في الآية . انظر : التفسير الكبير ١٢ : ١٠٧ .
(٦) الكشاف ١ : ٧٢٤ .

اختلف المفسرون في وقت هذا الخطاب من الله - جـل وعـلا - لعيـسى عليه السلام

فالقول الأول : أن ذلك كان حين رفعه الله إلى السماء [١] .

والثاني : أن ذلك يوم القيامة ، وهو قول أكثر المفسرين [٢] .

ولن أتعرض لحجج كل فريق على ما رجح ، ولكن أنبه على مـا يهمنـا في هـذا المبحث ؛ وهو ما معنى الاستفهام على كلا القولين ؟ فإنه مختلف ، وقد ساعد تعدد معـاني الاستفهام كلا الفريقين على قوله :

فعلى القول الأول وأن ذلك كان حين رفعه الله تعالى ، يكون الاستفهام على ما قاله أبو عبيدة [٣] هو استفهام بمعنى النهي والتهديد لعيسى عليه السلام عن هذا القول .

قال ابن جرير الطبري : " فإن قال قائل : وما كان وجه سؤال الله عيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ، وهو العالم بأن عيسى لم يقل ذلك ؟

قيل : يحتمل ذلك وجهين من التأويل :

أحدهما : تحذير عيسى عن قيل ذلك ونهيه ،كما يقول القائل لآخر : أفعلت كذا وكذا ، مما يعلم المقُولُ له ذلك أن القائل يستعظم فعلَ ما قال له أفعلته ؟ على وجه النهي عن فعلـه، والتهديد له فيه .

والآخر : إعلامه أن قومه الذين فارقهم قد خالفوا عهده وبدلوا دينهم بعده ، فيكون بذلك جامعا إعلامه حالهم بعده، وتحذيره له قيله " [٤] فيكون معناه على هـذا القـول : النـهي والتحذير، و الإخبار والإعلام .

إلا أن أصحاب هذا القول لم يبينوا ما فائدة نهيه وتهديده وقد رفع !

وأما على القول الآخر وأن هذا الخطاب يكون في الآخرة فمعنى الاستفهام : هـو توبيخ للكفار وتقريع لهم . وهذا هو قول الزجاج [٥].

فهنا يتبين كيف ساعد تعدد معاني الاستفهام أصحاب كلا القولين على قوله .

---

(١) وهو قول السدي ، واختاره ابن جرير . انظر : تفسير الطبري ٧ : ١٣٨ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٦ : ٣٧٤ ، وفتح القدير ٢ : ٩٤ .

(٣) مجاز القرآن ١ : ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٤) تفسير الطبري ٧ : ١٣٨ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢ : ٢٢٢ .

الصورة الثانية : أثر الأسلوب في دفع ما يـشكل في التفـسير ، ومثالهـا قولـه تعـالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٣].

أمر الله - تعالى- نبيه ﷺ في معرض ذكر جملة من معايب بني إسرائيل - أن يسأل أهـل الكتاب عن هذه القرية التي كانت حاضرة البحر، ثم أخبره الله تعالى بقصة هذه القرية بعده، فيقول قائل: إذا كان الأمر كذلك فما الفائدة من أمر النبي ﷺ أن يسألهم حينئذ ؟ (١)

بين هذا الزجاج ، فقال : " فمعنى أمر النبي ﷺ أن يسأل أهل الكتاب عن أهل هذه القرية - وقد أخبر الله جل ثناءه بقصتها - **ليقررهم** بقديم كفرهم ، وأن يعلمهم ما لا يعلم إلا بكتاب أو وحي " (٢) .

فتكون آية له عليه الصلاة والسلام . فيكون قد قررهم **موبخا** لهم بأمرين :

الأول : قديم كفرهم .

والثاني : أن يعلمهم ما لا يعلم إلا بكتاب أو وحي ، فتكون شاهدة له على صـدقه ، وأن عدم إيمانهم به عناد وكفر .

وبه يتبين معنى الآية ويزول الإشكال الوارد فيها . (٣)

---

(١) هنا في الآية الأسلوب أسلوب أمر ، إلا أنه لما كان أمرا بالسؤال صح أن يلحق بالاستفهام .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢ : ٣٨٤ .

(٣) وذكر النحاس في معانيه نحوه ٣ : ٩٢ ، وهذا هو قول المفسرين ، قالوا : هو توبيخ لهم . انظر : المحرر الوجيز ٢: ٤٦٧ والتفسير الكبير ١٥: ٣١ ، وروح المعاني ٩ : ٨٩ ، وغيرها . انظر مثالا آخر على أثر الأسلوب : تفسير قوله تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ ﴾ [العنكبوت : ٢] في معاني الزجاج ٤ : ١٦٠، ومعاني القرآن للنحاس ٥ : ٢١١ .

المبحث الرابع عشر

الجزاءُ عن الفعل بمثل لفْظه مع اختلاف المعنى

أولا : لمحة عن الأسلوب [١]

من سنن العرب في كلامها أنها تسمي الجزاء والعقوبة على الفعل أو الذنب بمثل لفظ ذلك الفعل والذنب ، وإن كان الجزاء مختلفا عنه في المعنى والحقيقة .

قال الزجاج : " والعرب تقول : **ظلمني فلان فظلمته** ، أي : جازيته بظلمه، وجهل علي فجهلت عليه ، أي : جازيته بجهله ، قال الشاعر [٢] :

ألا **لا** يجهلن أحد علينا : **فنجهلَ** فوق جهل الجاهلينا

أي: فنكافئُ على الجهل بأكثر من مقداره " [٣] .

ومثله في القرآن الكريم قوله ﷻ :﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾[البقرة: ١٩٤] ، فالاعتداء من المشركين ظلم ، فهو اعتداء في اللفظ والمعنى، والاعتداء المنسوب إلى المؤمنين قصاص ، وليس باعتداء في الحقيقة ، فهو اعتداء في اللفظ لا في المعنى ، وقريب منه ما يعرف عند علماء البلاغة بالمشاكلة [٤] .

وقد بين أصحاب كتب المعاني سبب ذلك والحكمة منه ؛ وأنه من أجل الازدواج في الكلام كما كان يسميه النحاس ، فيكون أخف على اللسان من المخالفة بينهما [٥]، وأيضا حتى يعلم أنه عقاب على الفعل وجزاء به ، وسهل ذلك أن الفعلين من جنس واحد، وصورتهما واحدة .

---

(١) انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص : ٢٧٧ ، الصاحبي ص : ٣٨٥ .

(٢) هو عمرو بن كلثوم ، والبيت في ديوانه ص : ٧٨ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٤) قال ابن حجة الحموي : " المشاكلة في اللغة هي : المماثلة ، والذي تحرر في المصطلح عند علماء هذا الفن أن المشاكلة هي : ذكر الشيء بغير لفظه لوقوعه في صحبته ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ [الشورى : ٤٠] ، فالجزاء عن السيئة في الحقيقة غير سيئة ، والأصل وجزاء سيئة عقوبة مثلها " . انظر : خزانة الأدب وغاية الأرب ٢ : ٢٥٢ . انظر كذلك : الإيضاح في علوم البلاغة ١ : ٣٢٧ .

(٥) انظر : تفسير القرطبي ١ : ٢٠٧ .

قال الزجاج في سياق تفسير الآية السابقة : " وسمي الثاني اعتداء ؛ **لأنه مجازاةُ اعتداء** ، فسمي بمثل اسمه ؛ لأن صورة الفعلين واحدة ، وإن كان أحدهما طاعة والآخر معصية " .

وقال النحاس :" فسمى جزاء الذنب باسمه **لازدواج الكلام ، وليعلم أنه عقاب عليه وجزاء به** " (١)

وقد كان لهذا الأسلوب عند أصحاب كتب المعاني وغيرهم أثر في تأويل آيات الصفات ، كما سيتضح في الأمثلة .

ثانيا : أثر أسلوب الجزاء عن الفعل بمثل لفظه مع اختلاف المعنى في التفسير

كان لهذا الأسلوب أثره في التفسير ، وأهم تلك الآثار يتمثل في صورتين :

الصورة الأولى : أنه كان أداة لتأويل بعض آيات الصفات ، وهذا أهم أثر لهذا الأسلوب في كتب المعاني ؛ فقد كانوا يفسرون صفات المكر والخداع والاستهزاء والسخرية التي أضافها الله تعالى إلى نفسه ، والتي تكون مقابل من مكر أو استهزأ بالدين ، جعلوا معناها من الله جزاءهم عليها ، ومعاقبتهم عليها ، وما أشبه ذلك ، والصحيح أن المكر والسخرية من الصفات الفعلية لله - جل وعلا - وأن الله تعالى يمكر ويسخر بمن مكر أو استهزأ بالدين، كما قال تعالى : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠] ، فهذه تكون من الله ﷻ في مقابلة مثلها من الكفار، ولا يوصف الله تعالى بها ابتداء ، وهذا هو معتقد أهل السنة .

ومن الأمثلة عليها قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء : ١٤٢] ، قال الأخفش : " فذا على الجواب ، يقول الرجل لمن كان يخدعه إذا ظَفَر به: أنا الذي خدعتك ، ولم تكن منه خديعة ، ولكن قال ذلك ؛ إذ صار الأمر إليه ، وكذلك: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٥٤] و﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة : ١٥] على الجواب ، **والله لا يكون منه المكر والهُزء** ، والمعنى: أن المكر حاق بهم والهزء صار بهم" (٢).

---

(١) معاني القرآن للنحاس ١ : ٩٦ .

(٢) معاني الأخفش ١ : ١٩٣، كذلك فسر الزجاج صفة المكر والخداع والسخرية والاستهزاء بالمجازاة على =

فهنا نفى الأخفش صفة الخداع والمكر والاستهزاء عن الله تبارك وتعـالى وجعلـها جارية على هذا الأسلوب ، وهو الجواب والجزاء عن اللفظ بمثله والمعنى مختلف ، فعبر بلفظ الخداع - على زعمه - مقابلة ومشاكلة لقوله : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ﴾ [البقرة: ٩] ، لكنـه هنـا خداع وفي الثاني عقوبة عليه، وليس ثمة خداع ، ففسره بلازمه وأثره ، وكذلك القـول في المكر والاستهزاء ، وهذا خلاف ما عليه معتقد أهل السنة والجماعة من إثبات صفة المكـر والخداع والاستهزاء والسخرية لله – سبحانه - بأعدائه مقابل مكرهم واستهزاءهم على ما يليق بالله تبارك وتعالى ، ولا يوصف الله بها ابتداء واستقلالا .

ففي هذا المثال يتبين كيف كان لهذا الأسلوب هذا الأثر في التفسير الـذي أدى إلى تأويل آيات الصفات ، وقد يفتح هذا بابا لتعطيل غيرها من الصفات قياسـا علـى هـذا الأسلوب ، كما قيل في قولـه تعـالى :﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمـران: ٣١] إن قوله ﷻ : ﴿ يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ المحبة من الله تعالى لعبده رضاه عنه أو إثابته وغير ذلك ، وأولوا صفة المحبة ، وقالوا إنما عـبر بالمحبـة هنـا مـن قبيـل الاسـتعارة أو المشاكلة . (١)

كـذلك في قولـه تعـالى : ﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ ﴾ [المائدة : ١١٦] قيل : والأصل تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما عندك ؛ **فإن الحق تعالى وتقـدس لا يستعمل** في **حقه لفظ النفس،** إلا أنها استعملت هنا مشاكلة لما تقدم من لفظ النفس(٢)، لكن اعتقاد أهل السنة أن الله ﷻ يوصف بأن له نفساً (٣) .

= ذنبهم. انظر: معاني الزجاج١ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ و ١ : ٩٠ ، ٩١ ، كذلك النحاس ، انظر معانيه : ١ : ٩٦ و٣ : ٢٣٧ . وفسر أبو عبيدة المكر بالأخذ والعقوبة والاستدراج . انظر : مجاز القرآن ١ : ٢٧٦ ، والفراء فسره بالاستدراج ، ونفى أن تكون السخرية والاستهزاء من الله كمعناه في العباد . انظر: معاني القرآن للفراء ١ : ٢١٨ و ٢ : ٣٨٤ .

(١) انظر : روح المعاني ٣ : ١٢٩ ، وتفسير أبي السعود ٢ : ٢٤ .

(٢) انظر : خزانة الأدب وغاية الأرب ٢ : ٢٥٢ . ابن عطية جعل ذلك من باب المقابلة . انظر : المحرر الوجيز ٢ : ٢٦٣ .

(٣) انظر : اعتقاد الإمام المبجل ابن حنبل (ذيل طبقات الحنابلة) لمحمد بن أبي يعلى ١ : ٢٩٨ ، وقطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر لمحمد صديق القنوجي ١ : ٦٥ ، وكتاب التوحيد لابن خزيمة ١ : ١٢، والأربعين في=

وخرج عليه أيضا قول النبي ﷺ : **((لا يمل اللهُ حتى تملوا))** [(١)] قالوا : لا يقطع الثواب حتى تملوا . [(٢)]

الصورة الثانية : أثر الأسلوب في دفع ما يشكل ، ومن أمثلتها قوله ﷻ : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٣].

هنا في الآية قوله : ﴿ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ قد يرد على الـذهن سـؤال وإشكال فيها وهو : هل يجوز الاعتداء على الظالمين ؟ [(٣)] .

أجاب الفراء على هذا مستعملا هذا الأسلوب فقال : " فإن قال قائل : أرأيت قوله: ﴿ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أعدوانٌ هو وقد أباحه الله لهم ؟ قلنا : ليس بعـدوان في المعنى ، إنما هو لفظٌ على مثلِ ما سبق قبله ؛ ألا ترى أنـه قـال : ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٤] فالعدوان من المشركين في اللفظ ظلم في المعنى ، والعدوان الذي أباحه الله وأمر به المسلمين إنما هو قصاص . فلا يكـون القـصاص ظلما ، وإن كان لفظه واحدا .

ومثله قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠]، وليست من الله على مثل معناها من المسيء ؛ لأنها جزاء " [(٤)].

فهنا ساعد هذا الأسلوب على فهم الآية على الوجه الصحيح ، ودفع ما قد يرد من إشكالات في اللفظ .

= دلائل التوحيد لعبد الله الهروي ١ : ٥٢ ، والنعوت والأسماء والصفات للنسائي ١ : ٣٣٧ .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب : بدء الوحي ١ : ٢٤ ، برقم : (٤٣) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القُرآن أو الذّكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك ١ : ٥٤٢ ، برقم : (٧٨٥) .

(٢) انظر : خزانة الأدب وغاية الأرب ٢ : ٢٥٢ .

(٣) كما أورده ابن جرير . انظر : تفسير الطبري ٢ : ١٩٥ .

(٤) معاني القرآن للفراء ١ : ١١٦ ، ١١٧ ، ومثله للزجاج والنحاس . انظر : معاني القرآن وإعرابه ١: ٢٦٥، ومعاني القرآن للنحاس ١ : ١١٠ .

المبحث الخامس عشر

الاسمان المُصطَحبان

يضم أحدهما إلى صاحبه فيسميان به جميعاً

أولا : لمحة عن الأسلوب [١]

من أساليب العرب في الكلام أنهم إذا اجتمع الشيئان أو الاسمان في معنى أو كانا من جنس وكانا مصطحبين- فلا يذكر أحدهما حتى يذكر الآخر- سميا باسم أحدهما تغليبا له لشرفه ، أو شهرته ، أو غير ذلك من الأسباب [٢] ، ومثال ذلك قولهم : العمران ، يريدون أبا بكر ، وعمر - رضي الله عنهما - وقولهم : القمران ، يريدون : الشمس والقمر ،كذلك الأبوان ، يريدون : الأب والأم ، وغير ذلك من الأمثلة .

قال الفراء : " العرب قد تجمع الاسمين على تسمية **أشهرهما** ، فيقال : قد جاءك الزهدمان ، وإنما أحدهما زهدم ، قال الشاعر [٣] :

أخذنا بآفاقِ السماءِ عليكُم : لنا **قَمراها** والنجوم الطوالع

يريد [أي بقوله : قمراها] : الشمس والقمر ، وقال الآخر [٤] :

قسموا البلاد فما بها لمقيلهم : تضغيثُ مفتصلٍ يباع فصيلُه

فقُرى العراقِ مسيرةُ يومٍ واحد : **فالبصرتان** فواسطٌ تكميلُه

---

(١) انظر : الصاحبي في فقه اللغة ص : ١٢٠ ، والمزهر في علوم اللغة والأدب ٢: ١٦٧ ، والبرهان في علوم القرآن ٣: ٣١٢ ، والإتقان في علوم القرآن ٢: ١٠٨ .

(٢) قد يعللون ذلك للخفة في نطق الاسم المغلب كما في العمرين . انظر : المزهر في علوم اللغة والأدب ٢ : ١٧٠.

(٣) القائل هو الفرزدق . والبيت في ديوانه ٢ : ٤٦ .

(٤) لم أجد من نسبه ، والبيت في لسان العرب ١١: ٥٩٨ ، مادة (كمل) ، وتاج العروس ٣٠: ٣٥٣ مادة (كمل) .

يريد : البصرة والكوفة " [١].

وقال النحاس : " إذا اجتمع الشيئان في معنى غُلب أحدهما " [٢] .

وقد جاء القرآن الكريم على هذا الأسلوب كما سيأتي .

ثانيا : أثره في التفسير :

ليس لهذا الأسلوب كثير أمثلة في كتب المعاني ، وهو من الأساليب التي تجعل اللفظة التي يمكن حملها على هذا الأسلوب محتملة لمعنيين ، فإن الأصل أن تكون التثنية لاسم واحد وشيء واحد ، لكن هنا في هذا الأسلوب كان المثنى لشيئين مختلفين باسم أحدهما تغليبـا، وهذا أحيانا يردد المعنى بين الأصل وبين هذا الأسلوب فينشأ الخلاف ، كما في هذا المثـال الذي يبين أثر الأسلوب في الترجيح :

قول الله - تبارك وتعالى - : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴾ [الزخرف : ٣٨].

قال الفراء : " يريد : ما بين مشرق الشتاء ومشرق الصيف [٣] ، ويقال : إنـه أراد المشرق والمغرب ، فقال : المشرقين ، وهو أشبه الوجهين بالصواب ؛ **لأن** العرب قد تجمـع الاسمين على تسمية أشهرهما " [٤] .

فرجح هنا الفراء أن المراد بالمشرقين : المشرق والمغرب ، غُلب عليهما اسم المـشرق لاصطحابهما جرياً على هذا الأسلوب .

وهذا هو قول الزجاج ، ولم يتعرض للقول الآخر .

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣ : ٣٣ .
(٢) معاني القرآن للنحاس ٦: ٣٦٠ .
(٣) وهذا هو قول مقاتل . انظر : تفسير مقاتل بن سليمان ٣: ١٩٠ .
(٤) معاني القرآن للفراء ٣ : ٣٣ ، ٣٤ .

أما النحاس فقد ذكر القولين ولم يرجح بينهما [١] ، و أكثر المفسرين على ما رجحه الفراء والزجاج ، وأن هذا من باب تغليب أحد الاسمين على الآخر . [٢]

فهنا يتبين كيف كان لهذا الأسلوب أثره في الترجيح بين الأقوال والخلاف في معنى الآية[٣] .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ : ٤١٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٦ : ٣٦٠ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٥: ٧٤ ، وتفسير البغوي ٤ : ١٣٩ ، وتفسير ابن كثير ٤: ١٢٩ ، وتفسير الجلالين ١: ٦٥١ .

(٣) لم أجد غير هذا المثال عند أصحاب كتب المعاني .

المبحث السادس عشر

التكْنِيةُ عن الشيءِ الذي عرف اسمه وإنْ لم يجرِ له ذكْر

أولا : لمحة عن الأسلوب :

المراد بالتكْنية : الإضمار باصطلاح أهل النحو ، والأصل والأغلب أن يرجع الضمير في الكلام على مذكور، فيضمر عنه اختصارا ، لكن في كلام العرب قد يعود الضمير على غير مذكور ، إذا كان المعنى معروفا بيناً لكثرته في الكلام ، أو وجود دليل يدل عليه من سياق أو قرينة [(١)].

ومثال ذلك قول الأخفش : " قال [تعالى] :﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [فاطر : ٤٥] فأضمر الأرض من غير أن يكون ذَكَرها ؛ لأن هذا الكلام قد كثر حتى عرف معناه ، تقول : أُخبِرك ما على ظَهرها أحد أحب إلي منك ، وما بها أحد آثر عندي منك " [(٢)] .

فأثبت الأخفش هذا الأسلوب في كلام العرب ، وبين أن هذا إنما يكون إذا عرف المعنى ، وذكر سبب ذلك وهو كثرته في الكلام .

وقال الفراء : " وإذا عرف اسم الشيء كُني عنه ، وإن لم يجرِ له ذكر " [(٣)] .

وقال الزجاج : " قال أهل اللغة :﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾ [ص : ٣٢] يعني : الشمس، ولم يجر للشمس ذكر . وهذا لا أحسبهم أعطوا الفكر حقه فيه ؛ لأن في الآية دليلا على

---

(١) انظر : البرهان في علوم القرآن ٤ : ٢٥- ٢٨ ، قال ابن الشجري في سياق ذكر أقسام ضمير الغيبة : " القسم الرابع : أن يعود الضمير على معلوم قد تقرر في النفوس ، فقام قوةُ العلم به وارتفاع اللبس فيه مقام تقُدمِ الذكر له ... قال حاتم الطائي :

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى : إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

أراد حشرجت النفس ". انظر : الأمالي الشجرية ٢ : ٣٣٨ وما بعدها .

(٢) معاني القرآن للأخفش ٢ : ٦٦٦ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣ : ٢٨٥ .

الشمس ، وهو قوله :﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ﴾ [ص : ٣١] ، والعشي في معنى بعد زوال الشمس ، حتى توارت الشمس بالحجاب ، **وليس يجوز الإضمار إلا أن يجري ذكر أو دليل بمنزلة الذكر** " (١) .

ومنه يتبين أن الحكم بأن الشيء كني عنه وهو غير مذكور قد يقع فيه خلاف، وقول الزجاج هذا لا يخالف قول الأخفش وأهل اللغة في أصل الأسلوب [وقد أجرى بعض الآيات عليه كما سيأتي في الأمثلة] لأن أهل اللغة لا يرون الإضمار لغير مذكور إلا بدليل، لكنه لا يرى التساهل في هذا، بل يرى التدقيق قبل القول إنه لم يجر له ذكر، وهو يحاول قدر الإمكان إرجاع الضمير لمذكور، وفي بعض الأحيان تجده يتكلف القول بأن الضمير قد جرى له ذكر،كالمثال السابق، وكما في قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]، قال : " إن قوله: ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾تعود على القرآن، وقد جرى له ذكر في قوله ﷻ : ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾[الدخان:١ – ٣]!(٢).

ثانيا : أثره في التفسير

كان لهذا الأسلوب أثر واضح في الخلاف في مرجع الضمير ، فأحيانا يختلف المفسرون : هل المرجع مذكور أم لا ، كما أنهم إذا قالوا إنه غير مذكور اختلفوا في المعنى الذي يرجعونه إليه . وقد نتج عن هذا عدة آثار للأسلوب :

الأثر الأول : وكان في الخلاف بين المفسرين ، ومن أمثلته قول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾ [الشمس : ١ – ٣] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤ : ٣٣١ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥ : ٣٤٧ ، وانظر : كلامه في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [فاطر: ٤٥] ، قال حقيقته أنه قد جرى ذكر الأرض في قوله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر : ٤٤] وهي الآية السابقة لها . معاني الزجاج ٤: ٢٧٦. لكنه قال في آية النحل : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [النحل: ٦١] : " معنى ﴿ عَلَيْهَا ﴾ : على الأرض ، ودل الإضمار على الأرض ؛ لأن الدواب إنما هي على الأرض " . معاني الزجاج ٣ : ٢٠٦ .

قال الفراء : " قوله ﷻ : ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾ : جلّى **الظلمة** ، فجاز الكناية عن الظلمة ولم تذْكر ؛ لأنّ معناها معروف [١] ، ألا ترى أنك تقول : أصبحت باردةً، وأمست باردة ، وهبت شمالا ، فكنى عن مؤنثات لم يجر لهن ذكر ؛ لأن معناها معروف " [٢].

فجعل الفراء الضمير في (جَلَّىٰهَا) يعود على اسم لم يذكر لفظا في الآية ، وهو (الظلمة) لكنه فهم من المعنى [٣] وذلك من قوله تعالى : ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ ، ولم أجد هذا القول عن السلف ، لكن قال ابن جرير : إن له وجهاً [٤].

ويميل ابن كثير إلى أن الضمير يعود إلى **الأرض** ، ولم يسبق لها ذكر أيضا . قال : " ولو أن هذا القائل - يريد الفراء - تأول ذلك بمعنى : ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾ ، أي : **البسيطة** ، لكان أولى ، ولصح تأويله في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴾ [الشمس : ٤] فكان أجود وأقوى والله أعلم " [٥] .

وسواء قلنا البسيطة - وهي الأرض - أم الظلمة ، فإن المعنى متقارب ؛ لأن الظلمة في الأرض .

لكن نقل الزجاج قولا آخر في الآية بعد أن ذكر كلام الفراء ، قال : " وقيل : ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾ إذا بين **الشمس** ؛ لأنها تبين إذا انبسط النهار " [٦] .

فجعل الضمير يعود على **مذكور وهو الشمس** . وهذا القول يناسب مذهب الزجاج في تمسكه بالأصل ، وأن الضمير يعود إلى مذكور . [٧]

---

(١) لعله أخذها من معنى الآية قبلها فإن قوله : ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ [الشمس : ٢] يدل على الليل والظلمة
(٢) معاني القرآن للفراء ٣ : ٢٦٦ .
(٣) وهو قول البغوي . انظر : تفسير البغوي ٤ : ٤٩١ .
(٤) انظر : تفسير الطبري ٣٠ : ٢٠٨.
(٥) تفسير ابن كثير ٤ : ٥١٦ .
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥ : ٣٣٢ .
(٧) رجحه الشوكاني . انظر : فتح القدير ٥ : ٤٤٨ . وهذا مروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - انظر: الدر المنثور ٨ : ٥٢٨ .

فكان لهذا الأسلوب أثر في الخلاف في مرجع الضمير ثم في معنى الآية كما ترى .[١]

ومثاله أيضا : قال الله ﷻ في سياق ذكر نعيم أصحاب اليمين : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ ﴾[الواقعة : ٣٤ – ٣٦].

اتفق المفسرون أن مرجع الضمير في قوله : ﴿ أَنشَأْنَٰهُنَّ ﴾ عائد على زوجات أهل الجنة ، سواء أكن من الحور العين ، أم من نساء الدنيا ، لكن كان الخلاف في توجيه ذلـك إذْ لم يسبق لهن ذكر .

فوجه الأخفش الآية على هذا الأسلوب، فقال :" قال : ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ فأضمرهن ولم يذكرهن قبل ذاك "[٢] .

فجعل ذلك على طريقة عود الضمير على غير مذكور .

وبين المفسرون وجه هذا القول، فقال ابن كثير :" دل السياق - وهو ذكر الفرش - على النساء اللاتي يضاجعن فيها ، فاكتفى بذلك عن ذكرهن ، فصح عود الضمير علـيهن وإن لم يجر لهن ذكر "[٣] .

قال ابن عاشور[٤] عن هذا التوجيه : " وهذا أحسن وجه في تفسير الآية "[٥].

وقيل : إن مرجع الضمير مذكور ، واختلفوا في تعيينه :

فقال بعضهم : يرجع إلى الحور العين المذكورات في أول السورة في قوله : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ [الواقعة : ٢٢] في ذكر ما أعد الله ﷻ للسابقين المقربين من النعيم ، عزاه ابن جرير إلى

---

(١) كلام السلف يتجه بأنها البسيطة ، بدليل قول مجاهد : ﴿ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾ : أضاء ، وقال قتادة : إذا غشيها النهار . انظر : تفسير الطبري ٣٠ : ٢٠٨ . وروي عن ابن عباس أنه قال : أضاءها . انظر : الدر المنثور ٨ : ٥٢٨ . وقد فهم ابن الجوزي أن مجاهدا يرجع الضمير إلى الشمس . انظر : زاد المسير ٩ : ١٣٨ .

(٢) معاني القرآن للأخفش ٢ : ٧٠٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤ : ٢٩٢ .

(٤) هو محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور ، عالم أديب ، تولى القضاء والفتيا ونقابة الأشراف بتونس ، وتوفي بها سنة ١٢٨٤ هـ ، له شفاء القلب الجريح في شرح بردة المديح ، وحاشية على شرح التفتازاني . انظر : معجم المؤلفين ١٠ : ١٠١ .

(٥) التحرير والتنوير ٢٧ : ٣٠١ .

أبي عبيدة ، قال : " ﴿ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴾ أعاد إلى النساء ، إلى حور العين " [١] .
وأرى أنه ليس صريحا في أن أبا عبيدة أراد هذا ، بل يحتمل أنه أراد الحور المضمن معناهن في قوله : ﴿ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴾ ، وكذلك قول الزجاج لم يصرح أنهن المـذكورات ، أم لا [٢] ، ونقله ابن عطية عن قتادة [٣] واستبعده ، وعلل ذلك بأن تلك القصة قد انقضت جملـة ، يعني الحديث عن درجة المقربين [٤].

وهذا لا يصح على القول بأنهن نساء الدنيا ، كما هو رأي الفراء ، وهو مروي عن الرسول ﷺ . فلا يبقى إلا أن يعود على غير مذكور .

وقيل: هو عائد على قوله :﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴾[الواقعة: ٢٧]؛ لأنها تشمل حتى النساء .
وقال بعضهم : راجع إلى الفرش ، والمراد بالفُرش النساء ، والعرب تطلق على المرأة الفراش، كما تطلق عليها إزار ولباس . [٥]

وبهذا يتبين كيف كان لهذا الأسلوب أثره في فهم المعنى ، وتوجيه الآية مـن غـير تكلف في تحديد مرجع الضمير ، كما هو القول الأول .

الأثر الثاني : وهو أثر الأسلوب في توجيه القراءات والخلاف، ومثاله قوله ﷻ:﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴾ [يس : ٨].

قال الفراء :" قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ ﴾ فكنى عن (هي) ، وهي **للأيمان** ، ولم تذْكر [٦] . وذلك أن الغلّ لا يكون إلاّ باليمين والعنق، جامعاً

---

(١) تفسير الطبري ٢٧ : ١٨٥ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥: ١١٢ .
(٣) هو قتادة بن دعامة السدوسي الحافظ أبو الخطاب البصري ، ولد سنة ٦٠ هـ ، عالم بالتفسير والفقه ، روى عن أنس بن مالك ﷺ ، وعبد الله بن سرجس ، وغيرهما ، توفي بواسط سنة ١١٧ هـ ، وقيل : ١١٨ هـ انظر : طبقات الفقهاء ١: ٩٤ ، وطبقات المفسرين للداودي ١ : ١٤ .
(٤) المحرر الوجيز ٥ : ٢٤٤ .
(٥) نقله ابن عطية عن أبي عبيدة . انظر : المحرر الوجيز ٥: ٢٤٤ ، والألوسي أيضا ، وقال : والاستخدام بعيد ههنا. روح المعاني ٢٧: ١٤٢ .
(٦) هذا لفظه ومراده واضح .

لليمين والعنق ، فيكفى ذكر أحدهما من صاحبه ... ومثله قول الشاعر [١] :

وما أدري إذا يممت وجهاً : أُريد الخَير **أيهما** يليـْني
أألخـير الذي أنا أبتغـيه : أم الشر الذي لا يأتليني

فقال : (أيهما يليني) ولم يذكر إلا الخير ؛ لأن ذكر أحدهما يكفي من الآخـر ، فـالمعنى معروف " [٢] .

فجعل الفراء الضمير في قوله : (فَهِىَ) يعود على الأيمان والأيدي ، وليس لها ذكر ، واستدل على ذلك أن الغل لا يكون إلا باليد مع العنق جامعا لهما . والذي حمله على هذا القول وساعد عليه قراءة عبد الله بن مسعود ﷺ : (إنا جعلنا في أيمانهم أغـلالا فهـي إلى الأذقان) [٣].

وهذا هو قول الزجاج ، والنحاس وهو ما رجحه الطبري ، وابن كثير [٤] .

ورجح عدد من المفسرين أن الضمير يعود على الأغلال ، والمعنى : أن هذه الأغلال التي في الأعناق عظيمة، فهي من غلظها قد وصلت إلى الأذقان فرفعتها [٥] .

وهنا يتبين أيضا أثر الأسلوب في توجيه القراءات والجمع بينها ، و في الخـلاف في مرجع الضمير وتعدد معاني الآية .

الأثر الثالث : وهو أثر الأسلوب في الخلاف والخروج عن أقوال المفسرين ، ومثاله قول الله تعـالى : ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مـريم : ٧٠ – ٧١] ذكر النحاس خمسة أقوال في مرجـع الـضمير في قولـه

---

(١) هو المُثَقب العبدي ، والبيتان في ديوانه ص : ٢١٢ ، ٢١٣ . وفيه (هو يبتغيني) بدل (لا يأتليني) وهما بمعنى، أي : لا يقصر في طلبي .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢ : ٣٧٢ .

(٣) وتروى عن ابن عباس ، وأبي ابن كعب - رضي الله عنهم - أيضا ، وهي من القراءات الشاذة . انظر : معاني الفراء ٢ : ٢٧٣ ، وتفسير الطبري ٢٢ : ١٥٠ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣ : ٣٨٤ .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ : ٢٧٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥ : ٤٧٧ ، وتفسير الطبري ٢٢ : ١٥٠ وتفسير ابن كثير ٣ : ٥٦٥ .

(٥) كما ذهب إليه الزمخشري ، والألوسي ، وابن سعدي . انظر : الكشاف ٤ : ٧ ، وروح المعاني ٢٢ : ٢١٤ وتفسير السعدي ١: ٦٩٣ .

:﴿ وَارِدُهَا ﴾ ثم قال : " **وأبين** ما في هذه الأقوال قول من قال : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ إنها **القيامة** " [١] .

فجعل مرجع الضمير للقيامة، **ولم يسبق لها ذكر**، فذكر ما يدل عليها، فقال: "وقوله تعالى :﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ﴾ [مريم : ٦٨] **يدل على ذكر القيامة** ، فكنى عنها بهذا ، **وكذلك ذكر جهنم** يدل على القيامة ؛ لأنها فيها " .

ثم ذكر السبب الذي حمله على هذا القول ، وأنه لم يجعل الضمير يعود إلى جهنم المذكورة قبل ، فقال :"والله - جل وعز - يقول : ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨] فيبعد أن يكون مع هذا دخول النار " .

هكذا وجه النحاس معنى الورود في الآية ليتخلص من الإشكال فيها ؛ وأن من المؤمنين من لا يمكن أن تنالهم نار جهنم ، واستعان بهذا الأسلوب ، فإن لفظ القيامة لم تذكر في الكلام السابق صريحة ، فجوز عود الضمير عليها بدلالة الكلام السابق ، لكنه بذلك قد خرج عن أقوال عامة المفسرين، فلم أجد من ذكر هذا القول- فضلا عن ترجيحه- إلا قلة منهم [٢] .

أما أصحاب كتب المعاني فليس لهم كلام في هذه الآية ، إلا الزجاج وقد رجح أن المراد بالورود هو الحضور والقرب من جهنم [٣] أعاذنا الله منها .

ويتضح في هذا المثال كيف كان لهذا الأسلوب أثر في الخلاف والخروج عن أقوال عامة المفسرين .

الأثر الرابع : وفيه أثر الأسلوب في تعدد معاني الآية ، ومثاله قوله تعالى :﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴾ [العاديات : ١ – ٤].

---

(١) معاني القرآن للنحاس ٤ : ٣٥٠ .

(٢) منهم البغوي ، والقرطبي ، وذكراه بصيغة التضعيف ، وذكر البغوي أنه مروي عن ابن مسعود ﷺ ، ولم يقف عند هذا القول أحد منهم أو يعلق عليه ! انظر : تفسير القرطبي ٨ : ١٥٣ ، وتفسير البغوي ٣ : ٢٠٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣ : ٣٤٠ .

قال الفراء :" قوله ﷻ : ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴾ ، والنقع : الغبار، ويقال : التراب .

وقوله ﷻ : ﴿ بِهِۦ نَقْعًا ﴾ يريد : **بالوادي ، ولم يذكره قبل ذلك** ، وهو جائز ؛ **لأن** الغبار لا يثار إلاّ من موضع ، وإن لم يذكر ، وإذا عرف اسم الشيء كُني عنه ، وإن لم يجرِ له ذكر " [١].

وقال الزجاج : " فأثرن **بمكان عدوها** نقعا " [٢] .

والمعنيان متقاربان ، إلا أن قول الفراء هو على قول ابن مسعود ﷺ إن القَسم في السورة بالإبل إذا أفاضت من مزدلفة ، والثاني على قول ابن عباس- ﷺ - إنها الخيل المغيرة في سبيل الله ﷻ ، وكلاهما جعل الباء للظرفية [٣] ، وليس لغيرهم من أصحاب كتب المعاني كلام في هذه الآية .

وهناك قولان آخران للمفسرين في مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ ﴾ :

الأول : المراد بقوله : (فَأَثَرْنَ بِهِۦ) أي : بعدوها وغارتها .

الثاني : المراد : بحوافرها ، وهو القول المأثور عن أكثر السلف كما في الدر المنثور. وهذا قريب من السابق .

وعلى هذين القولين تكون الباء بمعنى السببية أو الاستعانة ، والضمير يعود على العدو أو الحوافر . [٤]

وهكذا كان لهذا الأسلوب أثر في تعدد معاني هذه الآية ، وإضافة معنى تحتمله الآية الكريمة .

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣ : ٢٨٤ ، ٢٨٥ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥ : ٣٥٣ .
(٣) انظر : تفسير السمعاني ٦: ٢٧٠ .
(٤) انظر : الدر المنثور ٨ : ٦٠٠ .

الفصـل الثانـي

أساليب المعاني وأثرها في التفسير

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : أسلوب المشترك اللفظي .

المبحث الثاني : تعدد معاني الحروف والأدوات وأثره في التفسير .

المبحث الثالث : زيادة الحروف وأثره في التفسير .

المبحث الرابع : تعدي الفعل ولزومه .

المبحث الخامس : استثناء الشيء من الشيء وليس منه .

المبحث الأول

المشْـترك اللفـظي

أولا : لمحة عن الأسلوب

قسم علماء اللغة الألفاظَ وعلاقتها بالمعاني إلى ثلاثة أقسام :

١ - ما اختلف لفظه واختلفت معانيه ، وهذا هو الأكثر والأصل ، نحو : الرجل والمرأة .

٢ - ما اتحد معناه واختلف لفظه ، (وهي المترادفات) ، نحو : جلس ، وقعد .

٣ - ما اتحد لفظه واختلف معناه ، وهو المشترك اللفظي الذي نحن بصدد الكلام عنه .[١]

ويمكن الإشارة إلى موضوع المشترك اللغوي من خلال النقاط التالية :

أ - تعريفه

ب - أقسامه .

ج - حكم استعمال المشترك اللفظي في جميع معانيه في آن واحد

د - علاقته بعلم الوجوه والنظائر.

أ - تعريفه (وفيه إشارة إلى أسبابه) :

قال ابن فارس : " معنى الاشتراك أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر " [٢] .

ومثاله : لفظ العين ، فإنه يطلق على الباصرة ، وعين الشمس ، ومـا ينبـع مـن المـاء والجاسوس ، وغير ذلك .

وقد أشار أبو عبيدة في مقدمة مجازه إلى قضية الاشتراك في اللغة، والتي جاء القـرآن الكريم بها، فقال: " ومن مجاز ما جاء له معان غير واحد مختلفة فتأولتـه الأئمـة بلغاتهـا، فجاءت معانيه على وجهين أو أكثر من ذلك، قال [تعالى]: ﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾ [القلم : ٢٥]

---

(١) انظر في التقسيم : الخصائص لابن جني ٢ : ٩٣ .

(٢) الصاحبي ص : ٤٥٦ . وانظر : تاج العروس ١: ٢٥ ، والاشتراك اللفظي في القرآن لمحمد نور الدين المنجـد ص : ٣٧ .

ففسروه على ثلاثة أوجه ، قال بعضهم : على قصد ، وقال بعضهم : على منـع ، وقـال آخرون : على غضب وحقد " [١] .

فأشار أبو عبيدة إلى أن المشترك موجود في اللغة ، وهو واقع في القـرآن الكـريم ، وقد نبه بقوله : "فتأولته الأئمة بلغاتها " إلى أن من أسباب وجود المشترك اختلاف لغـات الأئمة ، وهذا سبب ، وذكر العلماء أسبابا أخـرى منـها كثـرة الاسـتعمال لكلمـة مستعارة لمعنى مغاير لأصل معناها [٢]، وأياً كان فالنتيجة في النهاية واحدة وهـي وقـوع المشترك .

ب - أقسامه : يمكن تقسيم المشترك من اعتبارين :

الأول : من حيث نوع اللفظة المشتركة من أقسام الكلام ، وذلك ثلاثة أقسام :

أ - مشترك في الأسماء ، مثل (الصدى) يطلق على عدة معان ، منها : العطش ، ومنها : ما يعارض الصوت في الأوعية الخالية ، وغير ذلك .

ب - مشترك في الأفعال ، كما في الفعل (وجد) ، يأتي بمعنى : حزن ، و علم .

ج - مشترك في الحروف ، كما في (أم) تكون بمعنى الاستفهام ، ومعنى (بـل) الـتي للإضراب ، وسيأتي الكلام عليه في المبحث الذي يليه - إن شاء الله تعالى - .

الثاني : من حيث نوع العلاقة بين المعنيين للمشترك ، وينقسم إلى قسمين :

أ - أن تكون العلاقة بين المعنيين للّفظة المشتركة علاقة تضاد؛ بحيث لا يمكن أن يجتمعـا، وهي ما يعرف بالأضداد ، كالقرء : للطهر والحيض .

ب - أن تكون العلاقة بينهما غير التضاد ، وهو ما سوى الأضداد من المشترك اللفظي [٣].

---

(١) مجاز القرآن ١ : ١٣ .

(٢) هذا ما نص عليه أبو علي الفارسي بقوله : إن اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغي أن لا يكـون قـصداً في الوضع ، ولا أصلاً ، ولكنه من لغات تداخلت ، أو أن تكون لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتصير بمنزلة الأصل . انظر : المخصص ٤ : ١٧٣ .

(٣) انظر : الإبهاج ١ : ٢٥٤ .

ج - حكم استعمال المشترك اللفظي في جميع **معانيه** في **آن واحد** : [١]

هذه المسألة لها صلة كبيرة بأثر المشترك في التفسير ؛ إذ الحكم بجواز ذلك أبلـغ في الإعجاز والفصاحة ، ويظهر أثر هذا الأسلوب في اتساع معاني القرآن الكريم .

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين :

الأول : جواز ذلك إذا كان المعنيان غير متضادين ، ولم يدل دليل على أحد المعنيين ، وهو قول أكثر الفقهاء، كما نقل ذلك عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية [٢] قال : " ومن التنـازع الموجود عنهم ما يكون اللفـظ فيـه محـتملا لأمـرين ، إمـا لـكونه **مـشتركا** في **اللـفظ** ، كلفظ ﴿ قَسْوَرَةٍ ﴾ [المدثر : ٥١] الذي يراد به الرامي، ويراد به الأسد ، ولفـظ ﴿ عَسْعَسَ ﴾ [التكوير: ١٧] الذي يراد به إقبال الليل، وإدبـاره ، وإمـا لكونـه متواطئـاً في الأصل ؛ لكن المراد به أحد النوعيين أو أحد الشيئين ،كالـضمائر في قولـه : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ [الـنجم: ٨] ، وكلفـظ : ﴿ وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ [الفجـر : ١- ٣]، وما أشبه ذلك ، فمثل هذا قد يجوز أن يراد به كل المعاني التي قالها السلف ، وقـد لا يجوز ذلك ، فالأول إما لكون الآية نزلت مرتين ، فأريد بها هذا تارة وهذا تارة ، **وإمـا لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معنياه ، إذ قد جـوز ذلـك أكثـر الفقهـاء** : المالكية ، والشافعية ، والحنبلية ، وكثير من أهل الكلام " [٣] .

---

(١) انظر المسألة : الإبهاج ١: ٢٥٥ ، والبرهان في علوم القرآن ٢ : ٢٠٧ ، والبحر المحـيط في أصـول الفقـه للزركشي١ : ٤٩٢ ، والاشتراك اللفظي في القرآن ص : ٨٦ .

(٢) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيميه تقي الدين أبـو العبـاس ، الإمـام العلامة الجهبذ ، ولد بحران سنة ٦٦١ هـ ، وتوفي بقلعة دمشق مسجونا سنة ٧٢٨ هـ ، له الجواب الصحيح، ودرء تعارض العقل والنقل وغيرها كثير . انظر : معجم الذهبي ١: ٢٥ ، وفوات الوفيات ١ : ١٢٤ .

(٣) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ١٣ : ٣٤١ ، وكذلك نقله عنهم الـشوكاني . انظـر : إرشـاد الفحول ١ : ١٢٩ .

الثاني : المنع من ذلك . وهو قول الرازي [١] وابن القيم [٢] .

د - علاقته بعلم الوجوه والنظائر :

الوجوه والنظائر من المشترك اللفظي [٣] ؛ لأن الوجوه والنظائر ينظر فيها إلى المعاني المختلفة للفظة المشتركة الواحدة في حدود القرآن الكريم فقط ، ولا ينظر إلى معانيها الأخرى في عموم اللغة ، فكلمة (حرد) من قوله ﷻ :﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾ [القلم : ٢٥] التي ذكرها أبو عبيدة لا تذكر في كتب الوجوه والنظائر ، وإن كان لها عدة معاني في اللغة ؛ إذ لم تتكرر في القرآن الكريم لمعنى آخر ، فلم يذكروها في كتب الوجوه النظائر ، وكلمة (عين) لم تذكر جميع معانيها في كتب الوجوه والنظائر ، بل ذكروا المعاني الواردة في القرآن فقط ، وهو على ما ذكر الدامغاني [٤] ستة : النهر ، والحفظ والكلاءة ، والنظر ، والناظرة بعينها ، والنفس ، ولم يذكروا من وجوهها الجاسوس مثلا؛ لأنها لم ترد في القرآن بهذا المعنى ، فتكون الوجوه والنظائر هي المعاني المختلفة للفظة الواحدة في القرآن الكريم وحده لا في اللغة .

كما أن أصحاب كتب الوجوه والنظائر قد يدخلون في الوجوه والنظائر ما ليس من المشترك أصلا، بل يندرج تحت أبواب أخرى ، كما ذكر الدامغاني من الوجوه والنظائر

---

(١) انظر : المحصول للرازي ١ ق ١ : ٣٧١ وقد نقل الخلاف . والرازي هو : محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين أبو عبد الله القرشي البكري التيمي الطبرستاني الأصل الرازي ، المفسر المتكلم ، ولد سنة ٥٤٤ هـ ومات بهراة سنة ٦٠٦ هـ ، له التفسير الكبير ، والمحصول في أصول الفقه وغيرها . انظر : طبقات المفسرين للسيوطي ١: ١١٥ ، وطبقات المفسرين للداودي ١: ٢١٣ .

(٢) انظر : جلاء الأفهام ص : ١٦٧ ونقله عن الأكثرين . وابن القيم هو : محمد بن أبي بكر شمس الدين المعروف بابن قيم الجوزية ، الدمشقي العالم الفاضل المحقق ، ولد سنة ٦٩١ هـ ، وتوفي سنة ٧٥١ هـ ، له تفسير الفاتحة ، والتبيان في أقسام القرآن ، وزاد المعاد وغيرها . انظر : النجوم الزاهرة ١٠: ٢٤٩ ، وطبقات المفسرين للداودي ١: ٢٨٤ .

(٣) انظر : كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ١٣: ٢٧٧ .

(٤) هو الحسين ين محمد بن إبراهيم الدامغاني أبو عبد الله ، توفي سنة ٤٧٨هـ ، له الزوائد والنظائر وفوائد البصائر ، وشوق العروس وأنس النفوس . انظر : معجم المؤلفين ٤ : ٤٤ .

كلمة : (امرأة) ، وذكر لها عدة أوجه ، منها : زليخا و بلقيس و أم مريم ... إلى آخر ما ذكر [١] وهذا ليس من المشترك في شيء ، إنما هو من المبهمات في القرآن الكريم .

وأخيرا فإنه ينبغي إمعان النظر قبل الحكم بأن لفظة ما من المشترك اللفظي ، وقد قال العلماء: إن الاشتراك خلاف الأصل ، فإذا ترددت الكلمة بين الاشتراك والانفراد قدم الانفراد ، بل قالوا: إذا دار الأمر بين القول بالإضمار ، أو التخصيص ، أو النقل ، أو التواطؤ - وكل هذه الأشياء خارجة عن الأصل - والاشتراك قدمت عليه [٢] .

ثانيا : أثر المشترك اللفظي في التفسير

احتوى القرآن الكريم على طائفة من الألفاظ المشتركة ، وكان ذلك سبباً في اتساع معاني مفردات القرآن الكريم ، واختلاف المفسرين في تأويل كثير من آياته وتفسيرها ، مما أدى إلى الاختلاف في الاستنباط أو تقرير الأحكام وغير ذلك [٣]. وفيما يأتي بعض تلك الآثار موضحة بأمثلة عليها :

الأثر الأول : وهو أثر المشترك اللفظي في تعدد معاني الآيات واتساع معانيها ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨]

الخلاف هنا في الآية في تحديد معنى قوله : (حَصِيرًا) ، حيث وردت في اللغة مشتركة بين عدة معاني، منها : (الحَبس) و (البِساط) وغيرها.

وقد بين أبو عبيدة معاني هذه في اللغة وما يصلح أن يكون منها تفسيرا، فقال:"من الحَصر والحبس، فكان معناه: محبسا، ويقال للملك: حصير؛ لأنه محجوب، قال لبيد [٤] :

---

(١) انظر : الوجوه النظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ١: ٦١ .

(٢) الإبهاج ١: ٢٥٣ ، والمحصول ١ : ٣٨١ ، والبحر المحيط في أصول الفقه ١: ٤٩٠ . وهو قول ابن القيم وابن هشام . انظر : جلاء الأفهام ١: ١٦٠ ، ومغني اللبيب ١: ٧٩٢ .

(٣) كما كان له أثر في خدمة بعض الأفكار العقدية المنحرفة و تأويل الصفات ، إلا أني لم أجد مثالا على ذلك عند أصحاب المعاني .

(٤) هو لبيد بن ربيعة بن مالك العامري ، الشاعر المشهور الصحابي ، قدم على رسول الله ﷺ مع قومه فأسلم وحسن إسلامه ، قال عنه النبي ﷺ : ((أصدق كلمة قالها شاعر كلمةُ لبيد : ألا كُل شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ)) [رواه البخاري ٣ : ١٣٩٥ ، ومسلم ٤ : ١٧٦٨] ، مات سنة ٤١ هـ ، وكان من المعمرين .=

ومقامة غُلْبِ الرقابِ كأنهم : جِن لدى بابِ الحَصيرِ قيام .

والحصير أيضا : **البساط** الصغير ، **فيجوز** أن تكون جهنم لهم مهادا بمنزلة الحصير ، ويقال للجنبين : حصيران ، يقال : لأضربن حصيريك وصقْعيك " [١] .

ذكر هنا أبو عبيدة لكلمة (حصير) عدة معاني ، بعضها يصلح أن يكون تفسيرا لها ، وهي : الحبس ، والبساط [٢] ، والباقي ذكره على أنه من معانيها في اللغة والكلام .

فكلمة (حصير) مشتركة بين الحبس والبساط ، فجعل أبو عبيدة قوله ﷻ : ﴿ حَصِيرًا ﴾ تحتمل المعنيين لهذا ، فجهنم حصير للكافرين ، أي : حبس لهم لا يخرجون منها، وهي عليهم مؤصدة ، وهي أيضا حصير ، أي : فراش لهم ،كما قال تعالى :﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾ [الأعراف : ٤١] فجمعت الآية بين المعنيين في لفظ واحد ، وكلا القولين جاء في التفسير عن السلف [٣].

وهنا يلاحظ كيف كان للاشتراك أثر في تعدد معاني الآية واتساع معانيها .

الأثر الثاني : وهو أثر المشترك اللفظي في الخلاف بين المفسرين وسعة معنى الآية أيضا ، ومثاله قول الله تعالى في وصف نار الدنيا : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ [الواقعة : ٧٣].

المقوي من الألفاظ المشتركة والتي تطلق على عدة معان في اللغة ، منها : المسافر، والذي لا زاد معه ولا مال ، والجائع ، والغني ، وغير ذلك [٤] ، وهذه المعاني بعضها قد يصلح وجها في تفسير الآية ، وبعضها لا يصلح ، وكان ذلك سببا في الخلاف بين المفسرين في تحديد معناها في الآية .

= انظر : معجم الشعراء للمرزباني ص : ١٧٤، والوافي بالوفيات ٢٤ : ٢٩٩ . والبيت في ديوانه ص: ١٦١ . والمُقامة: الجماعة يجتمعون في مجلس ، وغُلْب الرقاب : غلاظها ، وباب الحصير : باب الملك . انظر : لسان العرب ١٢: ٥٠٦ مادة (قوم) ، ١ : ٦٥٢ مادة (غلب) .

(١) مجاز القرآن ١ :٣٧١ .

(٢) وذكرهما الزجاج أيضا ، انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣: ٢٢٨ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٥: ٤٤ ، ورجح أنه بمعنى بساطا ، وتفسير ابن كثير ٣: ٢٧ ، والدر المنثور ٥: ٢٤٥

(٤) كما ذكر أنها تطلق على ذي الفرس القوي، والغني . انظر: تفسير الطبري ٢٧: ٢٠٢ ، مجاز القرآن ٢ : ٢٥٢

قال الفراء :" يعنى : منفعةً للمسافرين إذا نزلوا بالأرض القى ، يعنى : القَفْر " [١] .

وهذا هو المشهور عن السلف ، وأئمة المفسرين وأن المراد بالمقوين : المسافرين [٢] وقالوا: إن الله تعالى خص المسافر بالذكر - مع أنها منفعة له ولغيره - لشدة حاجته لها دون غيره .

وقال أبو عبيدة : " المقوي : **الذي لا زاد معه ولا مال** " [٣] .

فهذان قولان في معنى المقوين في الآية ، إلا أن قول أبي عبيدة لا يتبين فيه وجه وفائدة تخصيص الذي لا زاد معه ولا مال بالذكر وأنها منفعة له ؛ لذلك ضعف هذا القول [٤] .

إلا أن بعض المفسرين [٥] حاول أن يدمج المعنيين ، فقال : المقوي : هو المسافر الذي لا مال عنده ولا زاد ، وكأنه يقول : إن إيثار هذا اللفظ دون لفظ المسافر للمح هذا المعنى - والله أعلم - [٦].

وهناك قولان آخران نقلا عن السلف أيضا : وأن معنى (المقوين) : المنتفعين والمستمتعين بها ، وهذا أعم الأقوال ، وهو قول مجاهد [٧].

وقيل المقوي : هو الجائع .

فيكون قد ذكروا للمقوي خمسة معاني :

الأول : المسافر ، وعليه أكثر المفسرين [٨]

الثاني : الذي لا زاد معه ولا مال .

الثالث : أن المقوي هو المستمتع والمنتفع أيا كان .

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣ : ١٢٩، وهو قول الأخفش، والزجاج . انظر : معاني القرآن للأخفش ٢ : ٧٠٣ ومعاني الزجاج ٥: ١١٥ .

(٢) رواه ابن جرير عن بن عباس ورجحه . انظر : تفسير الطبري ٢٧ : ٢٠٢ .

(٣) مجاز القرآن ٢ : ٢٥٢ ، وذكر معنى آخر للمقوي وهو : الغني ، لكنه لم يقصد به التفسير - والله أعلم - .

(٤) انظر : تفسير السمعاني ٥ : ٣٥٨ نقله عن القتيبي وغيره .

(٥) قال ابن جرير في تفسيرها : " عني بذلك للمسافر الذي لازاد معه ولا شيء له ". تفسير الطبري ٢٧ : ٢٠٢ .

(٦) التحرير والتنوير ٢٧ : ٣٢٧ .

(٧) تفسير ابن كثير ٤: ٢٩٨ ، وقال القرطبي : " المهدوي والآية تصلح للجميع ؛ لأن النار يحتاج إليها المسافر والمقيم، والغني، والفقير " . تفسير القرطبي ١٧: ٢٢٢ .

(٨) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره . انظر : تفسير الثعلبي ٩ : ٢١٧ .

الرابع : الجائع .

الخامس : الغني- إن كان قُصد به التفسير - وجمع بعضهم بين معنى الغنى والفقر، وقـال: أراد أن النار يحتاجها الغني والفقير، ولا غنى لأحد عنها .

وبه يتبين كيف كان للاشتراك أثره في الخلاف بين المفسرين من جهة ، وسعة معنى الآية من جهة .

ومثاله أيضا : قال الله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام وتكسيره الأصـنام : ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ [الصافات : ٩٣].

كلمة (اليمين) من الألفاظ المشتركة في اللغة ، وكان ذلـك سـببا في اخـتلاف المفسرين في تفسيرها في هذه الآية .

وقد ذكر النحاس أقوال المفسرين فقال :" يجوز أن يكون معنى باليمين : **بـالقوة** ، كما تقدم [(١)]، ويجوز أن يريد : **اليد** [(٢)] ، وقيل : **بيمينه** حين قال : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم ﴾ [الأنبياء : ٥٧] " [(٣)] يعني بذلك الحلف .

فذكر النحاس هنا ثلاثة احتمالات في تفسير اليمين في الآية ، وكلها تطلق عليها في اللغة وهي :

الأول : القوة ، أي أنه كان يضربها بقوته ونشاطه حتى جعلها جذاذا . [(٤)]

الثاني : اليد ، أي اليد اليمنى ؛ لأنها أقوى يديه .

الثالث : الحلف والقسم ، أي بسبب الحلف الذي حلفه وفاءً به . [(٥)]

فيلاحظ كيف كان لاشتراك لفظة (اليمين) في اللغة بين عدة معاني أثره في تعدد معاني الآية واخـتلاف المفسرين .

ومثاله أيضا: قوله تعالى:﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾[مريم: ٢٤] .

---

(١) هذا قول الفراء . انظر : معانيه ٢ : ٣٥٢ .

(٢) هذا القولان جعلهما الزجاج احتمالا . انظر : معانيه ٤ : ٣٠٩ .

(٣) معاني القرآن للنحاس ٦: ٤٣ ، ٤٤ .

(٤) تفسير السعدي ١: ٧٠٥ .

(٥) تفسير القرطبي ١٥: ٩٤ .

السري في اللغة يطلق على الرجل العظيم الخصال ، والسيد والشريف ، ويراد به أيضا النهر والجَدول من الماء [١]، وبحسب هذا اختلف المفسرون في تفسيره في الآية .

فالجمهور [٢] على أنه النهر ، وهو قول أصحاب كتب المعاني وأهل اللغة [٣] .

وروي عن الحسن وغيره أن المراد به عيسى عليه السلام نفسه [٤]، وقال ابن زيد محتجا لهذا المعنى: " والذين يقولون السري هو النهر ليس كذلك النهر ، لو كان النهر لكان إنما يكون إلى جنبها، ولا يكون النهر تحتها " [٥].

وهذا الاعتراض مدفوع بمثل قوله تعالى : ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقوله : ﴿ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ﴾ [الزخرف : ٥١] فليس المعنى هنا أنها تجري من تحت أرجلهم ، لكن المعنى من تحت القصور والأشجار ونحوها ، وكذلك هنا في الآية .

فكان لاشتراك كلمة (السري) في معنيين أثره الواضح هنا في احتمالها كلا المعنيين ثم في الخلاف بين المفسرين .

الأثر الثالث : ويتبين به أثر الأسلوب في الخروج عن أقوال أهل التفسير ، ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام : ٧٠].

الخلاف هنا في كلمة (تَعْدِلْ) حيث يأتي العدل والمراد منه ضد الظلم ، ويأتي بمعنى الفداء، ومن ثم وقع الخلاف في معنى الآية حتى حدا ببعض المفسرين أن يقول: إن المراد بها هنا المعنى الأول، وهو قول مرجوح .

---

(١) انظر : تاج العروس ٣٨ : ٢٧٢ .
(٢) انظر : تفسير القرطبي ١١: ٩٤ .
(٣) انظر : مجاز القرآن ٢ : ٥ ، ومعاني الفراء ٢ : ١٦٥ ، ومعاني الزجاج ٣ : ٣٢٥ ، ومعاني النحاس ٤: ٣٢٥
(٤) تفسير ابن كثير ٣: ١١٨ .
(٥) تفسير الطبري ١٦: ٧١ .

قال أبو عبيدة : " ﴿ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ ﴾ مجازه : إن **تقسط** كل قسط لا يقبل منها ؛ لأنما التوبة في الحياة الدنيا " (١) .

هكذا فسر أبو عبيدة قوله تعالى : ﴿ تَعۡدِلۡ ﴾ بتقْسِط، من القسط الذي هو ضد الجَور ، فيكون معنى الآية على هذا : إن تقسط بالتوحيد والانقياد لله تعالى في ذلك اليوم لا يقبل منها، ولا شك أن العدل من معانيه عدم الجور ، لكن هذا القول يستغرب بداهة ؛ لأن المعنى الظاهر للعدل هنا الفداء ، ونظير معنى هذه الآية في القرآن الكريم كثير ، وكلها بمعنى الفدية ، وأن الكافر لو يفتدي بكل شيء ما قبل منه .

وقد ضعف الأزهري (٢) وغيره هذا القول، حيث يقول : " كان أبو عبيدة يقول معناه : وإن تقسط كل إقساط لا يقبل منها ، قلت : وهذا خطأ فاحش ، وإقدام من أبي عبيدة على كتاب الله ، والمعنى فيه : لو تفتدي بكل فداء لا يقبل منها الفداء يومئذ ، ومثله قوله : ﴿ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ ﴾ [المعارج: ١١] " (٣) .

ولم يذكر أكثر أصحاب أمات التفسير هذا الوجه في تفسير الآية .

إلا أن العز بن عبد السلام حاول أن يجمع بين القولين ، فقال : " ﴿ وَإِن تَعۡدِلۡ ﴾ : تفتد بكل مال ، أو بالإسلام والتوبة " (٤) حيث جعل التوبة والإسلام مما يفتدى به .

---

(١) مجاز القرآن ١ : ١٩٥ . ونقل هذا القول البخاري . انظر : صحيح البخاري ٤ : ١٦٩٢ !

(٢) هو محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح أبو منصور الأزهري الهروي ، اللغوي ، إمام جليل جمع فنون الأدب وحشرها ، توفي سنة ٣٧٠ هـ له تهذيب اللغة . انظر : البلغة ١: ١٨٦ .

(٣) تهذيب اللغة ٢: ١٢٤ . ومن رده كذلك الطبري وعلق عليه فقال : " وليس لما قال من ذلك معنى ، وذلك أن كل تائب في الدنيا فإن الله تعالى يقبل توبته " تفسير الطبري ٧ : ٢٣٣ .
إلا أن تعليل الطبري لم يكن قويا ، لذلك تعقبه ابن عطية فقال : " ولا يلزم هذا الرد - إشارة إلى كلام الطبري - ؛ لأن الأمر إنما هو يوم القيامة ولا تقبل فيه توبة ولا عمل ، والقول نص لأبي عبيدة " المحرر الوجيز ٢ : ٣٠٦ .

(٤) تفسير العز بن عبد السلام ١ : ٤٤٣ .

وظاهر أثر الاشتراك في الخلاف بين المفسرين .[1]

---

(١) انظر أمثلة أخرى : في مجاز القرآن ١ : ٣٩ ، ٤٠ و ١ : ٣٧٧ و ١ : ٣٩٧ و ١ :٣٩١ و ١ :٤٠٦ في تفسير الآيات التالية : ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ [إبراهيم: ١٦]، ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة: ٤٦]، ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ [الكهف: ٥٢]، ﴿ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾ [الكهف: ١٩]، ﴿ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ ﴾ [الإسراء: ٩٣] . وفي معاني الفراء ٢ : ٤٠٥ و ٣: ١١٨ في تفسير : ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًۢا ﴾ [ص: ٣٣] ، ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾[الرحمن: ٥٤] . وفي معاني الأخفش ٢ : ٤٧٣ في تفسير: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ﴾[المائدة: ٦٤]،وفي معاني الزجاج ٣ : ٢١ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾[يونس: ٣٩] .

المبحث الثاني

تعدد معاني الحروف والأدوات

أولا : لمحة عن الأسلوب :

هذا المبحث متعلق بالمبحث الذي قبله المشترك اللفظي ؛ إذ الحروف متعددة المعـاني أحد أقسام المشترك كما سبق ، فالحرف الواحد من حروف المعاني قد يتعدد معناه ، كما أن الاسم أو الفعل الواحد قد يتعدد معناه، إلا أن العلماء نبهوا إلى أن حروف المعاني لهـا معان أصلية يجب استصحابها من خلال النظم القرآني ولا يخرج عنـها إلا بـدليل [(١)] .

وستكون الإشارة هنا إلى أسلوب تعدد معاني الحروف من خلال النقطتين التاليتين :

أ - المقصود بالحروف والأدوات .

ب - أقسام الحروف .

أ - المقصود بالحروف والأدوات :

المقصود بالحروف هنا : حروف المعاني ، وهي التي تدل بنفسها علـى معـنى في غيرها ، كحروف الجر وحروف العطف وغيرها ، فحرف الجر الباء في قولك : مـررت بزيد ، من حروف المعاني ؛ لأنها تدل على معنى الإلصاق ، وليست كالبـاء في كلمـة (بكر) فإنها من حروف المباني التي تتكون منها بِنية الكلمة ، وهي التي تعرف بحـروف الهجاء ، فالمقصود بالحرف هنا الذي هو قسيم الاسم والفعل عند علماء النحو .

والأدوات تطلق كذلك - في كلام العلماء - على حروف المعاني وما شاكلها من الأسماء في البناء وعدم الاستقلال ، بحيث لا تفيد معناها إلا بإلحاقها بغيرها ، كأسمـاء الظروف مثل : (فوق) و (بعد) ، فيكون تعبيرهم بـ (الحروف والأدوات) مـن باب إطلاق العام بعد الخاص .

وقد جرت عادة بعض المؤلفين من علماء اللغة والأصول وعلـوم القـرآن عنـد كلامهم عن معاني الحروف التي يحتاج إليها في ذلك العلم أن يضيفوا عددا من الأسمـاء

---

(١) انظر : المثل السائر لابن الأثير ٢ : ٤٦ .

إليها كـ (إذا) و (متى) ، وغيرها لشبهها بالحروف ، وكثرة استعمالها ، والحاجة إلى معرفة معانيها [(١)] .

وقد أشار أبو عبيدة إلى هذا الأسلوب باعتباره ظاهرة لغوية ، وأنه مما نـزل بـه القرآن الكريم، مبينا بعض الأدوات والحروف التي تعددت معانيها في القرآن حيث يقول: " ومن مجاز الأدوات اللواتي لهن معان في مواضع شتى ، فتجيء الأداة منهن في **بعض** تلك المواضع **لبعض** تلك المعاني، قال: ﴿ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[البقرة: ٢٦] معناه : فما **دونا** ، وقال : ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ [النازعات : ٣٠] معناه : **مع** ذلك ، وقال : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه : ٧١] معناه : **على** جذوع النخل ، وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ [المطففين: ٢] معناه : **من** الناس، وقال: ﴿ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ ﴾ [الزخرف: ٥١ - ٥٢] معناه : **بل** أنا خير " [(٢)] .

فذكر أبو عبيدة بعض الحروف والأدوات التي يكون لها أكثر من معنى، فتكون في آية لمعنى وفي أخرى لمعنى آخر ، فذكر هنا على سبيل المثال الأدوات : (فوق) و(بعد) ، و(في) ، و(على) ، و(أم) ، وهي من الحروف والأدوات التي جاءت في بعض الآيات لمعنى آخر غير معناها الأشهر : فكلمة (فوق) الأصل فيها أنها ظرف يدل على العلو ، فجاءت هنا بمعنى مضاد له وهو (دون) ، وكلمة (بعد) الأصل أنها ظرف للمتأخر جاء بمعنى (مع) وهي بمعنى عند ، وأصلها لمكان الاجتماع أو وقته ، وقد يراد به مجرد الاجتماع والاشتراك من غير ملاحظة المكان والزمان ، وأيضا (في) حرف جر بمعنى الظرفية ، لكنه جاء هنا بمعنى : على ، والحرف (على) للاستعلاء جاء بمعنى (من) لابتداء الغاية في قوله : (عَلَى ٱلنَّاسِ) ، و (أم) للاستفهام ، وجاءت هنا بمعنى (بل) للإضراب ، وليس المقام هنا مقام مناقشته فيما قال لكن المراد توضيح الأسلوب .

---

(١) انظر : حاشية العطار على جمع الجوامع لحسن العطار ١: ٤٣٦ ، وفتح الغفار لابن نجيم ٢: ٤ . وانظر: حروف المعاني لدياب عطا ص : ١٠ .

(٢) مجاز القرآن ١ : ١٤ .

ولا خلاف أن كثيرا من الحروف تتعدد معانيها ، فالواو مثلا تكون عاطفة وتكون استئنافية وتكون للقسم ، و(ما) تكون نافية ، واستفهامية ، وموصولة ، وغير ذلك .

ومن تعدد معاني الحروف ما ذهب إليه بعض العلماء من تناوب حروف الجر - وهي تشكل قسما هاما وكبيرا من الحروف - وأن كل حرف منها يمكن أن ينوب عن حرف آخر [١] ، وقد مضى له أمثلة من كلام أبي عبيدة ، إلا أن في تناوبها وإبدال بعضها من بعض خلافا بين العلماء ، فحمل بعض العلماء ما قيل فيه بالتناوب على التضمين أو الحذف ، وأبقَوا كل حرف على معناه المعروف ، وبعضهم لم يرد القول بالتناوب وأجاز التضمين وعمل به فجمع بين القولين [٢] .

ب - أقسام الحروف

سبق أن الحروف تنقسم إلى قسمين : حروف معاني ، وحروف مباني ، وقد ذكر الزركشي تقسيما لحروف المعاني من حيث أثرها في معنى الكلام ولفظه وإعرابه، فقال: " والحروف صلات بين الأسماء والأفعال ، وهي كلها مبنية، ثم إنها تنقسم أربعة أقسام :

الأول : ما لا يغير اللفظ والإعراب ويغير المعنى ، كقولك : زيد منطلق ، ثم تقول : **هل** زيد منطلق ، فالإعراب على ما كان ، وقد تغير المعنى من التحقيق إلى الاستفهام .

الثاني : ما يغير اللفظ والإعراب، ولا يغير المعنى ، تقول : زيد في الدار ، ثم تقول : **إن** زيداً في الدار ، فقد تغير الإعراب والمعنى بحاله .

الثالث : ما يغير اللفظ والمعنى ، تقول : زيد خارج ، ثم تقول : **لعل** زيدا خارج، فالإعراب قد تغير ، وتغير المعنى من التحقيق إلى الترجي .

الرابع : ما لا يغير اللفظ ولا المعنى ، وهي الزوائد ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] معناه : فبرحمة من الله " [٣] .

وهذا القسم الأخير سيأتي بيانه - إن شاء الله - في المبحث اللاحق .

---

(١) وهذا مذهب الأخفش . انظر : معانيه ٢: ٥٩٨ و ١ : ٣١٥ .

(٢) انظر : الزجاج ١ :٤١٦ ، ٤١٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٢ : ٩ و ٥ : ١١٨ و ١: ٤٠٥ ، ومغني اللبيب ١: ٨٦١ ، والخصائص ٢: ٣٠٦ ، وبدائع الفوائد ٢: ٢٥٨ .

(٣) البرهان في أصول الفقه ١: ١٣٦ .

ثانيا : أثر تعدد معاني الحروف في التفسير

لهذه الحروف والأدوات صلة وطيدة بفهم المعاني ، واستنباط الأحكام من نصوص القرآن الكريم ؛ لأن كثيراً من الآيات يتوقف فهمها على فهم الدلالة التي يؤديها الحرف في النص ، وقل أن تخلو آية من القرآن الكريم من حرف من حروف المعاني ، ناهيك عن الحكم والأسرار البلاغية التي تفيدها .

قال السيوطي : " اعلم أن معرفة ذلك [يعني معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر] من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها ، ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها " (١) .

وقد أفرد العلماء بابا خاصا للكلام عن معاني الحروف والأدوات التي يحتاج إليها المفسر ، كالسيوطي في الإتقان، والزركشي في البرهان، وغيرهما (٢) ، وذلك يدل على أهميتها ، وإليك بعض الصور من أثر هذا الأسلوب مع أمثلة توضح ذلك :

الصورة الأولى : وهو أثره في تغير المعنى وخلاف المفسرين ، ومثاله قوله تعالى حكاية عن الشيطان الرجيم : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر : ٣٩] ، حرف (الباء) له عدة معاني في اللغة ، وقد اختلف في معناه هنا في قوله تعالى : ﴿ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ على ثلاثة أقوال (٣) :

الأول : إن الباء سببية أو بمعنى اللام (٤)، وعليه يكون المعنى : بسبب ولأجل إغوائك إياي أقسم لأزينن لهم في الأرض ، أي كفاءً له .

الثاني : إنها باء القسم ، وأن الشيطان أقسم بإغواء الله له ، وقالوا : هذا لا يشكل ؛ لأنه قسم بأفعال الله تعالى ؛ فهو بمنزلة قولك : رب بقدرتك علي وقضائك (٥) ، ولأنه قال في آية أخرى : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص : ٨٢] والإغواء أثر من آثار عزة الله تعالى

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١: ٤٢٥ .
(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن ٤: ١٧٥ ، والإتقان في علوم القرآن ١: ٤٢٥ .
(٣) انظر : فتح القدير ٢ : ١٩٢ .
(٤) انظر : التحرير والتنوير ٨ :٤٦ ، وذكره كثير من المفسرين احتمالا .
(٥) المحرر الوجيز ٣ : ٣٦٢ .

وسلطانه . قال أبو عبيدة : " ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾ مجازه مجاز القسم ، أي : بالذي أغويتني " [١] وهو قول الأخفش [٢] .

والقول الأول وإن كان يبدو لأول وهلة أنه هو المقصود ، إلا أن كثيرا من المفسرين قدموا القول الثاني ، وقالوا إن الباء هنا هي باء القسم، بل ربما لم يذكروا غيره [٣] .

الثالث : إن الباء بمعنى (مع)؛ أي: مع إغوائك إياي .. فيكون ذلك تجَلدا من الشيطان، ومبالغة في الجد ، أي : بحالي هذه وبعدي عن الخير والله لأفعلن ولأغوين [٤] .

أما (ما) فاختلف في **معناها أيضا على ثلاثة أقوال :**

الأول : إنها مصدرية، وهذا قول الأخفش [٥]، وهو قول أكثر المفسرين [٦] .

الثاني : إنها موصولة ، وهو قول أبي عبيدة أي : بالذي أغويتني .

الثالث : إنها استفهامية ، ويكون المعنى : ما سبب إغوائك لي ؟ ثم استأنف فقال : لأزينن لهم في الأرض . وضعف هذا ؛ لأن الألف تحذف من (ما) إذا اتصلت بحرف الجر، فتكون : بم أغويتني [٧] ، وهي في المصحف بإثبات الألف (بِمَآ أَغْوَيْتَنِى) .

وبهذا يتبين كيف كان لتعدد معنى حرف الباء أثر في احتمال الآية أكثر من معنى واختلاف المفسرين في ذلك .

---

(١) مجاز القرآن ١: ٣٥١ .

(٢) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢ : ٦٠٢ ، وإن كان بعض العلماء قدم القول الأول وأن الباء للسببية بعدم تعارف القسم بالإغواء ، وأيضا لعدم الإشعار بالتعظيم فلا يعد القسم بها يمينا شرعا ، فإن القائلين بانعقاد القسم بصفة له - تعالى - يشترطون أن تشعر بتعظيم ، ويتعارف مثلها . انظر : روح المعاني ١٤: ٥٠ . وقال القرطبي : فكأن إبليس أعظم قدر إغواء الله إياه ، لما فيه من التسليط على العباد ، فأقسم به إعظاما لقدره عنده . تفسير القرطبي ٧ : ١٧٤ .

(٣) انظر : تفسير الجلالين ١ : ١٩٤ ، وهذا والله أعلم لأنهم نظروا إلى القصة في مواطن أخرى ، وأنه أقسم بعزة الله ﷻ ، أو لقرينة لفظية في الآية وهي اللام في قوله ﷻ : ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ ﴾ [الحجر: ٣٩].

(٤) انظر : المحرر الوجيز ٨ : ٤٦ وتفسير القرطبي ٧ : ١٧٤ .

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢ : ٦٠٢ .

(٦) انظر : تفسير البحر المحيط ٤ : ٢٧٥ .

(٧) الكشاف ٢ : ٨٨ .

ومثاله أيضا : يقول - تعالى ذكره - مخبرا عن قيل إبراهيم ﷺ لقومه : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٥ - ٩٦].

(ما) من الحروف والأدوات التي تأتي لمعان كثيرة في اللغة تصل إلى عشرة معاني، وكثيرا ما يختلف المفسرون في معناها في آيات القرآن الكريم ، وتجعل الآية تحتمل أكثر من معنى ، ومن ذلك قوله ﷻ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] ، فقد اختلف المفسرون فيها على أربعة أقوال ، بحسب اختلافهم في معنى (ما)، وقد نقل النحاس هذه الأقوال [١] فقال : " قال أبو عبيد : أي : وما تعملون منه الأصنام، وتنحتونه؛ وهو الخشب والحجارة وغيرهما ، قال قتادة: وما تعملون بأيديكم ". وعليه تكون (ما) موصولة بمعنى (الذي) ، ثم قال :" ويجوز أن يكون (ما) نفياً ، أي : وما تعملونه ، ولكن الله خالقُه " .

وبين أبو حيان [٢] معنى الآية على هذا الوجه، فقال : " **وما أنتم تعملون شيئاً** في **وقت خلقكم ، ولا تقدرون على شيء** " [٣] .

ثم واصل النحاس يقول : "ويجوز أن يكون بمعنى المصدر، أي : وعملكم"
وعلى هذا القول يكون في الآية دليل على مذهب أهل السنة أن أفعال العباد خلق لله ﷻ خلافاً للقدرية ، وقد روى البخاري [٤] في كتاب أفعال العباد عن حذيفة [٥] ﷺ مرفوعاً

---

(١) معاني القرآن للنحاس ٦ : ٤٥ .

(٢) هو محمد بن يوسف بن علي أثير الدين أبو حيان الأندلسي ، ولد بغرناطة سنة ٦٥٤ هـ ، من كبار علماء النحو واللغة والتفسير في عصره ، توفي بالقاهرة ٧٤٥ هـ ، له البحر المحيط في تفسير القرآن العزيز، والوهاج في اختصار المنهاج في مذهب الإمام الشافعي وغيرها . انظر : البلغة ١: ١٨٤، ١٨٥ ، وطبقات المفسرين للداودي ١ : ٢٧٨ .

(٣) انظر : تفسير البحر المحيط ٧: ٣٥٢ .

(٤) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو عبد الله البخاري ، جبل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث ، ولد سنة ١٩٤ هـ ، مات بقرية خرتنك من أعمال بخارى سنة ٢٥٦ هـ ، له الصحيح والأدب المفرد وغيرهما . انظر : الكاشف ٢: ١٥٦ ، وتقريب التهذيب ١: ٤٦٨ .

(٥) هو حذيفة بن اليمان أبو عبد الله العبسي ، يعرف بصاحب سر رسول الله ﷺ ، واليمان لقب أبيه واسمه حسل أو حسيل ، شهد أحدا ، مات سنة ٣٦ هـ . انظر : الاستيعاب ١: ٣٣٤ ، وأسد الغابة ١: ٥٧٢.

قال : **((إن الله - تعالى - يصنع كُل صانعٍ وصنعته))** [١]، وهذا الوجه مع القول بأنها موصولة متلازمان [٢] ، ثم قال :" ويجوز أن يكون استفهاما فيه معنى التوبيخ ، **أي :** وأي شيء تعملون في عبادتكم أصناماً تنحتونها ، أي : لا عمل لكم يعتبر " .

وبعضهم قال : الاستفهام هنا بمعنى التحقير لعملهم [٣] .

وبهذا المثال يتبين كيف كان لتعدد معاني (ما) من الأثر في احتمال الآية وجوهاً متباينة ومتعددة في التفسير .

ومثاله أيضا : قال الله ﷻ : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٣] .

اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى : ﴿ بِغَمٍّ ﴾ في الآية بحسب اختلافهم في معنى الباء فيها، فقال كثير من المفسرين[٤] - وهو المفهوم من قول السلف - : إن المعنى : فأثابكم وعاقبكم على ما حصل منكم من الفرار وعدم إجابة الرسول ﷺ غما على غم ، أو غما يتبعه غم ، أو متصلا بغم [٥] .

ويرى بعض المفسرين أن المراد أن الله ﷻ ضاعف عليهم الغموم وتابعها عليهم، وليس المراد غمين فقط[٦]، والمعنى واحد، فتكون الباء على هذا القول بمعنى (على)، وهو قول الأخفش من أصحاب كتب المعاني، قال:" أي: على غم، كما قال الله ﷻ : ﴿ فِى

---

(١) أخرجه البزار في مسنده ٧ : ٢٥٨ برقم : (٢٨٣٧) ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ١ : ٨٥ برقم : ٨٥ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ا.هـ ، وقال ابن حجر : هو حديث صحيح . فتح الباري ١٣: ٤٩٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤ : ١٤ .

(٣) تفسير القرطبي ١٥: ٩٦ .

(٤) المحرر الوجيز ١: ٥٢٦ .

(٥) اختلف المفسرون في الغم الأول والثاني وذكروا أقوالا . انظر : تفسير ابن كثير ١: ٤١٨ .

(٦) انظر : الكشاف ١: ٤٥٤ ، وتفسير السعدي ١: ١٥٢ .

جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾ [طه : ٢٧١] ومعناها : على جذوع النخل ، وكما قال : ضربني في السيف، وتقول : نزلت في أبيك [لعلها : بأبيك]، أي : على أبيك " [١].

والقول الثاني في الآية : إن الباء هنا للسببية ، فيكون المعنى : فأثابكم غما بسبب غم ، وهو قول الزجاج ؛ يرى أن الباء على بابها ، وأنها للسببية ، والمعنى : أثابكم بأن غممتم الرسول ﷺ أن نالكم غم بما عوقبتم به للمخالفة [٢].

فيكون سبب الغم الذي لحقهم على القول الأول هو فرارهم والتولي وعدم إجابة الرسول ﷺ المذكور قبل ، وعلى الثاني يكون سببه الغم الذي ألحقوه بالنبي ﷺ جراء مخالفتهم لأمره .

وهكذا كان لاحتمال حرف الباء أكثر من معنى أثر في فهم المراد ، وقد أعطى للمفسرين سعة في تفسير الآية مما أدى إلى الخلاف بينهم في معناها .

الصورة الثانية : وهي أثر الأسلوب في سعة معاني الآية ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه : ١٤] .

اللام أيضا من الحروف التي تتعدد معانيها في الكلام ، فتكون للتعليل ، والملكية، والعاقبة ، وغير ذلك من المعاني ، وفي هذه الآية كان للتعبير باللام سبب في اتساع معنى الآية ، واحتمالها لمعنيين صحيحين ، ذكرهما الزجاج، قال : " هذا على معنيين : أحدهما: أقم الصلاة لأنْ تذكرني ؛ لأن الصلاة لا تكون إلا بذكْر الله .

والمعنى الثاني : وهو الذي عليه الناس ، ومعناه : أقم الصلاة متى ذكرت أن عليك صلاة ، كنت في وقتها أولم تكن ؛ لأن الله ﷻ لا يؤاخذنا إن نسينا ، ما لم نتعمد الأشياء التي تشغل وتلهي عن الصلاة ، ولو ذكر ذاكر أن عليه صلاة في وقت طلوع الشمس أو عند مغيبها [٣] وجب أن يصليها ، وقُرئت : (للذكْرى) [٤]

---

(١) معاني القرآن للأخفش ١: ٤٢٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ١: ٤٧٩ . وانظر : المحرر الوجيز ١: ٥٢٦ ، والكشاف ١: ٤٥٤ .

(٣) يقصد في أوقات النهي عن الصلاة .

(٤) وهي قراءة السلمي والنخعي وهي من القراءات الشاذة . انظر : مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص : ٨٧ ، والبحر المحيط ٦ : ٢١٨ ، والكشاف ٣ : ٥٧ .

معناه : في وقت ذكرك" [١] .

فحملت اللام في قوله : (لِذِكۡرِيٓ) في القول الأول على معنى التعليل، والثاني على معنى التوقيت ، نحو قولك :كتبته لأربع ليال بقين من جمادي الأولى ، فكان للآية على الاحتمالين معنى صحيح مختلف عن المعنى الآخر بسبب احتمال اللام لعدة معاني .

ومثاله أيضا : قال تعالى : ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور : ٣٥] .

من الحروف التي تتعدد معانيها كذلك (من) فتكون تارة لابتداء الغاية ، وتارة للسبب ، وللتبعيض ، إلى غير ذلك من المعاني ، وفي هذه الآية قال الزجاج : " معناه : بل أخلقوا من غير شيء، وفي هذه الآية قولان - وهي من أصعب ما في هذه السورة -: قال بعض أهل اللغة : ليس هم بأشد خلقا من السماوات والأرض ؛ لأن السماوات والأرض خلقتا من غير شيء ، وهم خلقوا من آدم وآدم من تراب .

وقيل فيها قول آخر :﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ ﴾ أم خلقوا **لغير** شيء ، أي :خلقوا باطلا ، لا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون " [٢] .

قال السمعاني [٣] : " فإن قال قائل : هل يجوز أن يكون (من) بمعنى اللام ؟ والجواب : أن بعضهم قد أجاز ذلك ، ومن لم يجز قال : معناه : أم خلقوا من غير شيء توجبه الحكمة ؛ يعني أن الحكمة أوجبت خلقهم " .

وهذا المعنى الأخير كقوله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥] ، وعلى هذا فـ (من) للسبب بمعنى اللام ، وهو أحد معانيها ؛ كقول القائل : فعلت كذا وكذا من غير شيء ، بمعنى : لغير شيء .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٥٢ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤ : ٦٥ .

(٣) تفسير السمعاني ٥ : ٢٧٨ . السمعاني هو : منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي السمعاني المروزي الشافعي ، فقيه مفسر ، توفي بمرو سنة ٤٨٩ هـ ، وقيل : ٨٨ ، له منهاج أهل السنة ، والانتصار ، والرد على القدرية وغيرها . انظر : طبقات الشافعية ١: ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، وطبقات المفسرين للداودي ١: ١٤٣ ، ١٤٤ .

وعلى القول الأول تكون (من) لابتداء الغاية ، سواء أقلنـا : إن معـنى الآيـة كما نقله الزجاج عن بعض أهل اللغة ، أم إن المعنى : من غير آباء ولا أمهـات ، فهـم كالجماد لا يعقلون ولا يفهمون لله حجة ، ولا يعتبرون له بعبرة ولا يتعظون بموعظـة ، كما ذهب إليه الطبري [١] ، أو إن المعنى : أم خلقوا من غير أن يكون لهم خالق وصانع، أي : تكونوا بأنفسهم [٢] ؛ فإن معنى (من) في كل هذا لابتداء الغاية. [٣]

---

(١) تفسير الطبري ٢٧: ٣٣ . وقد يكون في هذا نظر ؛ لأن الحيوانات والبهائم خلقت من أب وأم ومع ذلـك فهي لا تؤمر ولا تنهى .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤: ٢٤٥ ، وتفسير السمعاني ٥ : ٢٧٨ .

(٣) ولمزيد من الأمثلة انظر : معاني الزجاج ٢: ٣٦٢ و ٣: ١٤٢ و ٤: ٣٥١ في تفسير قولـه تعـالى : ﴿ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ ﴾[الأعراف: ١٠١] ، وقوله تعالى: ﴿ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١]، وقوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[الزمر: ٢٢] .

ومعاني الفراء ٢: ٣٧٤ في تفسير قوله ﷻ : ﴿ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى ﴾ [يس: ٢٧].

ومعاني النحاس ٥: ١١٨ في تفسير قوله جل وعز : ﴿ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ ﴾ [النمل: ١٢].

المبحث الثالث

زيـادة الحـروف

أولا : لمحة عن الأسلوب

المراد بزيادة الحروف :

يجدر التنبيه بداية إلى أن المراد بزيادة الحروف هنا ليس إهمال الحرف ، ولا كونـه لغوا لا فائدة منه ، بل المراد بالزيادة هنا إشارةٌ إلى الزيادة النحوية الإعرابية؛ بحيث أنها لـو أسقطت من الكلام لكان أصل المعنى حاصلا بدونها، ولجـاز تعـدي العامـل قبلـها إلى ما بعدها [١] ، كما في قولك : ما جاءني من أحد ، وما جاءني أحد ، فـ (من) في هـذا المثال زائدة، وكما قال الشاعر[٢] :

فما ألوم البِيض ألا تسخرا : لما رأين الشمطَ القَفَندرا

أي : فما ألوم البيض أن يسخرنَ ، و(لا) زائدة .

وهذا المبحث متعلق بالمبحث السابق تعدد معاني الحروف ومتمم له ؛ ذلك أن بعض حروف المعاني كما أنها تأتي لمعان - وهذا هو الأصل فيها - فإنها تكون في بعض الأحوال خالية من تلك المعاني .

وقد تنوعت العبارات التي أطلقها أصحاب كتب المعاني على تلك الحروف الواقعة في القرآن الكريم ، فأطلقوا لفظ (الزائد) ، و(الـصلة) ، و(المقحـم) ، و(اللغـو) و(الحشو) ، كما يعبرون عنها بأوصاف تفيدها ، مثل : الإلقاء ، والـسقوط ، والـنزع والاستغناء . وأشهر عبارات أبي عبيدة ، والأخفش ، والبصريين عموما (الزائد) ، وأشهر عبارات الفراء والكوفيين (الصلة) ، وهذه الألفاظ للزيادة متداولة بين الفريقين ومن تلاهم

---

(١) انظر : البرهان في علوم القرآن ٣ : ٧٤ .

(٢) هو أبو نجم ، والبيت في مجاز القرآن ١ : ٢٦ ، ٢١١ ، والخصائص ٢ : ٢٨٣ ، والمقتضب ١: ٤٧ ، ولسان العرب ٥: ١١٢ . و(القفندر) : القبيح المنظر ، وقيل : الصغير الرأس ، وقيل : الأبيض ، وقيل غير ذلك . انظر : المرجع الأخير .

فقد يستعمل البصريون عبارة الكوفيين ، والعكس ، لذلك استعمل الفراء عبارة الزائد في مواضع قليلة .

وأشهر حروف الزيادة سبعة : (إنْ) ، و(أنْ) ، و(لا) ، و(ما) ، و(من) ، والباء واللام . (١)

وقد ذكر أبو عبيدة أساليب العرب التي نزل بها القرآن الكريم وعد من جملتها أسلوب زيادة الحروف ، فقال : " ومن مجاز ما يزاد في الكلام من حروف الزوائد ، قال الله عَجَلَّ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة : ٢٦]، وقال: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٧] ، وقال : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٠] ، وقال : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ [البقرة : ٣٠] ، وقال : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ [الأعراف : ١٢] **مجاز هذا أجمع إلفاؤها** " (٢) .

وهو يشير هنا إلى : (ما) ، و(من) ، و(الباء) ، و(إذ) ، الواردة في الآيات ووصفها بالإلقاء ، وهو مما يعبر به عن الزائد .

ويمكن الإشارة إلى هذا الأسلوب من خلال النقطتين التاليتين :

أ ـ فائدتها

فائدة الأحرف الزائدة كما ذكر أصحاب كتب المعاني وغيرهم توكيد الكلام وتقويته (٣) ، فيكثر في كتبهم قولهم : هذا زائد للتوكيد لاسيما الزجاج ، ومنه قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٨] : " يجوز أن تكون (ما) صلة مؤكدة " (٤) .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٣: ٧٥ .

(٢) مجاز القرآن ١ : ١١ .

(٣) انظر : البرهان في علوم القرآن ٣ : ٧٣ ، والإتقان ذكر عدد من العلماء ممن نص على فائدة التوكيد ، وكتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ١٦: ٥٣٧ ، ومجموع الفتاوى ٦ : ١٩٩ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥ : ٢٩٥ .

ويقول أبو عبيدة : " ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧] : (لا) تأكيد ؛ لأنه نفي ، فأُدخلت (لا) لتوكيد النفي " (١) .

وقال الأخفش :" وقال : ﴿ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ ﴾ [الأحزاب : ٥٢] فمعناه - والله أعلم - أنْ تبدلَ بِهن أزواجاً ، وأدخلت (من) للتوكيد " (٢) .

وكذلك في كلام النحاس كثير ، قال : " ويجوز أن تكون (أن) زائدة للتوكيد ، كما قال جل وعز : ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ ﴾ [يوسف : ٩٦] " (٣) .

وإن كانوا لا ينصون على حكمة التوكيد في كل موطن . ومما يلفت الانتباه أن الفراء لم ينص على هذه الحكمة من الصلات، بل أكثر ما يصفها به أن سقوطها وثباتها سواء ، إلا في موضع واحد حيث قال : " وقوله : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ [الأعراف: ١٢] المعنى - والله أعلم - ما منعك أن تسجد ، و(أنْ) في هذا الموضع تصحبها (لا) ، وتكون (لا) صلة . كذلك تفعل بما كان في أوله جحد . **وربما أعادوا على خبره جحداً للاستيثاق من الجحد والتوكيد له** " (٤) .

فلعل الفراء لا يرى لزوم فائدة التوكيد مع كل حرف زائد ، أو لا يراها أصلا .كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء (٥) .

ويجدر التنبيه ههنا إلى أن الحرف الزائد إنما يؤكد معنى ما جيء به لتوكيده، كما ذكر ذلك ابن هشام (٦)، فينبغي الإمعان في المعنى المؤكد عند كل حرف زائد .

---

(١) مجاز القرآن ١: ٢٥ ، ٢٦ .
(٢) معاني القرآن للأخفش ٢ : ٢٦١ .
(٣) معاني القرآن للنحاس ٢ : ٥١٨
(٤) معاني القرآن للفراء ١ : ٣٧٤ .
(٥) انظر : المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات لأبي على الفارسي ص : ٣٤٤ .
(٦) انظر : مغني اللبيب ١: ٥٣ .

وقد ذكر الزركشي قاعدة في ذلك وأن الزيادة إما أن تكون لتأكيد النفي ، كالبـاء في خبر ليس وما ، أو لتأكيد الإيجاب كاللام الداخلة على المبتدأ [١] .

ب - موقف العلماء من زيادة الحروف

أصحاب كتب المعاني متفقون - في الجملة - على القول بزيادة الحروف ، ووقوعها في اللغة والقرآن الكريم ، وهذا إجمالا وإلا فإنهم قد يختلفون تفصيلا في بعضها ، كما اشتهر القول بزيادة حرف الواو عند الفراء وأنكره غيره ، وكما شذ أبو عبيدة بـالقول بزيـادة (إذْ) ، كما أنهم قد يختلفون في الحُكم بزيادة بعض الحروف المتفق على وقوعها زائـدة في بعض المواطن، فلا يسلم القول بالزيادة دائما .

وقد اختلف [٢] في وقوع الزائد في القرآن الكريم على ثلاثة أقوال :

الأول : وعليه الأكثرون القول بوقوع الزائد في القرآن الكريم - سواء أطلقوا عليـه لفـظ الزائد ، أم تحرج من ذلك، وأنكر لفظ الزيادة، وأطلق عليه غير ذلك مـن المـصطلحات كالصلة وغيرها، فالحقيقة واحدة - على أن تكون الزيادة لفائدة .

الثاني : إنكار وقوع الزائد في القرآن الكريم ، ولا بـد أن يكـون للحـرف في القـرآن معنى ، ونسب إلى المبرد وثعلب، ومن المتأخرين محمد عبد الله دراز [٣] .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٣: ٧٥ .

(٢) وقد نقل هذا الخلاف الزركشي فقال: "وقد اختلف في وقوع الزائد في القرآن: فمنهم من أنكره، قال الطرطوسي في العمدة: زعم المبرد وثعلب ألا صلة في القرآن ، والدهماء من العلماء والفقهاء والمفسرين على إثبات الصلات في القرآن، وقد وجد ذلك على وجه لا يسعنا إنكاره، فذكر كثيرا، وقال ابن الخباز في التوجيه: وعند ابن السراج أنه ليس في كلام العرب زائد؛ لأنه تكلم بغير فائدة، وما جاء منه حمله على التوكيد، ومنهم من جوزه وجعل وجوده كالعدم، وهو أفسد الطرق " البرهان في علوم القرآن ٣ : ٧٢، ٧٣ .

(٣) انظر : النبأ العظيم ص : ١٣٠ ، ومحمد عبدالله دراز ، عالم أديب ، ولد بقرية دياي بمصر ، وحصل على الشهادة الثانوية الأزهرية والعالمية ، ودرس بالقسم العالي بالأزهر ، وحصل على شهادة الدكتوراه من السوربون في فرنسا ، ثم عاد إلى مصر وصار عضوا في كبار العلماء وفي اللجنة العليا لسياسة التعليم وغير ذلك ، توفي في باكستان في مؤتمر هناك سنة ١٣٧٧ هـ ، له تاريخ آداب اللغة العربية ، ومنهل العرفان في تقويم البلدان . انظر : معجم المؤلفين ١٠ : ٢١٢ .

الثالث : وقوع الزائد في القرآن الكريم ، وأن وجوده كالعدم [١]

ثانيا : أثر زيادة الحروف في التفسير

أثر هذا الأسلوب تابع لأثر الأسلوب الذي قبله تعدد معاني الحروف؛ لأن تردد الحرف بين أن يكون أصلياً أو زائدا وسع دلالة الحرف وزاد في معناه احتمالا ، فأعطى سعة لمعنى الحرف في الآية ثم في معناها ، وقد يكون سلب المعنى الوضعي للحرف سببا في تغير معنى الآية إلى النقيض ، كما في الحرف (لا) فإن القول بأنه زائد يحول المعنى من نفي إلى إثبات ، كما كان هذا الأسلوب ملجأً لبعض المفسرين إذا لم يتبين له وجه الحرف في الآية قال إنه زائد ، وسيتبين بعض آثار هذا الأسلوب فيما يلي مع أمثلتها :

الأثر الأول : وهو أثر الأسلوب في فهم المعنى واتضاحه ، ومثاله قول الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢٨ – ٢٩] .

الحرف (لا) من جملة الحروف التي تزاد في الكلام كثيرا مع القرينة للتوكيد[٢] والغالب لتوكيد الكلام الذي فيه جحد [٣]، وهذا معروف من كلام العرب وأساليبهم، وقد وقعت (لا) زائدة في كتاب الله ﷻ في غير ما آية، ومن تلك الآيات هذه

---

(١) اختار بعض الباحثين أنه مذهب الفراء . انظر : مجلة جامعة الملك سعود م : ١٣ ، ص : ١٤ ، اختلاف العلماء في الحروف الزائدة في القرآن الكريم ، واختاره أبو علي الفارسي .

(٢) روح المعاني ٢٧ : ١٩٣ .

(٣) انظر : أضواء البيان ٤ :٩٠ ، وقيد الفراء مجيئها مزيدة في كل كلام وقع في آخره نفي ، أو أوله نفي غير مصرح ، وهذا هو الغالب ، وبعض العلماء جوز مجيئها زائدة ، حتى في الإثبات ، منهم أبو عبيدة ، واستشهد على ذلك بأبيات منها قول العجاج : في بئر لا حورٍ سرى وما شعر ، قال : في بئر حور ، أي: هلكة . انظر : مجاز القرآن ١ : ٢٥ .

الآية في قوله تعالى : ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ فإن المعنى عند أكثر العلماء [١] : ليعلم أهل الكتاب ، وجاءت (لا) زائدة لتوكيد العلم [٢] ، أي : فعلنا ذلك من إعطائكم كفلين وغيره ليعلم أهل الكتاب علما محققا أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله ، والقرينة التي دلت على زيادة (لا) هنا هي السياق ، كما قال النحاس : " ودل على هذا ما قبل الكلام وما بعده " [٣] ، وهذا قول أصحاب كتب المعاني [٤] .

ومن غير معرفة هذا الأسلوب فلا يمكن لقارئ القرآن الكريم فهم معنى الآية وأمثالها .

الأثر الثاني : أثر زيادة الحروف في توجيه القراءات ، ومثاله : قال الله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ ﴾ [البقرة : ١٥٨] ، جاء في بعض قراءات الصحابة : (أن لا يطوف بهما) [٥] ، ولا شك أن هذه القراءة شاذة ؛ لأنها مخالفة لرسم المصحف العثماني الذي اتفق عليه الصحابة ، لكن على القول بأن القراءة الشاذة تجعل بمنزلة الحديث النبوي في الاحتجاج، فإننا بحاجة إلى توجيهها، فإن ظاهرها عدم وجوب السعي ، وقد استدل بها بعض العلماء من السلف، وقال بعدم وجوب السعي وأنه سنة ، وقالوا لا منافاة بين القراءتين؛ وأن القراءة الأخرى تفيد انتفاء الحرج على من سعى، فيكون السعي بينهما مباحا ، لكنها تعارض قول من يقول بركنية السعي، فوجهوا هذه القراءة مستعملين أسلوب زيادة الحروف، فقالوا : إن (لا) في قراءة: (**أنْ لا يطوف**) زائدة ، فتتفق القراءتان ويزول الإشكال .

---

(١) التفسير الكبير ٢٩ : ٢١٦ .

(٢) انظر : التفسير الكبير ١٠: ١٣١ ، والتحرير والتنوير ٢٧ : ٤٣٠ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤: ٣٦٩ .

(٤) انظر : معاني الفراء ٣: ١٣٧ ، ١٣٨ و ١: ٣٧٤ ، ومجاز القرآن ٢ : ٢٥٤ ، ومعاني الأخفش ٢ : ٧٠٤ ومعاني الزجاج ٥ : ١٣١ .

(٥) هذه القراءة من القراءات الشاذة وتنسب إلى: ابن عباس وابن سيرين، وابن مسعود، وأبي، وشهر، وعطاء وأنس، وعلي وميمون - رضي الله عنهم ورحمهم- . انظر : المحتسب١ : ٢٠٢، وتفسير البحر المحيط١: ٦٣١ .

وقد أشار الفراء إلى هذه القراءة وتوجيهها ، فقال : " وقد قرأ بعضهم (ألا يطوف)، وهذا يكون على وجهين :

أحدهما : أن تجعل (لا) مع (أنْ) صلة على معنى الإلغاء ، كما قال: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف: ١٢] ، والمعنى : ما منعك أن تسجد .

والوجه الآخر : أن تجعل الطواف بينهما يرخص في تركه ، والأول المعمول به " (١).

وبه يتبين كيف استعمل هذا الأسلوب في توجيه القراءات بما يتوافق مع الآراء الفقهية للعلماء والله تعالى أعلم . (٢)

الأثر الثالث : أثر زيادة الحروف في خلاف المفسرين في معنى الآية ، ومن أمثلته : قال تعالى : ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ [القلم: ٥ – ٦] .

حرف الباء كذلك من الحروف التي تزاد في أساليب معروفة في اللغة العربية (٣)، وقد اختلف المفسرون وأهل اللغة - ومنهم أصحاب كتب المعاني- في تأويل هذه الآية (٤) ومعنى الباء في قوله : (بِأَيِّكُمُ) ، وقبل ذكر الخلاف في معنى الباء والآية أنبه إلى أن الجمهور- كما حكاه أبو حيان - (٥) على أن الباء في (بِأَيِّكُمُ) وما دخلت عليه متعلقة بقوله : ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) معاني القرآن للفراء ١: ٩٥ .

(٢) انظر : تفسير البحر المحيط ١: ٦٣١ ، والمحرر الوجيز ١: ٢٣٠ ، وأحكام القرآن لابن العربي ١: ٧١ ، وأضواء البيان ٤: ٤٢٩.

(٣) كما في خبر ليس ، ومنها زيادتها على المبتدأ ، كقولهم : بحسبك درهم ، وكذلك على المفعول به للفعل المتعدي بنفسه ، وقد ذكر الشنقيطي عدة أمثلة لهذا الأخير واستشهد له بعدة أبيات من الشعر . انظر : أضواء البيان ٣: ٣٩٩ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٩ : ١٩

(٥) انظر : تفسير البحر المحيط ٨ : ٣٠٣ ، المحرر الوجيز ٥ : ٣٤٦ .

(٦) وقال بعضهم : إن قوله : ﴿ بِأَيِّكُمُ ﴾ [القلم: ٦] استفهام مستأنف ، يراد به الترداد بين أمرين ، ومعلوم نفي الحكم عن أحدهما ويعينه الوجود . انظر : تفسير البحر المحيط ٨ : ٣٠٣ .

أما معنى الباء فبعضهم قال : إن الباء أصلية ، ولهم في معناها قولان :

الأول : إنها بمعنى (في) للظرفية ، فيصبح المعنى : فستبصر ويبصرون في أيكم المفتـون ، [المفتون أي : المجنون] ، وهذا قول الفراء والزجاج [(١)] .

الثاني : إنها بمعنى السبب [(٢)] ، فيكون معنى الآية : فستبصر ويبصرون بسبب أيكم الفتنـة والفساد ، وقالوا : المفتون مفعول بمعنى المصدر ، أو على حذف مـضاف ، أي : بـسبب أيكم فتنة المفتون [(٣)] .

وقال أبو عبيدة والأخفش - وهو الشاهد للمبحث - : إن الباء هنا زائدة ، والمعنى: فستبصر ويبصرون أيكم المفتون [(٤)] .

ونلاحظ في هذا المثال كيف ساهم هذا الأسلوب في توجيه الآية وتفسيرها تفـسيرا سهلا غير متكلف ، وإن كان زيادة الحرف ليس هو الأصل [(٥)] .

ومثاله أيضا : قال تعـالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الممتحنة: ١] .

اختلف هنا في معنى الباء في قوله: (بِٱلْمَوَدَّةِ)، فقال أبو عبيدة والفراء: إن الباء هنا زائدة [(٦)]،

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ : ١٧٣ ، ومعاني الزجاج ٥ : ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٢) انظر : تفسير البحر المحيط ٨ : ٣٠٣ .

(٣) كما سيأتي شرحه في في الفصل الثالث في مبحث : إطلاق الصفة على المصدر.

(٤) انظر : الأخفش ٢: ٧١٢ ، ومجاز القرآن ٢ : ٢٦٤ ، وأضواء البيان ٣: ٣٩٩ . وهذا قول سيبويه كما نقله ابن هشام عنه في مغني اللبيب ١: ١٤٨ ، وقد رد هذا القول الزجاج .

(٥) ذكر ابن كثير وجها آخر في تفسير الآية لم أجده عند غيره ، حيث حمل الآية على التضمين، فضمن الفعل (فستبصر) معنى الفعل (ستعلم) أو (ستخبر) المناسب للباء، قال: "وإنما دخلت الباء في قوله: ﴿ بِأَيِّكُمُ ﴾ لتدل على تضمين الفعل في قوله: ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾ [القلم: ٥] وتقديره : فستعلم ويعلمون أو فستخبر ويخبرون بأيكم المفتون، والله أعلم " . تفسير ابن كثير ٤: ٤٠٤ . لكن لا يظهر لي الفائدة من التضمين على هذا القول ! وهذا القول في المعنى قريب من معنى القول بالزيادة .

(٦) انظر : مجاز القرآن ٢ : ٢٥٧ ، ومعاني القرآن للفراء ٣ : ١٤٧، وهو قول ابن جرير ، انظر : تفسير الطبري ٢٨: ٥٧ ، وتفسير القرطبي ١٨: ٥٢ .

والمعنى : تلقون إليهم المودة وتوصلونها إليهم . [١]

وقال آخرون [٢] منهم الزجاج : الباء هنا سببية ، وعليه يكون المعـنى : تلقـون وترسلون إليهم أخبار النبي ﷺ وسره بسبب المودة التي بينكم وبينهم .

وأدى هذا الخلاف إلى حصول فرق بين المعنيين، فعلى الأول سعي في أسباب المودة، وعلى الثاني تكون المودة حاصلة وما تفعلونه من الأمور هي من آثار المودة - والله تعـالى أعلم - فيكون القول الأول أرجح، ولم يكن لحاطب ﵁ أن يواد أعداء الله [٣] .

ومثاله أيضا : قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام : ٣٤].

(من) أيضا من الحروف التي تزاد في الكلام وفي القرآن الكريم بكثرة بعد النفـي وشبهه ، ولهم شروط في ذلـك ، كقولـه تعـالى : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [ص : ٦٥] وغيرها كثير ، وهذا الموطن – أعني زيادتها بعد النفي - مشهور .

وتزاد أيضا في الإثبات ، وإن كان هذا ليس مشهورا كالأول، وجوزه الأخفش[٤].

وقد اختلف في هذه الآية في معنى (مِن نَّبَإِي) ، فقال الأخفش : إنها زائدة ، كما تقول : قد أصابنا من مطر ، وقد كان من حديث [٥] ، فيكون المعنى عليه: ولقد جاءك نبأ المرسلين .

وقال بعضهم (من) هنا تبعيضية، فيكون معنى الآية: ولقد جـاءك بعـض نبـأ المرسلين، وضعفوا القول الأول بأن (من) لا تزاد في الواجب؛ وبأن هذا هو الموافق لما جاء في آيات أخرى من القرآن، كقوله﵎: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا

---

(١) قال ابن عاشور: " والباء في (بِٱلْمَوَدَّةِ) لتأكيد اتصال الفعل بمفعوله " . التحرير والتنوير ٢٨ : ١٣٤ .

(٢) انظر : تفسير البحر المحيط ٨ : ٢٥١ ، ونسبه ابن الجوزي للجمهور . انظر : زاد المسير ٨ : ٢٣٢ .

(٣) ذكر القرطبي أن وصف حاطب بن أبي بلتعة صاحب قصة سبب النزول بإلقاء المودة للمشركين كان في الظاهر وأن قلبه كان سليما لتصديق الرسول ﷺ له، ولأن الله ﷻ ناداه بوصف الإيمان. انظر :تفسير القرطبي ١٨: ٥٢ .

(٤) انظر : مغني اللبيب ١: ٤٢٥ .

(٥) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢ : ٤٨٨ .

عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: ٧٨] فإن الواصل إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - بعض قصص الأنبياء، لا قصص كلهم [(١)] .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ١٢: ١٧٠ ، وتفسير البحر المحيط ٤: ١١٨ .

المبحث الرابع

تعـدي الفـعـل

أولا : لمحة عن الأسلوب

المقصود من هذا الأسلوب أن بعض الأفعال في اللغة تتعدى إلى مفعولها بحرف جر ، وأحيانا وفي بعض تلك الأفعال قد تحذف العرب حرف الجر ليتعدى إليه الفعل مباشرة من غير حرف جر ،كما قال الشاعر [١] :

أمرتك الخير فافعلْ ما أمرت بِه : فقد تركتك ذا مالٍ وذا نشبِ

فالأصل : أمرتك بالخير ، فحذفت الباء ، لكن هذا - كما قال النحويون - موقوف على السماع ولا يقاس عليه ، فلا يقال : دعوت زيدا ، وأنت تريد دعوت لزيد ؛ لأن هذا يؤدي إلى تلبيس المعنى [٢] .

قال الزجاج : " ومثله قول الشاعر [٣] :

نغالي اللحم للأضياف نيئاً : ونبذُلُه إذا نضج القُدور

المعنى : نغالي باللحم ، ومثله قول العرب : ضرب فلانٌ الظهر والبطن ، والمعنى : على الظهر والبطن ، فهذا الذي استعمل من حذف حروف الجر موجود في كتاب الله وفي أشعار

---

(١) هو عمرو بن معدي كرب ، والبيت في ديوانه ص : ٤٧ . والنشب : ما نشب من العقارات .

(٢) انظر : كتاب سيبويه ١: ٣٧ فما بعدها .

(٣) هو رجل من قيس كما في جمهرة اللغة ٣ : ١٣١٧ . والبيت من شواهد الفراء والأخفش . انظر : معاني الفراء ٢ : ٣٨٣ ، ومعاني الأخفش ١ : ٢٥٠ ، والبيت أيضا في تهذيب اللغة ٦: ٨١ و ٧: ٦٣ ، ولسان العرب ٧ : ٤٠ و ١٥: ١٣١ . وغالى بالشيء وغلاه : اشتراه غاليا . وقيل : نغالي ونغلي واحد . يقول : نغليه نيئا إذا اشتريناه ونبيحه إذا طبخناه لأكله . انظر : لسان العرب ٧ : ٤٠ ، ١٥: ١٣١.

العرب وألفاظها المنثورة، وهو عندي مذهب صالح " [١] .

وقد أشار أبو عبيدة إلى هذا الأسلوب فقال في المقدمة :" ما جاء على لفظين فأعملت فيه الأداة في موضع ، وتركت منه في موضع ، قال : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين: ١ – ٣] معناه : وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم . ومن مجاز ما جاء على ثلاثة ألفاظ فأعملت فيه أداتان في موضعين وتركتا منه في موضع ، قال [تعالى] : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة : ٦] وإلى الصراط ، وللصراط " [٢] .

فتعدى الفعل (اهدنا) بنفسه ، وتارة بـ (إلى) وتارة بـاللام .

ثانيا : أثر تعدي الفعل في التفسير :

أحيانا يكون الأشهر في الفعل المعين أن يتعدى بحرف الجر ، فإذا حذف حرف الجر وعدي بنفسه صار في المعنى خفاء .

وقد يصلح في بعض الأفعال أن تتعدى بحرفين ، يختلف معنى الفعل مع كل واحد منهما، فإذا حذف حرف التعدية وعدي الفعل بنفسه ، فقد يحتمل الكلام هذا وهذا ، وصار تقديره يحتاج إلى دليل ، أو قرينة لتحديده ، كما في قول الله تعالى :﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ [النساء : ١٢٧] ، فإن الفعل (رغب) يتعدى بـ (عن) و الباء ، والمعنيان متعاكسان .

وفي بعض الأحوال يؤدي حذف حرف التعدية إلى احتمال كون المفعول - إذا لم يتميز بعلامة الإعراب - هو الفاعل فيتغير المعنى ويكون الخلاف .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١: ٢١٠ ، ٢١١ .

(٢) مجاز القرآن ١: ١٤، ١٥ .

كما أنه يفتح المجال لتضمين الفعل المتعدي بحرف الجر فعلا آخر مناسبا ، لا يتعدى بحرف الجر ، مما أدى إلى ظهور أثر هذا الأسلوب في التفسير، ويتمثل بالصور الآتية :

الصورة الأولى : وهي أثر الأسلوب في وضوح المعنى ، ومثاله قول الله عز وجل : ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

والشاهد هنا في قوله : (تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ) حيث عدي الفعل (تَسْتَرْضِعُوٓا۟) بنفسه، وحذف حرف التعدية وهو اللام .

قال الزجاج : " والمعنى : أن تسترضعوا **لأولادكم** ، فحذف حرف الجر في غير ظرف" [(١)].

وهذا هو قول كثير من المفسرين [(٢)] ، والفعل (استرضع) يتعدى لمفعولين؛ أحدهما بحرف الجر [(٣)]، فحذف هنا أحد المفعولين ، ويمكن تقديره بـ (مرضعا)، وكذلك حذف حرف الجر للمفعول الثاني وهو هنا اللام ، وبتقديره يتبين أثر هذا الأسلوب في وضوح المعنى وتجليه ، فقد يفهم منه أن طلب الإرضاع من الأولاد وهذا معنى لا يصح .

---

(١) لأن علامة الظرف أن يكون بتقدير حرف الجر (في) . معاني القرآن وإعرابه ١: ٢١٠ ، ٢١١ .

(٢) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١ : ٣١٧ ، وتفسير القرطبي ٣ : ١٧٢ ، وزاد المسير ١ : ٢٧٣ ، وتفسير البغوي ١: ٢١٣ .

(٣) وفيه خلاف؛ فبعضهم يرى أنه يتعدى إلى المفعولين مباشرة . انظر : الكشاف ١: ٣٠٩ ، وتفسير البحر المحيط ٢ : ٢٢٨ .

الصورة الثانية : أثر الأسلوب في الخلاف بين المفسرين ، ومثاله في قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ [الشورى: ٢٥ - ٢٦] .

الفعل (يستجيب) يتعدى إلى مفعوله باللام، وقد يتعدى بنفسه، وهنا في الآية حذف أحد ركني الجملة: الفاعل أو المفعول، ولما كان الاسم الموصول (الذين آمنوا) لا يظهر عليه علامة الإعراب مع جواز تعدي الفعل بنفسه أو احتمال حذف حرف التعدية منه جعله يحتمل أن يكون فاعلا أو مفعولا ، وهذا ولا شك سيؤدي إلى فرق في المعنى .

قال الفراء:" يكون (ٱلَّذِينَ) في موضع نصب [أي: في محل نصب مفعول به لـ (يستجيب)] بمعنى : ويجيب اللهُ الذين آمنوا ، وقد جاء في التنزيل: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٩٥] ، والمعنى - والله أعلم - : فأجابهم ربهم ، إلاّ أنك إذا قلت : استجاب ، أدخلت اللام في المفعول به ، وإذا قلت : أجاب ، حذفت اللام " (١) .

وهذا يدل على أن الأشهر أن يتعدى الفعل باللام .

ثم بين جواز تعدي الفعل (استجاب) بنفسه ، فقال : " ويكون استجابهم ، بمعنى: استجاب لهم ، كما قال : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين : ٣] المعنى - والله أعلم - : وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم يخسرون " (٢).

ثم ذكر الاحتمال الثاني، فقال : " ويكون (ٱلَّذِينَ) في موضع رفع؛ يجعل الفعل لهم، أي: الذين آمنوا يستجيبون لله ، ويزيدهم الله على إجابتهم والتصديق من فضله " (٣).

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣: ٢٤ .

(٢) وهو ترجيح الطبري وابن كثير:٤ :١١٦ . وهو مروي عن معاذ بن جبل ﷺ ، ونحوه عن ابن عباس – رضي الله عنهما - كما ذكر صاحب المحرر الوجيز ٥ : ٣٥ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣ : ٢٤ .

بمعنى أنهم ينقادون لله ويطيعون أمره [١]، فهنا جعل الفراء الآية محتملة للأمرين، وساعد على ذلك كون الفعل يتعدى بنفسه - وهو خلاف المشهور - ويتعدى بحرف الجر، فالذي يسبق إلى الذهن أن المؤمنين هم الذين استجابوا ، لكن لما كان الفعل يتعدى بنفسه كانت الآية محتملة لهذا القول مع قرينة السياق ، وهو مروي عن السلف .

أما الأخفش فاختار الوجه الثاني ، وأن المؤمنين هم الذين استجابوا [٢] .

وأما الزجاج فقال:" المعنى: ويجيب الذين آمنوا " وقوله يحتمل الوجهين السابقين في الآية[٣].

أما النحاس فذكر القولين ولم يرجح [٤]، لكنه رجح في كتابه إعراب القرآن الوجه الأول ، وأن الله تعالى يستجيب للذين آمنوا، وأن حرف الجر (التعدية) وهو اللام حذف، والمعنى : ويستجيب للذين آمنوا ، وقال :" هذا أشبه بنسق الكلام ؛ لأن الفعل الذي قبله والذي بعده لله جل وعز ، وثم حديث عن معاذ بن جبل [رضي الله عنه] [٥] يدل على هذا، قال : إنكم تدعون لهؤلاء الصناع : غفر الله لك ، رحمك وبارك عليك ، والله - جل وعز – يقول : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ [٦] [الشورى: ٢٦] " [٧].

---

(١) وهو اختيار ابن سعدي ، وهو منقول عن بعض السلف أيضا منهم: سعيد بن جبير ، وإبراهيم بن أدهم. انظر : الكشاف ٤: ٢٢٧ .

(٢) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢ : ٦٨٦ ، ٦٨٧ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ :٣٩٩ ، وتفسير الطبري ٢٥ : ٢٩ .

(٤) انظر : معاني القرآن للنحاس ٦ : ٣١٢ .

(٥) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصارى الخزرجى ثم الجشمى أبو عبد الرحمن ، من فقهاء الصحابة وعلمائهم، شهد العقبة وبدرا والمشاهد كلها، بعثه النبي ﷺ إلى اليمن قاضيا ومعلما ، توفي بناحية الأردن في طاعون عمواس سنة ١٨هـ وله من العمر بضع وثلاثون سنة . انظر : الاستيعاب ٣ : ١٤٠٢ ، وأسد الغابة ٥ : ٢٠٤ .

(٦) لم أجد هذا الأثر في كتب الحديث والآثار .

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤ : ٨٢ .

فكان لهذا الأسلوب سبب في احتمال الآية أكثر من معنى، ثم في الخلاف في معنى الآية ؛ لأن ظاهر اللفظ يفيد المعنى الثاني .

ومثاله أيضا في الخلاف ، وبلاغة القرآن : قوله تعالى : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ﴾ [البقرة : ٢٣٥] .

الشاهد هنا في قوله : (وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ) ، فالفعل (عزم) يأتي بمعنى قصد - وهو المعنى المشهور له – ويتعدى حينئذ بـ (على) ، ويأتي أيضا بمعنى البت والقطع [(١)] - وهو الأصل في معناه - ولا يتعدى حينئذ بحرف ، والفعل (عزم) في الآية الكريمة لم يتعد بحرف جر، فكان سببا لاحتمال أن يكون متعديا وحذف منه حرف التعدية، فيكون معناه: القصد ، أو يكون غير متعد بحرف جر أصلا، فيكون معناه: البت والقطع .

لذا قال النحاس في تفسير الآية :" أي : **على عقدة** النكاح [(٢)] ، ثم حذف (على) ...، ويجوز أن يكون المعنى : ولا تعقدوا عقدة النكاح ؛ لأن معنى تعقدوا وتعزموا واحد " [(٣)] .

فبين النحاس أن الفعل عزم هنا إما أن يكون بمعنى قصد، ويكون قد حذف منه حرف التعدية - وهذا هو الشاهد للأسلوب - وإما أن يكون بمعنى القطع والبت ولا يحتاج إلى حرف تعدية .

---

(١) انظر : مقاييس اللغة ٤ : ٣٠٨ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١: ٢١٠ ، ٢١١ ، وهو قول الأخفش . انظر : معاني القرآن للأخفش ١ : ٣٣٨ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ١ : ٣١٩ .

وعلى الأول يكون المعنى : ولا تعزموا على عقدة النكاح ، أي : لا تقصدوه قصدا جازما ، فالنهي منصب على النية والقصد ، وهو نهي عن العقد ؛ لأن النهي عن مقدمات الشيء نهي عن الشيء ، وهو أبلغ (١) .

وعلى الاحتمال الثاني يكون النهي عن الفعل نفسه وهو العقد ، وفرق بين النهي عن قصد الفعل والنهي عن الفعل نفسه .

لكن لما كان الاحتمال الأول يعارض ما جاء في الآية من جواز الإكنان وإضمار نية العقد أجيب عن ذلك بأن المراد بالعزم هنا القصد الجازم المقارن للفعل ؛ لأن الله - تعالى - قد أباح إضمار عقد بعد انقضاء العدة بقوله : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ والإكنان في النفس هو الإضمار فيها ، فيكون المراد بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ ﴾ إنما تضمن النهي عن إيقاع العقد في العدة ،وعن العزيمة عليه فيها (٢) .

والقول الأول قول عدد من المفسرين (٣) ، والقول الثاني هو قول عامة السلف (٤).

ويتبين في هذا المثال كيف كان لاحتمال حذف حرف التعدية من الفعل في احتمال الآية للقول الأول والذي يكسب الآية معنى المبالغة في النهي مع تضمنه للقول الثاني .

الصورة الثالثة : وهي أثر أسلوب تعدي الفعل في دفع ما قد يشكل من القرآن وتعدد معاني الآية، ومثاله قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

---

(١) انظر : روح المعاني ٢ : ١٥١ ، ١٥٢ .

(٢) انظر : أحكام القرآن للجصاص٢: ١٣٢ ، وروح المعاني ٢: ١٥٢ .

(٣) انظر : الكشاف١ : ٣١٢ وتفسير القرطبي ٣: ١٩٢ وتفسير الجلالين ١: ٥١ .

(٤) كما نقله ابن كثير عن جمع من السلف . انظر :تفسير ابن كثير ١: ٢٨٨ ،وانظر الدر المنثور ١: ٦٩٦ ، ٦٩٧ وهو قول ابن عطية . انظر : المحرر الوجيز ١: ٣١٧ .

أورد النحاس في هذه الآية إشكالا وأجاب عنه ، فقال : " يقال : كيف يخـوف [أي الشيطان] من تولاه ؟ فروي عن إبراهيم النخعي [(١)] : يخوفكم أوليـاءه ... والتقـدير على هذا: يخوف المؤمنين **بأ**وليائه ، ثم حـذفت البـاء وأحـد المفعـولين ... وأوليـاؤه هاهنا : الشياطين " [(٢)] .

وقد قيل : إن معنى (يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ) : يخوف المنافقين [وهم أولياءه] الفقر حـتى لا ينفقوا ؛ لأنهم أشد خوفا " [(٣)] .

وبه يتبين كيف ساعد جواز تعدي الفعل (يُخَوِّفُ) بنفسه وبالبـاء في احتمـال أن يكون (أَوْلِيَآءَهُۥ) هي المفعول الثاني ، أو المفعول الأول لـ (يُخَوِّفُ) كما قيل به ، ولـو لم يحذف لم تحتمله الآية .

---

(١) هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن الأسود النخعي الكوفي ، الفقيه الثقة ، روى عن عائشة - رضي الله عنها - ولم يثبت سماعه منها ، وروى عنه : الأعمش ، ومنصور ، وابن عون ، مات سنة ٩٦ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ١ : ١٥٥ ، وطبقات الفقهاء ١: ٨٣ .

(٢) وهذا قول الأخفش والفراء . انظر : معاني القرآن للفراء ١ : ٢٤٨ ، ومعاني القرآن للأخفش ١ : ٤٢٨ .

(٣) معاني القرآن للنحاس ١: ٥١٢ ، ٥١٣ ، وكذلك الزجاج أورد القولين . انظر : معانيه ١: ٤٩٠ ، لكنه عدى الفعل بـ (من)، أي: يخوفكم من أولياءه، والوارد عن السلف هو القول الأول، إلا ما جاء عن الحسن، فيفهم منه أنه يرى القول الثاني، كذلك السدي. انظر: الدر المنثور ٢: ٣٩١ ،وتفسير الطبري٤: ١٨٤ .

المبحث الخامس

استثناءُ الشيءِ من الشيء وليس منه (الاستثناء المنقطع)

أو لا : لمحة عن الأسلوب

الاستثناء هو: إخراج بعض الجملة من الجملة بلفظ (إلا) أو ما أُقيم مقامه [١]، وهو موضوع طويل، وفيه كلام وتفصيل كثير ، لكن وقفتنا في هذه الرسالة في جزئية منه كثـر وقوعها في القرآن الكريم، ونبه عليها أصحاب كتب المعاني، ألا وهي الاستثناء المنقطـع ، والذي كانوا يطلقون عليه الاستثناء الذي ليس من الأول، وهو أحد أنواع الاستثناء بـ (إلا) والذي يكون فيه ما بعدها - وهو المستثنى - من غير جنس ما قبلها وهو المـستثنى منه ، ويقدر حينئذ بدل أداة الاستثناء (إلا) كلمةَ (لكن)، ثم يستأنف الكلام[٢]، وعكس هذا النوع الاستثناء المتصل، وهو ما كان بعد (إلا) من جنس ما قبلها، وهو الأصـل في الاستثناء ، لذلك قال العلماء: إن الحكم على تركيب استثنائي ما أنه منقطع خلاف الأصل [٣] .

ومن أمثلته ما روي عن العرب في كلامهم: ما أشتكي إلا خيراً، قال أبو عبيـدة:" تستثني العرب الشيء من الشيء وليس منه ... قال جرير [٤] :

من البِيضِ لم تظْعن بعيداً ولم تطَأْ : على الأرضِ إلا ذَيلَ مرط مرحلِ

المُرحل : برد في حاشيته خطوط [٥]، فكأنه قال : لم تطأ على الأرض ، إلا أن تطـأ ذيـلَ البرد ، وليس هو من الأرض " [٦] .

---

(١) انظر : المحصول في علم الأصول ٣ : ٣٧ .

(٢) وجعل الفراء علامته أن يحسن مع المستثنى (أنْ) . انظر : معاني القرآن للفراء ١ : ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

(٣) انظر : شرح اللمع ١ : ١٤٤ ، والتفسير اللغوي ص : ٢١٢ نقل مؤلفه عن الرماني قوله في تفسيره الجامع لأحكام القرآن : " الاستثناء لا يحمل على المنقطع مع حسن المتصل ، لأنه الأصل في الكلام والأسبق إلى الأوهام " .

(٤) سبقت ترجمته ، والبيت في ديوانه ص : ٣٦٧ .

(٥) وقيل : (المرحل) ضرب من برود اليمن سمي به ؛ لأن عليه تصاوير رحل وما يشبهه. انظر : العين ٣: ٢٠٨ .

(٦) مجاز القرآن ١: ١٣٧ .

وكثيرا ما يشكل على قارئ القرآن تركيبات استثنائية يكون حلها بحملها على هذا الأسلوب ، فعلى سبيل المثال قول الله تعـالى: ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾ [الغاشية : ٢٢ - ٢٤] فليس المعـنى أن الرسـول ﷺ مسيطر على من تولى وكفر ، فيكون استثناءً من الضمير في (عَلَيْهِم) ، إنما المعنى : لست عليهم بمصيطر، لكن من تولى وكفر فيعذبه الله ... فهو استئناف كلام .

ثانيا : أثر أسلوب الاستثناء في التفسير

من خلال استقراء أمثلة الاستثناء من كتب المعاني يلاحظ أنّ العلماء يختلفون كثيرا في تحديد نوع الاستثناء من حيث الاتصال والانقطاع ، وهو مبحث قد يكـون لطيفـا في بعض الأحيان يحتاج إلى دقة وإمعان نظر لتحديده .

كما أن الاستثناء إذا كان منقطعا فإنه يحتاج أحيانا إلى تقدير محذوف ، والمفسرون قد يختلفون في تقديره ؛ فلا بد كذلك من العناية بالمحذوف المقدر، فإن باختلافه قد يختلف المعنى ، وليس تقدير العلماء في ذلك واحدا .

ومن الأمور المتعلقة بالاستثناء والتي أثرت كثيرا في التفسير ، اختلاف المفـسرين في تحديد المستثنى منه ، أو على أي شيء يرجع الاستثناء ، بل أحيانا قد يقدر العلماء مـستثنى منه غير موجود في الآية ، كما سيأتي في الأمثلة (١) ، فهذا من الأساليب التي نزل بها القرآن الكريم في مواضع عدة وكان له الأثر البين في تغير معنى الآية واختلاف المفسرين ، ويتـضح ذلك بالأمثلة الآتية :

---

(١) انظر : مثال رقم (٦) ، وانظر : معاني النحاس ٤ : ٥٠١ - ٥٠٤ و ٢: ١٤٢ - ١٤٤ في الخلاف في المستثنى منه في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٤، ٥]، وقوله: ﴿ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣]. وانظر : زاد المسير ٦ : ١٥٦ في تفسير قوله ﷻ ﴿ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ [النمل: ١٠ - ١١] .

المثال الأول : قول الله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٢] .

هذه الآية في وصف اليهود [١] وإخبار من الله تعالى أنه عاقبهم بالذلة في بواطنهم . وبادي الرأي قد يعطي أن الحبل الذي من الله ومن الناس - وهو العهد والذمة الذي لهم - يزيل ضرب الذلة عنهم [٢] ، وقد فُسرت الآية على هذا الوجه ، وأن الاستثناء فيهـا **متـصل ،** فيكون المعنى : ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ، أي : بكل مكان إلا بموضع حبلٍ من الله ، كما تقول : ضربت عليهم الذلة في الأمكنة إلا في هذا المكان .

وقد نقله الطبري عن بعض نحويي الكوفة ، وخطأه ، وذكر أنه يلزم على هذا القول أن اليهود إذا ثُقفوا بحبل من الله ﷻ وحبل من الناس غير مضروبة عليهم المسكنة ! قـال : " وليس ذلك صفة اليهود ؛ لأنهم أينما ثقفوا - بحبل من الله وحبل من الناس أو بغير حبل مـن الله ﷻ وغير حبل من الناس - فالذلة مضروبة عليهم ، على ما ذكرنا عن أهل التأويل " .

ورجح الطبري أن يكون الاستثناء منقطعا ، والمعنى : ولكن يثقفون بحبل مـن الله وحبل من الناس ، فقدر الفعل : (يثقفون) . [٣]

ويرى أصحاب كتب المعاني أنه استثناء **منقطع** كذلك ، إلا أنهم قـدروا الفعـل (يعتصمون) ، فصار المعنى : ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ، لكنهم **يعتصمون** بحبل من الله وحبل من الناس ، ونحو ذلك [٤] .

ويلاحظ في هذه الآية كيف اختلف المعنى على القول بالاتصال والانقطاع ، وأنـه يلزم على القول بالاتصال أن يكون اليهود غير مضروبة عليهم الذلة إذا ثقفوا بحبل مـن الله وحبل من الناس ، كما أن المعنى سيختلف على القول بالانقطاع علـى حـسب تقـدير المحذوف ؛ فعلى تقدير (يثقفون) يكون المعنى - والله أعلم - : أنهـم لا يـستقرون ولا

---

(١) تفسير السعدي ١: ١٤٣ .

(٢) انظر : المحرر الوجيز ١: ٤٩١ .

(٣) تفسير الطبري ٤ : ٥٠ .

(٤) انظر : معاني الفراء ١: ٢٣٠ ، ومعاني الأخفش ١ : ٤١٧ ، ومعاني الزجاج ١: ٤٥٧ ، ومعاني النحاس ١: ٤٦١ .

يطمئنون إلا بحبل ، أي : عهد من الله وحبل من الناس ، فلا يكون اليهود إلا تحت أحكام المسلمين وعهدهم تؤخذ منهم الجزية ويستذلون ، أو تحت أحكام النصارى [١]، وعلى تقدير (يعتصمون) - وهو قول أصحاب كتب المعاني- فالمعنى واضح .

وبه يتبين الفرق في المعنى على القول بالاتصال والانقطاع ، كذلك يتبين أن الاختلاف في تقدير المحذوف في الاستثناءات المنقطعة قد يؤدي إلى اختلاف المعنى .

ومثال ثاني :

قول الله – تعالى - :﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٥٧] .

اختلف في نوع الاستثناء في هذه الآية على قولين :

القول الأول : وهو قول الأخفش وأبي عبيدة [٢] إنه استثناء **منقطع** خارج من أول الكلام ، وهو قول الجمهور [٣] وقالوا إن في الآية محذوفا ، واختلفوا في تقدير المحذوف ، إلا أن المعنى لم يتغير كثيرا :

فقال أبو عبيدة : " تقديره : قل ما أسألكم عليه من أجر ، إلا أنه من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً **فليتخذه** " أي : بطاعته ، وخصه بعضهم بالإنفاق ليناسب الاستدراك في الآية [٤] ، وتقديرات كثير من المفسرين حول هذا المعنى [٥] .

والقول الثاني : إن الاستثناء متصل راجع إلى (أَجْرٍ) ، واحتاج أصحاب هذا القول أيضا إلى تقدير مضاف محذوف ، فقدر بعضهم كلمة (فعل) ليصير المعنى : لا أسألكم أجرا إلا **فعل** من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا ، قال العلماء : وفي ذلك قلع كلي لشائبة الطمع

---

(١) انظر : تفسير السعدي ١ : ١٤٣ .

(٢) انظر : مجاز القرآن ٢ : ٧٨ ، ٧٩ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢ : ٦٤٢ .

(٣) كما نقله أبو حيان . انظر : تفسير البحر المحيط ٦ : ٤٦٥ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٩ : ٢٧ .

(٥) انظر: الطبري ١٩: ٢٧،والمحرر الوجيز ٤: ٢١٥، وتفسير السمعاني ٤: ٢٧،والتسهيل لعلوم التنزيل ٣: ٨٠ .

وإظهار لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك - مع كون منفعته عائـدا إلـيهم - عائـدا إليه ﷺ [١] .

ومنهم من قدر كلمة (أجر) ، أي : ما أسألكم عليه أجرا إلا أجـر مـن آمـن أي : إلا الأجر الحاصل لي من إيمانه ؛ فإن الدال على الخير كفاعله [٢].

فهنا القول بالاتصال والانقطاع أدى إلى فرق في المعنى ؛ فعلى القـول بالاتـصال - لا سيما على تقدير كلمة (أجر) - يكون الرسول ﷺ لا يطلب أجرة على دعوته من جهتهم إلا الأجر الحاصل له ممن تبعه على الحق ، فإن الله يأجره على ذلك .

وأما على القول بالانقطاع يكون المعنى : أن الرسول ﷺ لا يطلب لنفسه على تبليغ الشريعة من الناس أجرة البتة ، بل هو يبتغي بذلك وجه الله تعالى .

ومثال ثالث أيضا : قولـه ﷻ : ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٧٥ – ٧٧].

قوله تعالى : ﴿ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، للعلماء في هذا الاستثناء قولان مـن جهـة الانقطاع والاتصال ، ذكرهما الزجاج، قال : " قال النحويون : إنه اسـتثناء لـيس مـن الأول ، أي : لكن رب العالمين " [٣] ، وهو قول أبي عبيدة [٤] .

وقدر العلماء هنا على القول بالانقطاع : لكن رب العالمين فإنه ليس كذلك ، أو هو وليي .

ثم جوز الزجاج أن يكون متصلا [٥] ، فقال : " ويجوز أن يكونوا عبـدوا مـع الله الأصنام وغيرها ، فقال لهم : إن جميع من عبدتم عدو لي إلا رب العالمين ؛ لأنهـم سـووا آلهتهم بالله ، فأعلمهم أنه قد تبرأ مما يعبدون إلا الله ، فإنه لم يتبرأ منه" وتابعه النحاس[٦] .

---

(١) انظر : روح المعاني ١٩: ٣٧ ، وتفسير النسفي ٣: ١٧٣ .
(٢) روح المعاني ١٩ : ٣٧ .
(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤ : ٩٣ .
(٤) انظر : مجاز القرآن ٢ : ٧٨ .
(٥) وهو قول الفراء . انظر : معاني القرآن للفراء ٢ : ٢٨١ .
(٦) انظر : معاني القرآن للنحاس ٥ : ٨٦ ، ونسبه ابن الجوزي لابن زيد . انظر : زاد المسير ٦: ١٢٨ .

وهناك احتمال آخر في استثناء رب العالمين ، وأن من جملة آبائهم من كان يعبد الله لا يشرك به شيئا (١) .

فبهذا يتبين كيف كان لتحديد نوع الاستثناء من حيث الاتصال والانقطاع أثـر في تغير المعنى ، فهنا إذا كان الاستثناء متصلا أفادت الآية أن الله تعالى من جملة مـا عبـدوا، بخلاف ما إذا كان منقطعا، فلا تفيد هذا المعنى .

وقد ذكر ابن كثير وابن سعدي في تفسير الآية معنى آخر ، وأن المـراد من قـوله :﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ ﴾ التحدي لهم ، أي : فإنهم عدو لي **فليضروني** بأدنى شيء من الـضرر وليكيدوني، فلا يقدرون إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين ، هو المتفرد بنعمة الخلـق ونعمة الهداية للمصالح الدينية والدنيوية (٢) .

ومثال رابع : في قولـه تعـالى : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ [الحديد : ٢٧].

اختلف العلماء هنا أيضا في المستثنى منه ، ونوع الاستثناء : (٣)

فقالت طائفة : الاستثناء في الآية راجع إلى قوله ﷻ : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾ ، وعلـى هذا القول فالاستثناء منقطع ، والمعنى : ما فرضناها نحن عليهم رأسا ، ولكـن ابتـدعوها وألزموا أنفسهم بها ابتغاء رضوان الله تعالى (٤) .

وقالت طائفة : بل الاستثناء مـن قولـه : ﴿ مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾ ، ويكـون هنـا متصلا ، ومعنى الآية على هذا فيه قولان :

---

(١) انظر : روح المعاني ١٩: ٩٥ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٣ : ٣٣٨ وتفسير السعدي ١: ٥٩٣ .

(٣) لم يتكلم عنها من أصحاب كتب المعاني إلا الزجاج . انظر : معانيه ٥ :١٣٠ وكلامه فيها لم يتضح لي لذلك عدلت عنه .

(٤) انظر : روح المعاني ٢٧: ١٩١ ، وتفسير البغوي ٤ : ٣٠٠ ،وتفسير السمعاني ٥ : ٣٨٠ .

الأول : أي : ما قضيناها عليهم بأن جعلناهم يبتدعونها - وقال بعضهم ما كتبناها عليهم بعد دخولهم فيها تطوعا [١] - لشيء من الأشياء إلا ليبتغوا بها رضوان الله ﷻ ، ويستحقوا بها الثواب، ومن ضرورة ذلك أن يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها ، فما رعوها كذلك [٢] .

الثاني : أن المعنى: ما أمرناهم منها إلا بما يرضي الله ﷻ لا غير ذلك ، قاله ابن قتيبة [٣] .

فعلى الانقطاع يفيد الاستثناء تعليل ابتداعهم للرهبانية ، وعلى الاتصال يفيد تعليل فرضها عليهم .

ومثال خامس : قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ﴾ [الجن : ٢١ – ٢٣] .

اختلف أصحاب كتب المعاني والمفسرون في الاستثناء في هذه الآية من جهة المستثنى منه، ومن جهة نوعه من حيث الاتصال والانقطاع [٤] على قولين :

القول الأول : إن الاستثناء من قوله : ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ ، واختلف أصحاب هذا القول في اتصاله وانقطاعه على قولين أيضا :

أ - إنه منقطع ، والمعنى : لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ، لكن أبلغكم ما أرسلت به ، وهو قول الفراء [٥]، وعليه فليس التبليغ من النفع الذي يملكه ، ويكون المعنى حينئذ : لا أملك أن أقْصركُم على الغي والرشد ، لا أملك إلا تبليغكم ما أرسلت به إليكم ، وهذا المعنى في آيات كثيرة من القرآن الكريم .

ب - إنه متصل ، كأنه قيل : لا أملك شيئا إلا بلاغا ، أو يكون الاستثناء من قوله : (رَشَدًا) ، فإن الإبلاغ إرشاد ونفع ، والاستثناء من المعطوف دون المعطوف عليه جائز، أي : لا أملك لكم رشدا إلا الرشد الحاصل من تبليغ الرسالة لكم .

---

(١) انظر : زاد المسير ٨ : ١٧٦ ، ١٧٧ .
(٢) انظر : تفسير الثعالبي ٤: ٢٧٣ ، وروح المعاني ٢٧: ١٩١ .
(٣) انظر : زاد المسير ٨: ١٧٦ ، ١٧٧ .
(٤) انظر : تفسير القرطبي ١٩: ٢٦ ، وروح المعاني ٢٩: ٩٣ .
(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٣ : ١٩٥ .

قال الشوكاني : " والاستثناء في قوله : ﴿ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ هو من قوله : ﴿ لَآ أَمۡلِكُ ﴾ أي : لا أملك ضرا ولا رشدا إلا التبليغ من الله فإن فيه أعظم الرشد " (١) .

وهنا يتضح اختلاف المعنى على القول بالاتصال والانقطاع .

القول الثاني : أن الاستثناء من قوله : ﴿ لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴾، واختلفوا في نوعه أيضا على قولين :

أ – منقطع ، أي : لن يجيرني أحد ، لكن إن بلغت رحمني بذلك .

ب - متصل وهو قول الزجاج ، قال :" المعنى : ولن أجد من دونه منجى إلا بلاغا أي : لا ينجيني إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به " (٢) .

إلا أن المعنى لم يتغير كثيرا على كلا القولين .

أما الفرق في معنى الآية على الخلاف في المستثنى منه فواضح ، فعلى الأول : أن الرسول ﷺ لا يملك إلا التبليغ ، وعلى الثاني : أنه لا يحميه إلا التبليغ . (٣)

---

(١) فتح القدير ٥ : ٣١٠ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥ : ٢٣٧ .

(٣) لمزيد من الأمثلة ، انظر : معاني القرآن للفراء ٢ : ١٣٨ و ٢ : ١٥ في تفسير قوله: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[الكهف: ٢٣ - ٢٤] ، وتفسير قوله تعالى : ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾[هود: ٤٣] .

وزاد المسير ٦: ١٥٦ في تفسير قوله تعالى :﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ ﴾ [النمل: ١٠ - ١١] .

والمحرر الوجيز ١: ١٢٤ ، والبغوي ١: ٦٣ ، في تفسير قوله : ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٣٠، ٣١] .

الفـصل الثـالث

الأساليب المتعلقة بالصيغ وأثرها في التفسير

وفيه أربعة مباحث :

١ - إطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل والعكس .

٢ - وضع (أفْعل) التفضيل موضع اسم الفاعل .

٣ - مجيء صيغة (المُفاعلَة) المقتضية للاشتراك من طرفين لطرف واحد .

٤ - إتيان المصدر في موضع الاسم أو الصفة .

المبحث الأول

إطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل

أولا : لمحة عن الأسلوب [١] **:**

من الأساليب العربية المتعلقة بالصيغ : إقامة صيغة مقام أخرى[٢] ، و مـن ذلـك إطلاق كلٍ من صيغة اسم الفاعل واسم المفعول وإرادة الآخر [٣] ، وهذا الأسلوب متعلـق بأسلوب القلب السابق [٤] إذ هو من صوره .

قال الأخفش : " الفاعل قد يكون في لفظ المفعول ، كما تقول : إنك مـشؤوم علينا ، و ميمون ، وإنما هو شائم ، ويامن ؛ لأنه من شأمهم ، ويمنهم " [٥] .

وقال الشاعر [٦] :

دعِ المكارم لا ترحل لبغيتها : واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

معناه : المكسو ، كما قال الفراء ، أي أنها فاعل بمعنى مفعول [٧].

وقال الفراء :" والعرب تقول : هذا ليلٌ نائم ، وسر كاتم ، وماءٌ دافق ، فيجعلونـه فاعلاً وهو مفعولٌ في الأصل ، وذلك أنهم يريدون وجه المدح أو الذم ، فيقولـون ذلـك

---

(١) انظر : تأويل مشكل القرآن ص : ٢٩٦ - ٢٩٨ ، والصاحبي ص : ٣٦٦ ، وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي ص : ٥٧٤ ، ٥٧٥ .

(٢) انظر : الإتقان ٢ : ١٠٣ .

(٣) وهو ما يسمى في علم البيان في البلاغة : مجازا عقليا ، وقيل في تعريفه : إنه إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأول . انظر : الإيضاح في علوم البلاغة ص : ٩٨ .

(٤) راجع : المبحث السابع من الفصل الأول .

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢ : ٦١٣ .

(٦) وهو الحُطَيئة ، والبيت في ديوانه ص : ١٠٨ ، وهو من شواهد الفراء في معانيه ٢ : ١٦ . والبيت من أبيات يهجو فيها الزبرقان جاره بعد أن تحول عنه .

(٧) ويدل عليه شهادة عمر وحسان – رضي الله عنهما – في القصة بأنه هجاه وذمه ، وهذا لا يكون إلا إذا كان على معنى المكسو . انظر : طبقات فحول الشعراء ١ : ١١٦ . وقيل : (الكاسي) على النسبة، أي : ذو كساء ، فهو مكتسي .

لا على بناء الفعل ، ولو كان فعلا مصرحاً لم يقَل ذلك فيه ؛ لأنه لا يجوز أن تقول للضارب : مضروب ، ولا للمضروب : ضارب ؛ لأنه لا مدح فيه ولا ذم " [١] .

فبين الفراء هنا بعض الحكم من إطلاق صيغة الفاعل على المفعول والعكس، فقوله : يريدون المدح أو الذم ، أي : إن هذا الأسلوب قائم على المبالغة؛ حيث يسند الشيء إلى غير ما هو له ، فقولهم : ليلٌ نائم ، أسند (نائم) إلى ضمير الليل مبالغة في حصول النوم للنائم نفسه .

هذا ، ويعتبر هذا الأسلوب من إطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل والعكس - مع وروده في اللغة - خلاف الأصل، لاسيما إطلاق اسم الفاعل على اسم المفعول فإنه قليل [٢] بل إن بعض العلماء لا يرتضيه [٣] .

ثانيا : أثر إطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل

هنا أيضا يتبين أثر هذا الأسلوب في التفسير من عدة أوجه :

الوجه الأول : وهو أثر الأسلوب في سعة معنى الآية ومثاله ، قولـه تعـالى : " ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٥]

اختلف المفسرون في قول الله تعالى : ﴿ مَّسْتُورًا ﴾ في الآية على قولين :

الأول : إن كلمة ﴿ مَّسْتُورًا ﴾ في الآية بمعنى : ساتراً ، وأن مفعول هنا بمعنى فاعل ، وهذا من أساليب اللغة ، وهو قول الأخفش [٤] ، وذكر الزجاج أنه قول أهل اللغة [٥] ، ويكون معنى الآية على هذا القول : أن هذا الحجاب ساتر لقلوبهم عن الخير .

الثاني : إن ﴿ مَّسْتُورًا ﴾ اسم مفعول على الأصل ، ويكون المعنى : أن الحجـاب نفـسه مستور لا يرى .

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣ : ١٨٢ .
(٢) انظر : تأويل مشكل القرآن ص : ٢٩٨ .
(٣) انظر : الصاحبي ص : ٣٦٧ .
(٤) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢: ٦١٣ .
(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣ : ٢٤٢ .

قال الزجاج : " ويجوز أن يكون مستورا على غير معنى (ساتر) فيكون الحجاب : ما لا يرونه ولا يعلمونه من الطبع على قلوبهم " (١) .

وهذا القول أنسب حتى لا يكون في الآية تكرار؛ فإن الحجاب يدل على أنه ساتر فيكون قوله مستورا وصف زائد - والله أعلم - .

فهذان القولان جميعا يصلحان مع تفسير الحجاب بأنه الطبع على قلوب الكفار، فهذا الحجاب هو ساتر لقلوبهم عن وصول الخير إليها ، وهو في الوقت نفسه مستور عن الأعين لا يرونه ولا يعلمونه (٢).

فتبين كيف كان لهذا الأسلوب أثر في سعة معنى الحجاب حيث شمل لفظ ﴿ مَّسْتُورًا ﴾ هذين الوصفين والمعنيين والله تعالى أعلم .

ومثاله أيضا في **بيان** أثر الأسلوب في سعة معنى اللفظة القرآنية وشمولها أكثر من وصف فتكون أبلغ في التعبير قول الله تعالى : ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق : ٦] .

قال الفراء : " قوله : ﴿ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ فمعناه - والله أعلم - : مدفوق ... تستدلّ على ذلك أنك تقول : ... دفق الماء ، ولا تقول : دفَق " (٣) .

وهو قول الزجاج (٤) وقال :" ومذهب سيبويه وأصحابه أن معناه : النسب إلى الاندفاق ، المعنى : من ماء ذي اندفاق " (٥) .

وقول سيبويه - كما قال الألوسي - صادق على الفاعل والمفعول (٦) .

---

(١) والقول الثاني في معنى الحجاب هو الحائل الذي كان يستتر به النبي ﷺ عن أعين الكفار بإذن الله ﷻ عندما يقرأ القرآن ، كما في قصة أم جميل وغيرها . انظر : الدر المنثور ٥ : ٢٩٥ ، ٢٩٦ . وهذا ما رجحه القرطبي في تفسيره . انظر : تفسير القرطبي ١٠ : ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

(٢) هكذا نقل ابن الجوزي عن ابن الأنباري ، وقال ابن الأنباري : إذا قيل الحجاب هو الطبع على قلوبهم ، فهو مستور عن الأبصار ، فيكون ﴿ مَّسْتُورًا ﴾ باقياً على لفظه . انظر : زاد المسير ٥ : ٤١ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣ : ٢٥٥ .

(٤) وقول كثير من المفسرين . انظر : المحرر الوجيز ٥: ٤٦٥ ، وتفسير البغوي ٤: ٤٧٣ ، وتفسير القرطبي ٢٠ : ٤ وغيرهم .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥ : ٣١١ .

(٦) انظر : روح المعاني ٣٠ : ٩٧ .

وقد أشار ابن عطية إلى صحة حمل اللفظة على فاعل - وهو الأصل فيها - وعلى المفعول بحيث تحمل على المعنيين ، فقال شارحا ذلك : " والدفْق: دفق الماءِ بعضه إلى بعض ، [يقال] تدفق الوادي والسيل ، إذا جاء يركب بعضه بعضا، ويصح أن يكون الماء دافقا ؛ لأن بعضه يدفع بعضا ، فمنه دافق ومنه مدفوق " (١) .

وبه يتبين كيف كان هذا الأسلوب سببا في سعة المعنى، واحتمال هذه اللفظة المعنيين سويا، والله أعلم .

الوجه الثاني : أثره في تغير المعنى ، وتوجيه كلام السلف ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ﴾ [النازعات : ١٠]

قال الفراء : " وقوله ﷻ : ﴿ ٱلْحَافِرَةِ ﴾ يقال : إلى أمرنا الأول ؛ إلى الحياة ، والعرب تقول : أتيت فلاناً ثم رجعت على حافرتي ، أي : رجعت إلى حيث جئت " (٢) .

وهذا هو المروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره من السلف (٣) وهو قول الأكثر ، ومنهم أبو عبيدة والزجاج (٤) .

ثم ذكر الفراء الرأي الثاني في معنى (الحافرة) - وفيه الشاهد لأثر الأسلوب - فقال : " وقال بعضهم (٥) : الحافرة الأرض التي تحفر فيها قبورهم ، فسماها : الحافرة والمعنى : المحفورة " .

فيكون معنى الآية حينئذ كما قال ابن عطية : أئنا لمردودون أحياء في قبورنا ؟ (٦)

وهذان القولان قد يكون مؤداهما واحدا تقريبا وأنهم أنكروا البعث ، لكن الفرق كان في تفسير وتوجيه لفظ (الحافرة) ، ويحتمل أن يختلف المعنى على تفسير ابن عطية ، وأن قوله :

---

(١) المحرر الوجيز ٥ : ٤٦٥ .
(٢) معاني القرآن للفراء ٣ : ٢٣٢ .
(٣) انظر : الدر المنثور ٨ : ٤٠٥ ، وابن كثير ٤ : ٤٦٨ .
(٤) انظر : مجاز القرآن ٢ : ٢٨٤ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٥ : ٢٧٨ .
(٥) وهو المروي عن مجاهد . انظر: الدر المنثور ٨ : ٤٠٧ .
(٦) المحرر الوجيز ٥ : ٤٣٢ .

أئنا لمردودون أحياء في قبورنا يراد به إنكار حياة البرزخ ، وما يكون في القبر من الـسؤال وغيره ، فكان الأسلوب بهذا طريقاً لتغير معنى الآية والخلاف ، ولتوجيه كلام السلف .

الوجه الثالث : أثره في تغير المعنى وكيف ساعد على الخلاف ، ومثالـه قـول الله ﷻ :

﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴾ [مريم : ٦١].

فهم الفراء ، والنحاس [١] ، وكثير من المفسرين [٢] أن المقصود من الآية أن وعد الله آت لا محالة ، وأن (مَأۡتِيّٗا) صيغة مفعول بمعنى الفاعل (آتيا) ، وفسروا التعبير بـ (مأتيا) دون آتيا ؛ أن كلّ ما أتاك فأنت تأتيه ، كما تقول العرب : أتيت على خمسين سنة، وأتت علي خمسونَ سنة ، والمعنى واحد .

وبعضهم خرج قوله : ﴿ مَأۡتِيّٗا ﴾ على هذا الأسلوب ، وأنه من باب إطلاق المفعول على الفاعل كابن قتيبة [٣]، وضعفه النحاس [٤] .

والمؤدى على كلا التوجيهين واحد ، لذلك جعل ابن الجوزي هـذين التـوجيهين لقول واحد وهو : آتيا [٥] .

والقول الثاني في الآية : إن ﴿ مَأۡتِيّٗا ﴾ باق على الأصل ، فهو اسم مفعول من الإتيـان، أي: مبلوغاً إليه ، وهذا هو قول الطبري ، وقال : إن (وَعۡدُهُۥ) ههنا بمعنى : موعـوده [٦]، وهي : الجنة ، أي : يأتيه أولياؤه ، وأهل طاعته الذين يدخلُهموها الله [٧].

والفرق بين المعنيين واضح ، وكلا القولين له وجه ، والأول هـو المعـنى المتبـادر والظاهر من الآية ، وهو الذي جاءت بمعناه كثير من آيات الكتـاب ، وأن الله لا يخلـف

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ : ١٧٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤ : ٣٤٢ .
(٢) منهم ابن سعدي . انظر تفسير السعدي ١: ٤٩٧ .
(٣) انظر : تأويل مشكل القرآن ص : ٢٩٨ .
(٤) معاني القرآن للنحاس ٤: ٣٤٢ .
(٥) انظر : زاد المسير ٥: ٢٤٦ .
(٦) وهذا من باب إطلاق المصدر على الصفة ، وسيأتي الكلام عليه في المبحث التالي في هذا الفصل .
(٧) انظر : تفسير الطبري ١٦: ١٠١ ، وهذا هو قول ابن جريج كذلك ، والزمخشري ، والشنقيطي . انظر: تفسير ابن الجوزي ٥: ٢٤٦ ، والكشاف ٣: ٢٩ ، وأضواء البيان ٣: ٤٦٥ .

الميعاد ، والثاني معه أنه على الأصل ، وأن مفعول على بابه ، ولا يخرج عن الأصل إلا بدليل واضح .

الوجه الرابع : ويظهر فيه أثر الأسلوب في الإجابة عما قد يشكل في القرآن ، ومثاله قـول الله تعالى: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ﴾ [هود : ٤٣].

وفيه سؤال : وهو أن الذي رحمه الله معصوم ، فكيف يحسن استثناء المعصوم مـن العاصم ، وهو قوله: (لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ) ؟

ذكر أصحاب كتب المعاني توجيهين لهذا الإشكال :

الأول : وهو قول الفراء والزجاج أن الاستثناء منقطع هنا ، والمعنى : لا عاصم اليوم من أمر الله لكن من رحمه الله فهو معصوم [(١)] .

الثاني : وهو قول الأخفش [(٢)] - وهو الذي فيه الشاهد لمبحثنا - : أن (عاصم) هنا بمعنى معصوم، فيكون المعنى : لا معصوم إلا من رحمه الله، فيستقيم الاستثناء متصلا .

لكن الطبري لم يرتض هذين التوجيهين ، وقال : " لا وجه لهـذه الأقـوال الـتي حكيناها عن هؤلاء ؛ لأن كلام الله تعالى إنما يوجه إلى الأفصح الأشهر من كلام من نـزل بلسانه، ما وجد إلى ذلك سبيل ، ولم يضطرنا شيء إلى أن نجعل (عاصـما) في معـنى: معصوم ، ولا أن نجعل (إلا) بمعنى : لكن ، إذ كنا نجد لذلك في معناه - الذي هو معناه - في المشهور من كلام العرب مخرجا صحيحا ، وهو ما قلنا من أن معنى ذلك : قال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحمنا فأنجانا من عذابه ، كما يقال : لا منجي اليوم مـن عذاب الله إلا الله ، ولا مطعم اليوم من طعام زيد إلا زيد " [(٣)] .

وقال الرازي عن هذا القول : " وهذا تأويل في غاية الحسن " [(٤)] .

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ : ١٥ ، ١٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣ : ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢ : ٥٧٧ ، ٥٧٨ .

(٣) تفسير الطبري ١٢: ٤٦ . ورجحه النحاس في إعرابه . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٢: ٢٨٥ .

(٤) التفسير الكبير ١٧: ١٨٦ .

وهو كذلك ؛ لأنه لم يخرج عن الأصل في الاستثناء، ولم يخرج عن الأصل في معنى صـيغة فاعل [١]، لكنه جعل (من) كناية عن الله ﷻ .

ومن هذا المثال يتبين كيف كان لهذا الأسلوب دور في تخريج وتوجيه الإشكالات في القرآن الكريم .

---

(١) انظر : إعراب القرآن ٢: ٢٨٥ .

المبحث الثاني

وضع أفْعل التفضيل موضع اسم الفاعل

أولا : لمحة عن الأسلوب

هذا كالمبحث السابق فهو من الصيغ التي جعلها العرب تقوم مقام صـيغة أخـرى فصيغة (أفْعل) في الأصل للتفضيل؛ يؤتى بها للمفاضلة بين شـيئين أو جهـتين في صـفة مشتركة بينهما ، لكن قد تستعمل العرب هذه الصيغة في غير بابها ومعناها الحقيقي ، فتكون لمطلق الوصف مجردةً عن المفاضلة ، وتؤول صيغة أفعل التفضيل حينئذ باسـم الفاعـل، أو الصفة المشبهة .

قال أبو عبيدة مشيرا إلى هذا الأسلوب : " ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الـروم : ٢٧] مجاز، مجازه : وذلك هين عليه ؛ لأن (أفْعل) يوضع في موضع الفاعل ، قال [١] :

لعمرك ما أدري وإنـي **لأوجلُ** : علـى أينا تعـدو المَنِيـةُ أولُ

أي : وإني لواجلٌ ، أي : لوجلٌ ، وقال [٢] :

فتلك سبيلٌ لست فيها بأوحد

أي : بواحد ، وفي الأذان : الله أكبر ، أي : الله كبير ، وقال الشاعر [٣] :

أصبحت أمنحك الصدود وإنني : قسماً إليك مع الصدود **لأميـلُ**

وقال الفرزدق [٤] :

---

(١) هو معن بن أوس ، والبيت في الإيضاح في علوم البلاغة ١ :٣٧٠، المقتضب ٣ : ٢٤٦، وتهذيب اللغة ١١ : ١٣٠ وغيرها .

(٢) هو الإمام الشافعي . والبيت في ديوانه ص : ٨٠ . وصدر البيت : تمنى رجال أن أموت وإن أمت ... .

(٣) هو الأحوص بن محمد الأنصاري . والبيت في ديوانه ص : ١٦٦ . والشاهد قوله : (أميل)، ومراده : مائل فأخرج صيغة التفضيل مخرج اسم الفاعل .

(٤) هو همام بن غالب بن صعصة بن ناجية التميمي البصري ، وكنيته أبو فراس ، وإنما لقب بالفرزدق ؛ لأنه شبه وجهه بالخبزة ، وهي فرزدقة ، وهو شاعر عصره وأبوه وجده صحابيان ، توفي سنة ١١٠ هـ ، وقيل : سنة ١١٢ . انظر : طبقات فحول الشعراء ٢ : ٢٩٨ ، والشعر والشعراء ١: ٤٧١ - ٤٨٢ ، والوافي بالوفيات ٢٧: ٢٢٤ ، وسير أعلام النبلاء ٤ : ٥٩٠ . والبيت في ديوانه ٢ : ٢٥١ .

إنّ الذي سمك السماءَ بنى لنا : بيتاً دعائمه **أعز وأطولُ**

أي عزيزة طويلة " [١] .

وهذا كقول بعض الصحابيات لعمر ﷺ : أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ [٢]، لكن لا تحمل صيغة التفضيل على مطلق الوصف بل تبقى على أصلها ، إلا لدليل خـارج أو قرينة واضحة تدل على ذلك [٣] .

هذا وقد أشار العلماء للفائدة البلاغية من ذلك ، وأن تأويل صيغة (أفْعل) باسـم الفاعل يفيد قوة الوصف والمبالغة فيه [٤].

ثانيا : أثر وضع أفعل التفضيل موضع اسم الفاعل في التفسير

يتكرر عند صيغ التفضيل في عدة مواطن من القرآن الكريم إشكال، وهـو عـدم اشتراك الطرف الآخر وهو المفضل عليه مع المفضل في الصفة ، فكثيرا ما يلجـأ إلى هـذا الأسلوب للخروج من هذا الإشكال ، وأحيانا يكون ذلك تسرعا من المفسر في الخروج عن الأصل ويكون للآية وجه صحيح يمكن حملها عليه ، فيؤدي إلى تغير معنى الآية وحملها على معنى مرجوح ، وهذه نماذج لأثر الأسلوب في التفسير مع أمثلتها التفصيلية :

النموذج الأول : وفيه يتبين أثر هذا الأسلوب في تخريج كثير من الإشكالات في القـرآن الكريم، ومثاله قوله تعـالى : ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل : ٥٩].

---

(١) مجاز القرآن ٢ : ١٢١ ، ١٢٢ . وانظر كذلك : معاني القرآن للفراء ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤ : ٦٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : صفة إبليس وجنوده ، ٣ : ١١٩٩ برقم : (٣١٢٠) ومسلم في كتاب الفضائل ، باب : من فضائل عمر ﷺ ٤ : ١٨٦٣ ، برقم : (٢٣٩٦) .

(٣) انظر : أضواء البيان ٥ : ٤٤٨ .

(٤) قال ابن عطية : والعرب تجعل أفعل في موضع فاعل مبالغة ا.هـ . انظر : المحرر الوجيز ٥: ٤٩٢ ، وقال ابن عاشور : فاسم التفضيل مسلوب المفاضلة مقصود به قوة الوصف ا.هـ . انظر : التحرير والتنوير ٢٠ : ٢٦٠ .

يقال كيف يأمر الله نبيه ﷺ أن يقول للمشركين : آلله خير أما يشركون ؟! وليس في ما يشركون خير البتة ؟ فإن ﴿ خَيْرٌ ﴾ صيغة تفضيل ، وأصلها (أخير) ، لكن حذفت الهمزة .

أجاب عن هذا الإشكال - والذي يتكرر في صيغة التفضيل في مواضع عدة في القرآن الكريم كما سبق - أجاب عنه النحاس بجوابين :

الأول : على أن ﴿ خَيْرٌ ﴾ على بابه في التفضيل ، لكنه قدر محذوفا حتى يستقيم المعنى كما سيأتي في كلامه .

الثاني : إن ﴿ خَيْرٌ ﴾ ليس على بابه [(١)]، وإليك التفصيل من كلامه ، قال [(٢)] : " قال جل وعز : ﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وليس فيما يشركون خير، فالمعنى : أثواب الله خير أم ثواب ما يشركون "

فقدر كلمة (ثواب) ، فتكون المفاضلة في الثواب ، لكن يرد على هذا الجواب أن ما يشركون ليس عندهم ثواب البتة ، وإن كان قد أُجيب عنه بأن هذا على ما يعتقدون[(٣)]، لذلك استحسن النحاس الجواب الثاني، فقال : " وجواب آخر أجود من هذا يكون المعنى : آلخير في هذا ، أم في هذا الذي يشركون به في العبادة " .

فجرد أفعل التفضيل ﴿ خَيْرٌ ﴾ من المفاضلة . وبهذا يتبين كيف كان لهذا الأسلوب أثره في الإجابة عن إشكالات كثيرة قد ترد .

النموذج الثاني : وفيه أثر الأسلوب في ظهور أقوال ضعيفة في التفسير ، ومثاله : قول الله تعالى : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٥].

اختلف العلماء : في صيغة التفضيل في هذه الآية ، وهي قوله : ﴿ أَكْبَرُ ﴾ ؛ هل هي على بابها أم لا ، على قولين :

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ١٣ : ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٢) معاني النحاس ٥ : ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٣) انظر : تفسير السمعاني ٤ : ١٠٧ ، وتفسير القرطبي ١٣: ٢٢١ .

الأول : وهو أن التفضيل هنا ليس على بابه فـ ﴿أَكْبَرُ﴾ بمعنى : كبير، وقد جعلـه الزجاج من أوجه تفسير الآية ، بل وبدأ به وقدمه [١]، ولم أجد أحدا من المفسرين قال بهذا الرأي ، إلا ما كان من ابن عاشور في تفسيره [٢]، وأعرض عنه جل المفسرين .

والذي جعلهم يخرجون عن الأصل في هذا - والله أعلم - هو ما يشكل من معناها؛ فكيف يكون ذكر الله - تعالى - أكبر وأعظم من الصلاة ، مع أن الصلاة أفضل منه وهـي في نفسها مشتملة على الذكر ؟ لكن لا داعي لهذا الخروج؛ لأنه أمكن حمل الآية على معنى صحيح مع بقاء التفضيل على معناه، كما سنرى فيما يأتي من أقوال العلماء .

القول الثاني : إن ﴿أَكْبَرُ﴾ أفعل تفضيل على بابه ، واختلفوا في معنى الآية حينئذ : فذكر أصحاب كتب المعاني عدة أوجه ، ذكر الفراء وجهين منها [٣]، فقال :" ولذكر الله إياكم **بالثواب** خير من ذكركم إياه إذا انتهيتم " .

فتكون الإضافة في قوله : ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ﴾ إضافة إلى الفاعل ، **وهذا التفسير هو المروي عن السلف** [٤]، إلا أنهم لم يقدروا (بالثواب) [٥] .

ثم ذكر وجها آخر ، فقال :" ويكون : إن الصلاة تنهى عن الفحـشاء والمنكـر ولذكر الله أكبر وأحق أن ينهى " .

فاختلف وجه التفضيل على هذا التفسير ؛ فذكر الله أكبر من الصلاة ، لا في كـل شيء إنما في النهي عن الفحشاء والمنكر ، وذلك لإمكان تكرار الذكر أكثر مـن تكـرار الصلاة [٦] .

وذكر الزجاج وجها ثالثا [٧] : وأن المقصود بذكر الله هنا : هو النهي عن الفحشاء والمنكر نفْسه ؛ فيكون المعنى : إن النهي عن المنكر أعظم من الانتهاء عنه .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤ : ١٧٠ .
(٢) انظر : التحرير والتنوير ٢ : ٢٦٠ .
(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ : ٣١٧ ،
(٤) انظر : معاني القرآن للنحاس ٥ : ٢٢٩ .
(٥) انظر : تفسير الطبري ٢٠ : ١٥٨ .
(٦) انظر : التحرير والتنوير ٢٠ : ٢٦١ .
(٧) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٤: ١٧٠ .

والظاهر من معنى الآية - والله أعلم- أن ذكر الله تعالى خارج الصلاة أكبر من الصلاة، وهذا الذي عليه جمهور المفسرين[١]، ويشكل عليه -كما سبق- أن الصلاة أفضل، وهي في نفسها ذكر، وبه رجح قول ابن كثير في الآية[٢] وهو: أن ثم في الصلاة مقصوداً أعظم وأكبر من نهيها عن الفحشاء والمنكر، وهو ما اشتملت عليه من ذكر الله تعالى.وهذا قول قوي وحري أن يكون هو الراجح من الأقوال؛ إذ فيه بقاء على الأصل في معنى التفضيل.

فهذان أيضا وجهان آخران في الآية، فيصبح المجموع خمسة أوجه .

ومما سبق يتبين أن هذا الأسلوب كان سببا لظهور أقوال ضعيفة ، إذ أن بعض المفسرين قد يلجأ إليه مباشرة عند مواجهة أدنى إشكال يتوهمه .

ومثاله أيضا : في دفع ما يشكل من الآيات قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣٣].

هنا نواجه السؤال نفسه ، هل في مثل الكافرين حسن ؟ لذلك حمله الفراء على سلب معنى التفضيل ، وإفادة مطلق الوصف ؛ لأنه لا حسن فيه ، وجعله بمنزلة قوله تعالى: ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان : ٢٤] [٣]، على معنى : أن القرآن الكريم في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته ، لا أن ما يأتون به له حسن في الجملة وهذا أحسن منه [٤] ، وبهذا يتخلص من هذا الإشكال .

وذهب الزجاج والنحاس إلى تقدير محذوف في الآية هو: (من مثلهم)، ولم يتعرضوا لمعنى التفضيل في الآية، هل هو على بابه أم لا [٥]، لكن قيل: التفضيل على بابه؛ وأن ما يأتي به المشركون فيه حسن؛ لأن المشركين كانوا يستمدون من أهل الكتاب، وكان قد غلب على أهل الكتاب التحريف والتبديل، فكان ما يأتي به النبي ﷺ أحسن

---

(١) كما نقله السعدي في تفسيره . انظر : تفسير السعدي ١ : ٦٣٢ .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٣: ٤١٥ .
(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ : ٢٦٨ .
(٤) انظر : روح المعاني ١٩ : ١٦ .
(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣: ٦٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥: ٢٥ .

تفسيرا مما عندهم ؛ لأنهم كانوا يخلطون الحق بالباطل، والحق المحض أحسن من حق مختلط بباطل، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة : ٤٢] (١) .

وقيل: هو على بابه ، إلا أن حسنه هذا في زعمهم أو تهكماً بهم (٢).

النموذج الثالث : الخروج بالآية عن معناها الراجح ، كما أنه قد يستغله أصحاب البدع والأهواء لتقرير بدعتهم ، والاحتجاج لها بالقرآن الكريم ، قال ﷻ : ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ [الليل : ١٤ – ١٦].

يرد سؤال عند هذه الآية : بأنه قد علم أن كل شقيٍ يصلى النار ، وكل تقي يجنبها لا يختص الصلْي بأشقى الأشقياء ، ولا التجنب والنجاة بأتقى الأتقياء، كما تفيده صيغة التفضيل في قوله : (ٱلْأَشْقَى) و (ٱلْأَتْقَى) ؟ أو بعبارة أخرى : أن ظاهر اللفظ لا يدخل عصاة المسلمين في صلْي النار ، وكذلك في تجنبها ، وهذا مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة، موافق لما عليه أهل الإرجاء والاعتزال ؟

أجاب المفسرون - ومنهم أصحاب كتب المعاني- عن هذا الإشكال بعدة أجوبة : حيث أجروها على الأسلوب الذي نحن بصدده الآن ، وأن صيغة التفضيل ليست على بابها، بل هي بمعنى فاعل ، قال أبو عبيدة :" ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴾ والعرب تضع (أَفْعَلَ) في موضع (فاعل) " (٣) .

مراده أن المعنى : إلا الشقي ، وكذلك قال الفراء :" إلاّ من كان **شقيا** في علم الله " (٤) ، لكن لم يتم لهم ما أرادوا ؛ لأن قوله بعده : ﴿ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ هذا لا يكون إلا من الكافر، فلا ينحل الإشكال .

ومنهم - وهم الأكثر - من قال: الصيغة على بابها ، ثم اختلفوا في توجيه الآية بناء عليه ، على أقوال :

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ١٣: ٢٩ ، ٣٠ .
(٢) انظر : روح المعاني ١٩: ١٦ .
(٣) مجاز القرآن ٢: ٣٠١ .
(٤) معاني القرآن للفراء ٣ : ٢٧٢ .

الأول : ما ذكره الزجاج ، قال : " إن المذكورة نار موصوفة معينة لهؤلاء ، وهذا لا يعني أن غيرهم لا يعذبون " [(١)] يقصد بذلك عصاة المسلمين.

لكن أورد عليه قوله : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ ؛ لأن الأتقى يجنب تلك النار المخصوصة ، لا التقي منهم خاصة [(٢)] ، فمفهومها أن التقي لا يجنبها .

الثاني : أن المراد بالصلْي : الصلي المطلق ، وهو المكث فيها والخلود على وجه يصل العذاب إليهم دائما ، وهذا هو أرجح الأقوال ، وأقلها تكلفا ، وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية [(٣)] .

ومما سبق يتبين أن إجراء أفعل التفضيل على هذا الأسلوب ليس هو التوجيه الأمثل في كل حال .

النموذج الرابع : وهو أثره في تغير المعنى والخلاف بين المفسرين ، ومثاله قول الله تعالى : ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان : ٢٤].

اختار الفراء أن يكون التفضيل في قوله : (خَيْرٌ) (وَأَحْسَنُ) في الآية ليس على بابه ، بل هي مسلوبة الدلالة على التفضيل ، فليس في مستقر أهل النار شيء من الخير [(٤)].

وهو قول كثير من المفسرين [(٥)] والمقصود أنهم في أقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل .

لكن تمسك بعض المفسرين [(٦)] بالأصل، وأن صيغة التفضيل تقتضي مشاركة الجهتين في الوصف ، وخرجوا بمعنى مختلف عن المعنى الأول ، منهم الطبري ، بل وذهب إلى فساد القول الأول ، قال في تفسيره : " يقول - تعالى ذكره - أهل الجنة يوم القيامة خير مستقرا - وهو الموضع الذي يستقرون فيه من منازلهم في الجنة - من مستقر هؤلاء المشركين الذين يفتخرون

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٥ : ٣٣٦ .
(٢) انظر : الكشاف ٤: ٧٦٨ ، وتفسير النسفي ٤: ٣٤٤ .
(٣) انظر : كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ١٦: ١٩٧ ، وروح المعاني ٣٠: ١٥٠ ، ١٥١ ، وتفسير البيضاوي ٥ : ٤٩٩ .
(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧ .
(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٢: ٣٢ ، وفتح القدير ٤: ٧٠ ، وتفسير السعدي ١: ٥٨١ .
(٦) انظر : تفسير أبي السعود ٦: ٢١٢ ، وروح المعاني ١٩ : ٨ .

بأموالهم ، وما أوتوا من عرض هذه الدنيا في **الدنيا ، وأحسن منهم فيها** مقيلا ... قال أبو جعفر : وإنما قلنا معنى ذلك : خير مستقرا في الجنة منـهم في الـدنيا ؛ لأن الله - تعـالى ذكره - عم بقوله : ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ جميع أحوال أهل الجنة في الآخرة أنها خير في الاستقرار فيها والقائلة من جميع أحوال أهل النار ، ولم يخـص بذلك أنه خير من أحوالهم في النار دون الدنيا ، ولا في الـدنيا دون الآخـرة، فالواجـب أن يعم ، كما عم ربنا - جل ثنـاؤه – فيقال : أصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقرا في الجنة من أهل النار في الدنيا والآخرة وأحسن منهم مقيلا ، وإذا كان ذلك معناه صح فساد قول من توهم أن تفضيل أهل الجنة بقول الله : ﴿ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا ﴾ على غير الوجه المعروف من كلام الناس بينهم في قولهم : هذا خير من هذا وهذا أحسن من هذا " [1] .

فهنا كان سلب صيغة التفضيل معناها ، والتمسك بالأصل ، سبب لتغير معنى الآية والخلاف فيها .

---

(١) تفسير الطبري ١٩ : ٥ ، ٦ .

المبحث الثالث

مجيءُ صيغة (المُفاعلة) المقتضية للاشتراك من طرفين لطرف واحد

أولا : لمحة عن الأسلوب :

دلالة صيغة (المُفاعلة) في لغة العرب تقتضي الاشتراك بين اثنين أو فريقين فصاعدا ، هذا في الغالب [١] ، ولا تكون من واحد إلا قليلا في كلمات معدودة ، وقد قرر أصحاب كتب المعاني هذه القاعدة وطبقوها في عدد من الآيات في معانيهم .

قال أبو عبيدة : " وقلّما يوجد (فَاعلَ) إلاّ أن يكون العمل من اثنين ، وقد جاء هذا ونظيره ونِظْره : عافاك الله ، والمعنى : أعفاك الله ، وهو من الله وحده " [٢] .

وقال الأخفش : " وقد تكون (المُفاعلة) من واحد في أشياء كثيرة ، تقول : باعدته مباعدةً ، وجاوزته مجاوزةً ، في أشياء كثيرة " [٣].

ولم أجد لأصحاب كتب المعاني كلام حول الفائدة البلاغية من الإتيان بهذه الصيغة مع عدم إرادة الاشتراك ، لكن ذكر غيرهم أن اللفتة البلاغية في هذا هي المبالغة في الشيء سواء في الكيفية ، أو الكمية [٤] ، فقد يرد (تفَاعل) بمعنى : (فَعل) إذا تعدد فاعله [٥].

وأحيانا تكون **هذه الكلمات التي على صيغة المفاعلة وإن كانت صادرة عن أحد الجانبين، لكن لما كانت أسبابها صادرة عن الجانب الآخر جعلت كأنها صادرة عنهما** كما في المطالبة ، والمماطلة للغريم ، والمداواة للطبيب [٦] وما أشبه ذلك .

---

(١) انظر : روح المعاني ١: ٣٤٩ ، وتفسير الطبري ٤ : ٢٢٠ .
(٢) انظر : مجاز القرآن ١: ٢٥٦ ، ٢٥٧ .
(٣) انظر : معاني القرآن للأخفش ١ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ .
(٤) انظر : تفسير أبي السعود ١: ٤٠ .
(٥) انظر : روح المعاني ٤ : ١٨٣ .
(٦) انظر : روح المعاني ١٢ : ٢١٠ .

ثانيا : أثره في التفسير :

تقدم أن الأصل في صيغة المُفاعلة أن تدل على صدور الفعل من جهتين ، واستثني من ذلك بعض الكلمات ، وهذا الاستثناء من الأصل جعل للعلماء مخرجا كلما أشكل عليهم توجيه دلالة هذه الصيغة على الاشتراك - في نظرهم - فيتساهل في ذلك ، وقد يتكلف في حملها على الاشتراك ولو على وجه مستبعد .

كما كان لهذا الأسلوب - إضافة إلى الدلالة البلاغية - أثر مهم في تغير معنى الآية والخلاف ، والترجيح ، وغير ذلك ، وإليك تلك الآثار مع أمثلتها :

الأثر الأول : وهو أثر الأسلوب في تغير المعنى ، وإضافة معنى جديد ، وكيف كان له أثر في تأويل آيات الصفات، ومثاله قوله ﷻ في وصف المنافقين : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة : ٩] ، قال أبو عبيدة :" المعنى : يخدعون الله " [(١)] .

فجعل الفعل (يخادع) وهو على صيغة يفاعل من الأحرف التي لا تقتضي اشتراكا من طرفين ، بل هي من طرف واحد ، وهم : المنافقون ، وحمله على ذلك حتى لا ينسب الخداع إلى الله تعالى ، فاستخدم هذا الأسلوب لدفع هذا الإشكال الذي توهمه . وهذا هو توجيه الزجاج ، والنحاس [(٢)] .

أما الأخفش فقال : " أما قوله : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ولا تكون المفاعلة إلا من شيئين ، فإنه إنّما يقول : (يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ) عند أنفسهم ؛ يمنونها أن لا يعاقبوا، وقد علموا خلاف ذلك في أنفسهم ، ذلك لحجة الله الواقعة على خلقه بمعرفته " [(٣)] .

أي : أن هذه الصيغة تفيد أن خداعهم لله - تعالى - هذا في ظنهم ، والحقيقة أنهم لم يخدعوه ، ثم ذكر قول أبي عبيدة .

ولم يرتض الطبري قول أبي عبيدة ومن وافقه ، ورجح أن دلالة صيغة المفاعلة هنا باقية على الأصل ، ووجه التوجيه المناسب الذي يتفق مع عقيدة أهل السنة من إثبات صفة

---

(١) مجاز القرآن ١: ٣١ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ١ : ٨٥ ، ومعاني القرآن للنحاس ١ : ٨٩ .

(٣) انظر : معاني القرآن للأخفش ١ : ١٩٢ ، ١٩٣ .

المخادعة لله - تعالى - لأعدائه على الوجه اللائق به سبحانه ، فقال : " قـد قـال بعـض المنسوبين إلى العلم بلغات العرب: إن ذلك حرف جاء بهذه الصورة ، أعني : يخادع بصورة (يفاعل) وهو بمعنى : (يفْعل) في حروف أمثالها شاذة من منطق العرب ، نظير قـولهم : قاتلك الله، بمعنى : قتلك الله ، وليس القول في ذلك عندي كالذي قال ، بل ذلـك مـن التفَاعل الذي لا يكون إلا من اثنين ، كسائر ما يعرف من معنى (يفَاعل) و(مفَاعل) في كل كلام العرب ، وذلك أن المنافق يخادع الله - جل ثناؤه - بكذبه بلسانه - على ما قد تقدم وصفه - والله - تبارك اسمه - خادعه ؛ بخذلانه عن حسن البصيرة بما فيه نجاة نفسه في آجـل معاده" [(١)] ، ثم نقل قول الأخفش ولم يعلق عليه .

وبهذا يتبين كيف كان لهذا الأسلوب أثره الواضح في تغير المعنى وإضافة معنى جديد وكيف كان له أثر في تأويل آيات الصفات .

الأثر الثاني : وهو أثر الأسلوب في الخلاف ، وظهور الأقوال الضعيفة ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٢١] .

الشاهد هنا فيه قوله : (وَقَاسَمَهُمَآ) فهو على (فَاعل) التي تفيد الاشـتراك مـن الطرفين ، وهما في الآية آدم عليه السلام وزوجه من جهة ، وإبليس من جهة ، فهل كان حلف من الطرفين بدلالة صيغة فاعل ؟ أو هو من الكلمات المستثناة ، والتي خرجت عـن القاعـدة فيكون الحلف من إبليس وحده ؟ على قولين ذكرهمـا النحـاس [(٢)] ، قـال في تفـسير (وَقَاسَمَهُمَآ) :" أقسم لهما ، مثل : طارقْت النعلَ " .

أي : أن (قاسم) لا تفيد الاشتراك ، وهذا هو قول الزجاج [(٣)]، والتعـبير بهـذه الصيغة لفائدة بلاغية هي - كما ذكر غير واحد - : بيان أن إبليس اجتهد في الإقسام لهما [(٤)] .

ثم ذكر النحاس القول الآخر بصيغة التضعيف، فقال : " وقيل : حلفا أنْ لا يقـبلا منه إلا أن يحلف ، فحلف لهما " .

---

(١) تفسير الطبري ١: ١١٩ .
(٢) معاني القرآن للنحاس ٣ : ٢١ .
(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢ : ٣٢٦ ، ٣٢٧ .
(٤) انظر : الكشاف ٢ : ٩١ .

لأنهما ظنا أنه لا يحلف أحد بالله كاذبا ، وهذا القول هو ظاهر كلام أبي عبيدة ؛ لأنه قال : " حالفهما " ، ولم يقل: حلف لهما [(١)] .

فكان هذا الأسلوب سبب لظهور مثل هذا القول، والذي لم أجد له قائلا من السلف، والله أعلم .

الأثر الثالث: وفيه أثره في توجيه القراءات ، ومثاله قوله تعالى: ﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٠] .

قوله تعالى :﴿ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ﴾ فيه قراءة أخرى (يساءلون) [(٢)]، وهذه القراءة تشكل على القول بأن معنى الآية :يود المنافقون إذا أتى الأحزاب مثل هذه المرة لقتال المسلمين يودون لو أنهم مع الأعراب في البادية يسألونهم عن أنباءكم وماذا حصل عليكم ؟ لأن دلالة صيغة المفاعلة تفيد أنهم يسأل بعضهم بعضا!

قال الفراء :" قوله : ﴿ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ﴾ عن أنباء العسكر الذي فيه رسول الله ﷺ ، وقرأها الحسن : **(يساءلون)** ، والعوام على (يسألونَ) ؛ لأنهم إنما يسألون غيرهم عن الأخبار، وليس يسأل بعضهم بعضاً " .

وبعضهم ثبت على دلالة الصيغة على الاشتراك وما تقتضيه من معنى، قال ابن عطية :"(يساءلون)، أي:يسأل بعضهم بعضا" [(٣)] .

وبين أبو السعود[(٤)] معنى سؤال بعضهم بعضا، فقال :" ومعناه : يقول بعضهم لبعض: ماذا سمعت ؟ ماذا بلغك ؟ " ثم بين جواز أن يكون المعنى على هذه القراءة أيضا أنهم يسألون

---

(١) انظر : مجاز القرآن ١ : ٢١٢ .

(٢) هذه قراءة رويس ، ورويت عن زيد بن علي ، وقتادة ، وقرأ بها الجحدري . انظر : تحبير التيسير في القراءات العشر ١: ٥١١ ، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ١ : ٤٥٣ .

(٣) المحرر الوجيز ٤ : ٣٧٧ .

(٤) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي أبو السعود من موالي الروم ، فقيه أصولي مفسر ، عالم باللغات العربية والفارسية والتركية ، ولد سنة ٨٩٨ هـ بالقرب من مدينة القسطنطينية ، والتي ولي قضاءها فيما بعد وتوفي بها ، ودفن بجوار أبي أيوب الأنصاري على ما قيل: سنة ٩٨٢ هـ ، له : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، وتحفة الطلاب في المناظرة . انظر : معجم المؤلفين ١١ : ٣٠١ ، ٣٠٢ .

غيرهم من الأعراب ووجه ذلك،فقال: " أو **يتساءلون الأعراب** ،كما يقال: رأيت الهلال، وتراءيناه ، فإن صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما أُسندت إليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ، **ويكتفى بتعدد الفاعل** ،كما في المثال المذكور ونظائره " (١) .

وهذا ما ذكر في اللمحة عن الأسلوب وأن صيغة المفاعلة قد تكون من جانب واحد ، وتفيد حينئذ المبالغة في الكمية وتعدد الفاعل .

ففي هذا المثال يتبين كيف كان لهذا الأسلوب أثر في ترجيح القراءات وتوجيهها (٢) .

---

(١) تفسير أبي السعود ٧: ٩٧ .

(٢) انظر : أمثلة أخرى في غير كتب المعاني : تفسير الطبري ٤ : ٢٢٠ تفسير قوله ﷻ : ﴿ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] . وروح المعاني ١: ٣٤٩ تفسير قوله ﷻ : ﴿ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ [البقرة: ١٠٤]، وأضواء البيان ٤: ٢٤١ نفسير قوله ﷻ : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ، والمحرر الوجيز ١: ١٣٨ تفسير قوله ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة: ٤٦] .والكشاف ٣ : ١٢١ تفسير قوله ﷻ :﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ﴾[الأنبياء: ٤٧] في توجيه قراءة : (آتينا بها). وتفسير القرطبي ٥: ٢٢٥ قوله ﷻ : ﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [النساء: ٤٣] . والمحرر الوجيز ١: ١٧٥ تفسير قوله ﷻ : ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ ﴾ [البقرة: ٨٥]، و ٣: ٤٧ تفسير قوله ﷻ : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة: ٥٨] في توجيه قراءة : (يلامزك) . وفتح القدير ١: ٢٦٦ تفسير قوله ﷻ : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥١] على قراءة نافع (دفاع) .

المبحث الرابع

إتيان المصدر في موضع الاسم أو الصفة

أولا : لمحة عن الأسلوب

تطلق العرب المصدر [١] وتريد به الصفة ؛ من اسم الفاعل والمفعول ، كقولهم : ليلةٌ غمُ ، أي : غامة ، ومثله في التنزيل قوله تعالى : ﴿ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ [يوسف : ١٨] ، أي : مكذوب .

قال أبو عبيدة :" ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا ﴾ [الكهف: ٤١] أي : غائراً ، والعرب قد تصف الفاعل بمصدره ، وكذلك الاثنين والجميع على لفظ المصدر ، قال عمرو بن كُلْثُوم [٢] :

تظل جِياده **نوحاً** عليه : مقلدةً أعنتها صفُونا

أي : نائحات " [٣] .

وعكس ذلك وهو إطلاق الصفة على المصدر كذلك ، فقد تطلق الصفة على المصدر ، إلا أن فيه خلافا ، والأول أشهر وأعرف في كلام العرب ، ثم يليه إطلاق المفعول على المصدر ، ثم الفاعل على المصدر [٤] ، ولم أجد اسم الفاعل يطلق على المصدر إلا في مواضع قليلة [٥] .

---

(١) وهو التصريف الثالث للفعل ، كقولك : ضرب يضرب ضربا .

(٢) هو عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي ، جاهلي قديم وصاحب إحدى المعلقات السبع المشهورة ، وهو قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة في قصة مشهورة . انظر : طبقات فحول الشعراء ١: ١٥١ ، والشعر والشعراء ١ : ٢٣٤- ٢٣٦ . والبيت في ديوانه ص : ٧٢ .

(٣) مجاز القرآن ١: ٤١٥ ، ٤١٦ . وذكر عدة شواهد من الشعر .

(٤) انظر : همع الهوامع ٣ : ٣٢٥ .

(٥) انظر : تفسير قوله ﷻ : ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٨]، بمعنى : بقاء ، في معاني القرآن للفراء : ٣ : ١٨٠ ، وإعراب القرآن ٥ : ٢٠ ، وقال النحاس : إن سيبويه يأبى ذلك . انظر : معاني النحاس ١ : ١٠٨ .

ومن الأمثلة على إطلاق اسم المفعول على المصدر ما ذكره الفراء قال:" والعـرب تقـول للكـذب: مكذوب، وللضعف: مضعوف، وليس له عقْد رأيٍ، ومعقود رأيٍ؛ فيجعلون المصدر في كثير من الكلام مفعولاً، ويقولون: هذا أمر ليس له معنِي، يريدون: معنى، ويقولون للجلْد : مجلود ؛ قال الشاعر[١] :

إن أخا **المجلودِ** من صبرا

وقال الآخر [٢] :

حتى إذا لم يتركوا لعظامه : لحْماً ولا لـفؤاده معقولا

وقال أبو ثَروان [٣] : إنّ بني نمير ليس لحدهم [لعلها : لحديثهم] مكذوبة " [٤] أي : كذبا .

ثانيا : أثره في التفسير

لإطلاق المصدر على الصفة والعكس فوائد بلاغية كالدلالة على المبالغة ، كما أن له أثره في تغير المعنى والخلاف ، كما هو الحال في كل لفظ أو كلام احتمل معنيين أو أكثـر، وهذه بعض الأوجه من أثره في التفسير موضحة بالأمثلة :

الوجه الأول : ويظهر فيه أثره في تعدد المعاني، ومثاله في قوله تعالى:﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴾[الـشعراء :٢٢١ – ٢٢٣]، قال الفراء : " كانت الشياطين قبل أن ترجم تأتي الكهنة ، مثـلَ : مـسيلمة الكـذّاب، وطُلَيحة، وسجاحِ [٥]، فـيلقون إليهم بعض مـا يسمـعونَ ، ويـكذبونَ ، فـ ـذلك

---

(١) لم أجد قائله ، والبيت في لسان العرب ٣: ١٢٦ مادة (جلد) ، وتاج العروس ٧ : ٥٠٩ مادة (جلد) .

(٢) هو الراعي النميري ، والبيت في ديوانه (طبعة المجمع العلمي العربي) ص : ١٣٧ . والشاهد قوله: (معقولا)، بمعنى : عقْلا ، فجعل المصدر على زنة اسم المفعول .

(٣) هو علي بن إبراهيم العكلي أبو ثروان ، أحد بني عكل ، وعكل اسم امرأة ، وكان أبو ثروان ثطّا، أي : ثقيل البطن بطيء، فسمي بضد صفته ، وكان أعرابيا بدويا تعلم في البادية ، وكان فصيحا ، له من الكتب : معاني الشعر ، وخلق الفرس . انظر : معجم الأدباء ٢ : ٣٦٨ ، والوافي بالوفيات ١١: ٧ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٢ : ٣٨ .

(٥) هؤلاء الثلاثة من ادعى النبوة: فمسيلمة هو بن ثمامة وقيل: ابن حبيب الحنفي الكذاب، ادعى النبوة على عهد رسول الله ﷺ ، وقتل في حروب الردة في وقعة اليمامة في خلافة الصديق ﷺ على يد وحشي .
وأما طُليحة فهو بن خويلد من بني أسد ادعى النبوة على عهد رسول الله ﷺ فأرسل إليه خالدا،فانهزم بعد القتال إلى الشام، ثم أسلم وحسن إسلامه في خلافة أبي بكر ﷺ وقاتل مع المسلمين حتى قتل في نهاوند .
وسجاح اسم امرأة وهي بنت الحارث التميمية من نصارى العرب ادعت النبوة في زمن الردة وزوجت نفسها=

﴿ يُلْقُونَ ﴾ إلى كهنتهم ﴿ ٱلسَّمْعَ ﴾ **الذي سمعوا** ، ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ " [١] .

فجعل السمع في الآية - وهو مصدر- بمعنى اسم المفعول : المسموع ، وهذا القول هو المنقول عن السلف [٢] ، لكن قد تدل الآية على معنى آخر وأن المراد من قوله : ﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ ﴾ أي : ينصتون ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ ﴾ [ق : ٣٧] .

لذلك قال الشوكاني : " ويجوز أن يكون المعنى : أن الشياطين يلقون السمع ، أي: ينصتون إلى الملأ الأعلى ليسترقوا منهم شيئا ، **ويكون المراد بالسمع على الوجه الأول** [الذي ذكره الفراء] **: المسموع** ، وعلى الوجه الثاني : نفس حاسة السمع ، ويجوز أن تكون جملة ﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ ﴾ راجعة إلى ﴿ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ ... ومعنى الإلقاء : أنهم يسمعون ما تلقيه إليهم الشياطين ...، أو أكثرهم كاذبون فيما يلقونه من السمع- أي : المسموع- من الشياطين إلى الناس ... " [٣].

فكان احتمال أن يكون قوله تعالى : ﴿ ٱلسَّمْعَ ﴾ - وهو مصدر- اسم مفعول مساعدا على تعدد معاني الآية ، فبدل أن كانت تحتمل معنيين صارت تحتمل أربعة معاني .

الوجه الثاني : وفيه أثره في الفرق في المعنى والخلاف بين المفسرين ، ومثاله قول الله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٩] .

= من مسيلمة الكذاب، ثم بعد قتله عادت إلى الإسلام فأسلمت، وعاشت إلى خلافة معاوية . انظر : البداية والنهاية ٥ : ٥٠ . انظر : المنتظم لابن الجوزي ٤ : ٢٤ . الإصابة ٧ : ٧٢٣ .

(١) معاني القرآن للفراء ٢ : ٢٨٥ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٩: ١٢٦ .

(٣) تفسير الشوكاني ٤ : ١٢٠

قال الفراء :" قوله : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ ولم يقل : سقاة الحاج ، وعامري ...كمن آمن ، فهذا مثل قوله : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٧٧] يكون المصدر يكفي من الأسماء ، والأسماءُ من المصدر " (١) .

فجعل المصدرين (سِقَايَةَ) ، (وَعِمَارَةَ) في موضع اسم الفاعل ؛ سقاة ، وعامرين : جمع ساقي ، وعامر .

وخرجها النحاس على الحذف ، فقال : " المعنى : أجعلتم أهل سقاية الحاج ، كما قال : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] " وكذا قال الزجاج (٢).

والمعنى على القولين واحد ، وعليه يكون معنى الآية نفي التساوي بين الفاعلين ، واختار غيرهم أن يكون نفي التساوي في الآية بين الفعلين .

قال السعدي : " نفي التساوي في كتاب الله قد يأتي بين الفعلين (٣) كقوله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ " (٤) .

لكن عليه يقدر المحذوف في قوله : ﴿ كَمَنْ ءَامَنَ ﴾ كلمة (كإيمان) من آمن .

قال البغوي: " و(سقاية) مصدر كالرعاية، والحماية، قوله :﴿ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ فيه اختصار، تقديره : أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله ، وجهاد من جاهد في سبيل الله ... " (٥) .

---

(١) معاني القرآن للفراء ١: ٤٢٧ .

(٢) معاني القرآن للنحاس ٣: ١٩٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢: ٤٣٨ .

(٣) وقد يأتي بين الفاعلين كقوله ﷻ : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾[النساء: ٩٥] ، وقد يأتي بين الجزاءين كقوله ﷻ : ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [الحشر: ٢٠] ، وقد جمع الله بين الثلاثة في آية واحدة وهي قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ١٩ - ٢٢]. انظر : تفسير السعدي ١: ٣٤.

(٤) انظر : المرجع السابق .

(٥) تفسير البغوي ٢ : ٢٧٥ .

وهنا يتبين الفرق في معنى الآية فعند حمل المصدر على اسم الفاعل يكون نفي التساوي بين الفاعلين ، وعند إبقاءه على حاله يكون التفضيل بين الفعلين .

ومثاله أيضا في بيان أثر الأسلوب في الخلاف قوله تعالى : ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾ [القلم: ٥ – ٦].

أشكلت (الباء) في قوله : (بِأَيِّيكُمُ) على العلماء فكان لهم عدة تخريجات ، ومنها ما قاله الفراء وتبعه الزجاج : " المفتون ها هنا بمعنى : الجنون : هو في مذهب الفتون ، كما قالوا : ليس له معقول رأي ، وإن شئت جعلته بأيكم : في أيكم أي : في أي الفريقين المجنون ، فهو حينئذ اسم ليس بمصدر" (١).

فذكر احتمالين :

الأول : أن المفتون اسم مفعول بمعنى المصدر الفتنة أو الفتون ، وهو قول النحاس (٢) .

الثاني : أنه على الأصل ، لكن احتاج أن يقدر كلمة (فريقين) ، أي : بأي الفريقين المفتون .

أما أبو عبيدة والأخفش فيريان أن الباء زائدة، والمعنى: فستبصر ويبصرون أيكم المفتون! (٣).

فهنا كان لهذا الأسلوب الأثر في الخلاف ، وفي توجيه معنى حرف الجر الباء والتخلص من الإشكال الحاصل فيه .

الوجه الثالث : في بيان أثره في بلاغة القرآن الكريم واتضاح المعنى ، ومثاله قال تعال في قصة يوسف ﷺ مع إخوته : ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٨].

قال الفراء: " معناه : مكذوب " (٤)، فمعنى المصدر هنا اسم المفعول .

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣ : ١٧٣ ، وانظر : معاني القرآن وإعرابه ٥ : ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٢) معاني القرآن للنحاس ١: ١٠٧ ، وانظر : الجلالين : ١: ٧٥٨ .

(٣) انظر : مجاز القرآن ٢ : ٢٦٤ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢ : ٧١٢ . ورد هذا القول الزجاج . انظر : معاني القرآن وإعرابه ٥ : ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٤) معاني للفراء ٢ : ٣٨ ، وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣: ٩٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣: ٤٠٤ .

وقد نبه الزمخشري على النكتة البلاغية من التعبير هنا بالمصدر عوضا عن اسم المفعول ، فقال : " ﴿ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ : ذي كذب ، أو وصف بالمصدر **مبالغة، كأنه نفس الكذب وعينه** ، كما يقال للكذاب : هو الكذب بعينه ، والزور بذاته " (١) .

ومثاله أيضا في **اتضاح المعنى :** قوله ﷻ : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْئَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه : ١٣٢].

في قوله تعالى : ﴿ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ فسرها الأخفش بقوله : " لِأهل التقوى " (٢) .
وقال بعض المفسرين : المصدر (التقوى) هنا بمعنى اسم المفعول ، أي : للمتقين (٣) .

---

(١) الكشاف ٢ : ٤٢٥ .
(٢) معاني القرآن للأخفش ٢ : ٦٣١ . وانظر : التفسير الكبير ٢٢ : ١١٨ .
(٣) انظر : تفسير البغوي ٢ : ٢٧٦ .

لمزيد من الأمثلة انظر: مجاز القرآن ١ : ٤١٥ ، ٤١٦ في تفسير قوله تعالى: ﴿ دَكًّا ﴾ [الفجر: ٢١] بمعنى: مدكوكة .

وفي غير كتب المعاني انظر : الكشاف ٢ : ٥٥٧ في تفسير قوله ﷻ : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ [النحل: ٩] بمعنى : السبيل القاصد ، وانظر : تفسير ابن كثير ٣ : ٣٧١ قوله ﷻ : ﴿ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ [النمل: ٦١] بمعنى: قارة ، وهذا خلاف قول أكثر المفسرين ، والألوسي ضعفه . انظر : روح المعاني ٥: ٢٠ .
والتبيان في إعراب القرآن للعكبري ١: ١٧٨ في تفسير قوله ﷻ :﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣] بمعنى: محروث .

الخـــاتمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

خـاتـمـة البـحـث

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول؛ أما المقدمة فذكرت فيها أهميةَ البحث وأسباب اختياره، وأهدافَه، وبعض الدراسات السابقة المتعلقة بالبحث، كما بينت فيها الفرق بينها وبينه، والإضافة التي سيقدمها، ثم بينت منهجي في البحث وحدوده، وأخيرا ذكرت فيها خطة هذا البحث .

وأما التمهيد فقد شرحت فيه عنوان الرسالة، وعرفْت فيه بكتب المعاني الخمسة ومصنفيها على وجه الاختصار .

ثم شرعت في الفصل الأول من هذا البحث ؛ (أساليب الخطاب) وضمنته ستة عشر مبحثا في أساليب عربية تتعلق بوجوه الخطاب وفنونه، حاولت ترتيبها ترتيبا متناسبا، بدأت كل مبحث منها بلمحة تعريفية بالأسلوب، ثم ذكرت صورا ونماذج من أثره في التفسير، مع أمثلتها، وقد اجتهدت بانتقائها من كتب المعاني، وحرصت - قدر الإمكان - على البعد عن الأمثلة المشهورة والمتكررة عند ذوي الاختصاص .

ثم انتقلت إلى الفصل الثاني (أساليب المعاني) وهو ما كان له علاقة بمعاني الألفاظ،وما أشبه ذلك، وقد اشتمل على خمسة مباحث .

ثم الفصل الثالث والأخير (أساليب الصيغ) ، وكان تحت هذا الفصل أربعة مباحث تتعلق بوضع صيغة موضع صيغة أخرى وغير ذلك.

وقد برز لي من خلال هذا البحث عدة نتائج، من أهمها :

١ ـ أهمية الأساليب العربية، ومكانتها في التفسير، وأثرها الواسع فيه من حيث :

- فهم المعنى وتجليه .
- توجيه القراءات القرآنية المختلفة .
- إزالة كثير من الإشكالات .
- كما كان لها الأثر الواضح في تغير معاني الآيات، وما ينبني عليه من الخلاف بين المفسرين والترجيح بين أقوالهم .

- استنباط الأحكام الفقهية .

- كما تبين أثرها في الشذوذ في التفسير، ونشأة أقوال ضعيفة، وكيف كان أداة للانحراف فيه بما يخالف العقيدة الصحيحة .

- كما كان له فائدة في معرفة وجه كلام السلف في التفسير وتخريج أقوالهم .

- أنها تعطي قارئ القرآن ملكة في ما يمكن أن تحتمله الآية من معان، أو ما وقع فيها من خلاف .

- كما يتضح أثرها في ظهور بلاغة القرآن الكريم، وإعجازه، ويظهر هذا جليا في أمثال: أسلوب تعدد معاني الحروف، وأسلوب الالتفات، والحذف وغيرها .

٢ - من خلال استقراءي للأمثلة في كتب المعاني تبين أن أكثر الأساليب ورودا واستعمالا في القرآن الكريم، وهو أكثرها أثرا - في رأيي - هو أسلوب الحذف، ثم أسلوب المشترك اللفظي – وهو يتعلق بعلم معاني المفردات، وهو - أعني معاني المفردات ودلالتها مع أساليب اللغة - من أعظم ما يعين على فهم كتاب الله ﷻ – ثم يأتي أسلوب تعدد معاني الحروف والأدوات، وإطلاق المفرد والمثنى والجمع كل منها على الآخر، ثم المقدم والمؤخر، ثم المذكر والمؤنث – وهو من الأساليب التي تحتاج إلى بحث في أسراره البلاغية وحكمه – ثم بقية الأساليب .

٣ - أهمية اصطحاب الأصل والتمسك به في تفسير القرآن الكريم، فيما يتعلق بهذه الأساليب وغيرها قبل الحكم بأن آية ما جارية على ما مضى من الأساليب العربية مما هو خارج عن الأصل، وإلا لم يفهم الخطاب ولضاع المعنى، فلم يؤد الكلام غرضه من البيان وتحديد المراد، ولكان فيه لبس، وقد مر في البحث عدة أصول : فالأصل عدم الحذف وأن الكلام تام وغير محتاج إلى تقدير، والأصل عدم الاشتراك في الكلام، والأصل بقاء الكلام على ترتيبه وعدم التقديم والتأخير، والأصل في الاستثناء الاتصال لا الانفصال، والأصل عود الضمير على مذكور، والأصل في الحروف عدم الزيادة، والأصل عدم حذف حروف المعاني، والأصل في الكلام الحقيقة لا الكناية، والأصل أن اسم الفاعل يدل على الفاعل، واسم المفعول على المفعول، ودلالة صيغة (المُفَاعَلَة) على وقوع الفعل من جهتين، والأصل أن يدل اللفظ على ما وضع له فيطابق المعنى اللفظ، فالمفرد يدل على معنى مفرد، وكذلك المثنى والجمع .

٤ - ينبغي العناية بالبحث عن حكمة الخروج عن الأصل إذا ثبت ودل على ذلك دليل، فإن وراء ذلك حكما وفوائد بلاغية .

٥ - أن أهم أسباب الخلاف احتمال اللفظ أو الكلام معنيين فأكثر، كما كان له أثره في إثراء التفاسير، وفي استعماله في تحريف المعاني لخدمة بعض الأفكار العقائدية .

٦ – اعتدال أصحاب كتب المعاني في منهجهم في إثبات الحذف والتقدير في كتاب الله ﷻ .

٧ - اهتمام الفراء في معانيه بالأساليب النحوية كثيرا، فبينها واستشهد لها بأمثلة توضحها، وقد كان للأساليب العربية المتعلقة بالمعاني نصيب من هذا البيان والاهتمام، فأولاه عنايته وبين منه جملة كبيرة، بل قد يكون أكثرهم تعرضا لها، وأحسنهم شرحا وبيانا، هذا وإن كانت المباحث النحوية أكثر في كتابه .

٨ - اهتمام الفراء بأسلوب قصر لفظ الخبر لأشياء متعاطفة على بعض دون بعض، كما تميز الزجاج في معانيه بأسلوب الأمر المراد به الوعيد التهديد .

٩ - أن الفراء وأبا عبيدة ممن يثبت أسلوب القلب كأسلوب عربي، وأن القرآن الكريم جرى على هذا الأسلوب في بعض آياته، وأما الأخفش والزجاج فلم أجد في كلامهما ما يشير إلى اهتمامهما بهذا الأسلوب من خلال الدراسة القرآنية، وأما النحاس فقد صرح بعدم جواز حمل القرآن الكريم عليه .

١٠ - اتفاق أصحاب كتب المعاني في الجملة بالقول بزيادة الحروف، ووقوعه في القرآن الكريم .

١١- أن أسلم أصحاب كتب المعاني الخمسة في باب العقيدة هو النحاس، وفي رأيي أن كتابه (معاني القرآن) من أنفع كتب المعاني الخمسة وأحسنها تأليفا وأقربها مطابقة لموضوع معاني القرآن وروح التفسير .

هذا ، وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصا لوجه الكريم ، وأن يغفر لي ما فيه من خطأ ، وأن يبارك فيه ، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين .

الملخص

بسم الله الرحمن الرحيم

ملحق (ملخص الرسالة)

عنوان الرسالة:

[**الأساليب العربية** في **القرآن من خلال كتب معاني القرآن وأثرها** في **التفسير**]

المرحلة : ماجستير .

الباحث : إياد بن موسى بن محمود إسماعيل .

المشرف : الدكتور / حسين بن عبد الحميد البر .

- **خطة البحث** :

تشتمل الخطة على مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول ، وخاتمة ، والفهارس ،كما يلي :

المقدمة : وتشتمل على أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، وأهداف البحث، والدراسات السابقة وخطة البحث ومنهجه وحدوده .

التمهيد : ويشتمل على شرح العنوان و نبذة عن كتب المعاني الخمسة ومؤلفيها .

الفصل الأول : أساليب الخطاب وأثرها في **التفسير،** وتحته ستة عشر مبحثا **:**

المبحث الأول : أسلوب الحذف .

المبحث الثاني : أسلوب إطلاق المفرد والمثنى والجمع كل واحد منها على الآخر .

المبحث الثالث : الكناية .

المبحث الرابع : أسلوب إجراء غير العاقل مجرى العاقل .

المبحث الخامس : التعبير عن المذكر بلفظ المؤنث والعكس .

المبحث السادس : المقدم والمؤخر .

المبحث السابع : أسلوب القلب والتحويل .

المبحث الثامن : أسلوب الالتفات .

المبحث التاسع : أسلوب قصر لفظ الخبر لأشياء متعاطفة على بعض دون بعض .

المبحث العاشر : الخطاب بالمستقبل لأمر قد مضى والعكس .

المبحث الحادي عشر : أسلوب إخراج الأمر مخرج الوعيد والتهديد .

المبحث الثاني عشر : أسلوب الأمر بمعنى الخبر، والخبر بمعنى الأمر .

المبحث الثالث عشر : أسلوب الاستفهام .

المبحث الرابع عشر : أسلوب الجزاء عن الفعل بمثل لفظه مع اختلاف المعنى .

المبحث الخامس عشر : الاسمان المصطحبان يضم أحدهما إلى صاحبه فيسميان جميعا به .

المبحث السادس عشر : التكْنية عن الشيء الذي عرف اسمه وإن لم يجر له ذكر .

الفصل الثاني : أساليب المعاني وأثرها في **التفسير ،** وتحته خمسة مباحث **:**

المبحث الأول : أسلوب المشترك اللفظي .

المبحث الثاني : تعدد معاني الحروف والأدوات .

المبحث الثالث : زيادة الحروف .

المبحث الرابع : تعدى الفعل ولزومه .

المبحث الخامس : استثناء الشيء من الشيء وليس منه (الاستثناء المنقطع) .

الفصل الثالث : أساليب الصيغ وأثرها في **التفسير** ، وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : إطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل .

المبحث الثاني : وضع أفعل التفضيل موضع اسم الفاعل .

المبحث الثالث : مجيء صيغة (فاعل) المقتضية للاشتراك من طرفين لطرف واحد .

المبحث الرابع : وضع المصدر في موضع الاسم أو الصفة .

الخاتمـــــــة : وتتضمن أهم نتائج البحث **.**

الفهارس، وتشمل:(الآيات- الأحاديث والآثار- الأعلام- الأشعار- المصادر والمراجع- الموضوع)

- أهم نتائج البحث

١ ـ أهمية الأساليب العربية، ومكانتها في التفسير، ا الواسع فيه من حيث :

- فهم المعنى وتجليه .
- توجيه القراءات القرآنية المختلفة .
- إزالة كثير من الإشكالات .

- كما كان لها الأثر الواضح في تغير معاني الآيات، وما ينبني عليه من الخلاف بين المفسرين والترجيح بين أقوالهم .

- استنباط الأحكام الفقهية .

- كما تبين أثرها في الشذوذ في التفسير، ونشأة أقوال ضعيفة، وكيف كان أداة للانحراف فيه بما يخالف العقيدة الصحيحة .

- كما كان له فائدة في معرفة وجه كلام السلفوتخريج أقوالهم .

- أنها تعطي قارئ القرآن ملكة في ما يمكن أن تحتمله الآية من معان، أو ما وقع فيها من خلاف .

- كما يتضح أثرها في ظهور بلاغة القرآن الكريم، وإعجازه، ويظهر هذا جليا في أمثال: أسلوب تعدد معاني الحروف، وأسلوب الالتفات، والحذف وغيرها .

٢ - من خلال استقراءي للأمثلة في كتب المعاني تبين أن أكثر الأساليب ورودا واستعمالا في القرآن الكريم، وهو أكثرها أثرا - في رأيي - هو أسلوب الحذف، ثم أسلوب المشترك اللفظي – وهو يتعلق بعلم معاني المفردات، وهو - أعني معاني المفردات ودلالتها مع أساليب اللغة - من أعظم ما يعين على فهم كتاب الله ﷻ – ثم يأتي أسلوب تعدد معاني الحروف والأدوات، وإطلاق المفرد والمثنى والجمع كل منها على الآخر، ثم المقدم والمؤخر، ثم المذكر والمؤنث – وهو من الأساليب التي تحتاج إلى بحث في أسراره البلاغية وحكمه – ثم بقية الأساليب .

٣ - أهمية اصطحاب الأصل والتمسك به في تفسير القرآن الكريم، فيما يتعلق بهذه الأساليب وغيرها قبل الحكم بأن آية ما جارية على ما مضى من الأساليب العربية مما هو خارج عن الأصل، وإلا لم يفهم الخطاب ولضاع المعنى، فلم يؤد الكلام غرضه من البيان

وتحديد المراد، ولكان فيه لبس، وقد مر في البحث عدة أصول .

٤ - ينبغي العناية بالبحث عن حكمة الخروج عن الأصل إذا ثبت ودل على ذلك دليل، فإن وراء ذلك حكما وفوائد بلاغية .

٥ - أن أهم أسباب الخلاف احتمال اللفظ أو الكلام معنيين فأكثر، كما كان له أثره في إثراء التفاسير، وفي استعماله في تحريف المعاني لخدمة بعض الأفكار العقائدية .

٦ – اعتدال أصحاب كتب المعاني في منهجهم في إثبات الحذف والتقدير في كتاب الله ﷻ .

٧ - أن الفراء وأبا عبيدة ممن يثبت أسلوب القلب كأسلوب عربي، وأن القرآن الكريم جرى على هذا الأسلوب في بعض آياته، وأما الأخفش والزجاج فلم أجد في كلامهما ما يشير إلى اهتمامهما بهذا الأسلوب من خلال الدراسة القرآنية، وأما النحاس فقد صرح بعدم جواز حمل القرآن الكريم عليه .

٨ - اتفاق أصحاب كتب المعاني في الجملة بالقول بزيادة الحروف، ووقوعه في القرآن الكريم .

٩- أن أسلم أصحاب كتب المعاني الخمسة في باب العقيدة هو النحاس، وفي رأيي أن كتابه (معاني القرآن) من أنفع كتب المعاني الخمسة وأحسنها تأليفا وأقربها مطابقة لموضوع معاني القرآن وروح التفسير .

ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

In the name of God the Merciful
Message Digest

Title: [methods Arabic of the Koran in books, the meanings of the Qur'an and its impact on the interpretation]
Stage: MS.
By: Iyad bin Musa bin Mahmoud Ismail.
Supervisor: Dr. / Hussein bin Abdul Hamid Albar
Plan Search:
The plan includes the introduction, preface, and three chapters, and epilogue, and indexes, as follows:
Introduction: and include the importance of the subject, and the reasons for his choice, and objectives of the research, and previous studies and research plan, method and limits.
Preface: It includes an explanation of the title and Profile Books, and the meanings of the five authors.
Chapter I: methods of discourse and its impact on the interpretation, and below sixteen Mbgesa:
First topic: Delete method and its impact on the interpretation.
The second topic: the launch of a single method and the dual and plural, each one over the other and its impact.
The third topic: metaphor and its impact on the interpretation.
Fourth topic: Method is not a wise course of rational and its impact.
Alambges V: the expression of masculine and feminine word opposite effect.
Alambges VI: submitted in the backside and its impact on the interpretation.
Alambges VII: Method of conversion and the heart and its impact on the interpretation.
Alambges VIII: Method to pay attention and its impact on the interpretation.
Alambges IX: A method of short term news for something sympathetic to the other without some impact.
Alambges X: the future of the discourse has gone by and is the opposite and its impact on the interpretation.
Alambges atheist ten: the output of the troubleshooting method of intimidation, threat and its impact.
The second part, ten: Method is the sense of the news, and news in the sense it and its impact.
The third part ten: A method of inquiry and its impact on the interpretation.
Ten fourth topic: Method penalty for the act so the word with a different meaning.
Alambges XV: Almstahban names are included, one to the owner Visemean all of it.
Alambges XVI: Altknyp about the thing you knew his name, although it has not been mentioned.
Chapter II: Methods of meanings and their impact on the interpretation, and below the five topics:
First topic: the common method of verbal communication.
The second topic: multiple meanings of the characters, tools, and its impact on the interpretation.

The third topic: the characters and increase its impact on the interpretation.
Fourth topic: Infect act and deems necessary.
Alambges V: Exception object of the thing and not a part of (the exception Supply).
Chapter III: Methods of formulas and their impact on the interpretation, and below the four topics:
First topic: Launching the name of the effect on the name of the actor and its impact on the interpretation.
The second topic: I do a preference under the name of the actor and its impact.
The third topic: the advent of formula (actor) Almqtadhap for participation of the parties to one party.
Fourth topic: development of the source in the position of the name or status.
Conclusion: The most important search results.
Indexes, including: (verses - conversations and effects - Media - poems - Almassadroualemradja - topic).

- Most Search Results
١- The importance of methods Arabic, and its place in the interpretation, and the impact which the broad terms of:
- Understanding the meaning and elucidating.
- Directing the various readings.
- Remove many of the dilemmas.
- Also had a pronounced impact in changing meanings of the verses, and is based upon the difference between the commentators and the weighting between the words.
- Development of jurisprudence.
- As shown by their impact on the anomalies in the interpretation, and the origins of words is weak, and how was the tool for the deviation in contravention of the true faith.
- As was his interest in knowing the words of the Salaf in the interpretation and the graduation of their statements.
- It gives the reader the Koran queen in what it can tolerate verse of meanings, or it fell out of contention.
- As evidenced in the emergence of rhetoric impact the Koran, and likeness, and this shows clearly in Proverbs: the multiple meanings of the characters, and style of attention, and deletions, and others.
٢ - through the inductive examples in the books of the meanings found that more flowers and methods used in the Koran, which is the most impact - in my opinion - is a way of deletion, and the common method of verbal - is related to the knowledge of the meanings of the vocabulary, which is - I mean, the meanings of words and meaning with the techniques of language - one of the greatest helps in - then comes the multiple meanings of letters,Yunderstanding the book of God tools, and the launch of single-and dual and plural on each other, and then submitted in the backside, and the masculine and feminine - one of the methods that need to discuss the secrets and his rhetoric - and then the rest of the methods.
٣ - The importance of origin and take hold in the interpretation of the Koran, on this and other methods by ruling that the verse is ongoing for the past methods of Arabic, which is beyond the origin, but I do not understand the speech and the meaning is lost, has not led to speak of the purpose statement and

determine to be , and when the confusion, the search has gone through several assets: the basic principle is not to delete words and complete and do not need to estimate, and the parent non-participation in speak, talking about the survival of originally arranged, non-introduction delays, and the origin of the exception can not connect to separation, the parent of conscience on the promises mentioned and the origin of characters not increase, and the parent not to delete characters meanings, and the parent to speak truth not metaphor, and the parent indicates that the name of the actor on the actor, the name of the effect on the force, and the significance of formula (Reactive) on the occurrence of the act of two, the original wording that indicates what put him Vitabak meaning pronunciation, Vamufrd shows the meaning of a single, as well as the dual and plural.

٤ - Take care to search out the wisdom of their origin if it is established is indicated by a user, behind the provision and the benefits of rhetoric.

٥ - that the most important causes of friction may sound or speech and more concerned, as was a wealth of interpretations, and in use in the distortion of the meanings to serve some ideological ideas.

٦ - owners of moderation wrote meanings in their approach to demonstrate deletions .Yand appreciation in the book of God

٧ - has fur and a father who Obeida prove method as a way of Arab heart, and that the Qur'an was of this method in some verses, Alokhvc The glass did not find in their words to indicate their interest in this method by studying the Koran, or copper may not be made carrying the Holy Karim it.

٨ - Agreement on the owners of books meanings in the sentence by saying, up characters, and incidence in the Koran.

٩ - to acknowledge the owners of the meanings of the five books in the door of faith is copper, and in my opinion, the book (the meanings of the Qur'an) of the meanings of the five books most useful and best synthesizes the closest match to the theme and spirit of Quran interpretation.

****

الفهـارس العامـة

١ - فهرس الآيات .
٢ - فهرس الأحاديث والآثار.
٣ - فهرس الأبيات الشعرية .
٤ - فهرس الأعلام .
٥ - المصادر والمراجع .
٦ - فهرس الموضوعات .

((فهرس الآيات))

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾	٦	٢٢٦
﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٧	٢١٧
سورة البقرة		
﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾	١-٢	١٢٧
﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾	٩	٢٥٩
﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾	١٥	١٧٨
﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾	٢٥	٢٠٢
﴿ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾	٢٦	٢٠٦
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾	٢٦	٢١٦
﴿ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾	٢٨	١٩٠
﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا ﴾	٢٨	١٦٨
﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾	٣٠	٢١٦
﴿ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾	٤٢	٢٥٥
﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ ﴾	٤٤	١٤٦
﴿ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾	٧٤	٩٧
﴿ وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡ ﴾	٩٣	٤٨
﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ ﴾	١٠٢	١٤٤، ١٤٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾	١٠٦	١١٣
﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾	١٥٨	٢٢٠
﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾	١٧١	١١٧
﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾	١٧٧	٢٦٦
﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	١٩٣	١٨٠
﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾	١٩٤	١٧٧، ١٨٠
﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾	٢٠٣	١٦٥
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾	٢١٦	٥٥
﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ﴾	٢٢٩	١٤١
﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾	٢٣٣	٢٢٧
﴿ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾	٢٣٥	٨٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ﴾	٢٣٥	٢٣٠
﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾	٢٣٧	٨٣
﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	٢٣٧	١٠٣، ١٣٢، ٢٣٧
﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ ﴾	٢٦٠	١٧٤
سورة آل عمران		
﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ ﴾	٢٠	١٦٨
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾	٣١	١٧٩
﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ ﴾	٥٤	١٧٨
﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾	١١٢	٢٣٥
﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾	١٥٣	٢١١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ ﴾	١٧٣	٧٦
﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾	١٧٥	٢٣١
﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾	١٩١	٥٠
﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾	١٩٥	٢٢٨
سورة النساء		
﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ ﴾	٨	٩٥
﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ﴾	٤٣	٨٠
﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾	٦٤	١٣٠
﴿ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾	٧٥	٦٣
﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ	١٢٧	٥٦
﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾	١٢٧	٢٢٦
﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾	١٤٢	١٧٨
﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾	١٦٤	٢٤
سورة المائدة		
﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾	١٣	٩٨
﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ	٧٥	٨٤

كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْأَيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾	٩١	١٦٨
﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾	١١٢	١٦٨
﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	١١٢	١٧٣
﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	١١٢	١٧٤
﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ ﴾	١١٦	١٦٩
﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ ﴾	١١٦	١٧٤
﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ ﴾	١١٦	١٧٩
سورة الأنعام		
﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾	١٨	٣١
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾	٢٧	٥٣
﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾	٣٤	٢٢٣
﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ ﴾	٣٥	٥٠
﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ ﴾	٧٠	٢٠٢

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴾	١١٢-١١٣	١٥٧
﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا ﴾	١٣٠	١٤٢
﴿ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	١٣٥	١٥٨
﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ ﴾	١٦٠	١٤٥
سورة الأعراف		
﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	٢	١١١
﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ ﴾	١٢	٢١٦،٢١٧، ٢٢١
﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾	٢١	٢٦٠
﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ ﴾	٤١	١٩٩
﴿ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا ﴾	٤٣	٩٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	٥٦	٩٨
﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾	٥٦، ٥٧	١٠٠
﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾	١٥٥	١٧٢
﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾	١٦٣	١٧٦
﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	١٨٦	١٦٠، ١٦٢
سورة الأنفال		
﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾	١١	٨١
﴿فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ﴾	٢٥	١٧٢
﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾	٣٠	١٧٨
﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ﴾	٣٥	٩٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٧٢	١٠٧
سورة التوبة		
﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾	١٧	٦٧
﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ﴾	١٧	٧٢
﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾	١٨	٧٣
﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	١٩	٢٦٥
﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾	٣٤	١٣٦
﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا﴾	٥٣	١٦٠
﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾	٥٥	١١٠
﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾	٦٢	١٤١
﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ﴾	٦٤	١٥٩
﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾	٨١-٨٢	١٥٥
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾	١٠٠	١٠٧

سورة يونس		
الآية	رقمها	الصفحة
﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾	٥	١٤١
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾	٢٢	١٢٨،٦٥
﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾	٦٧	١٢٢
سورة هود		
﴿ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ﴾	١٠	٩٧
﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾	٢٤	١٧٠
﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾	٢٧	٧٣
﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾	٢٨	١١٧
﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ ﴾	٤٣	٢٤٨
سورة يوسف		
﴿ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾	٤	٨٧
﴿ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾	٤	٨٦
﴿ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾	١٨	١٦٣
﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ	١٨	٢٦٧

فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾		
﴿ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ ... ﴾	٤٥-٤٦	٥١
﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾	٨٢	٢٦٦،٤٩
﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ ﴾	٩٦	٢١٧
سورة إبراهيم		
﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ﴾	٣٣	٩٦
﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾	٣٦	٩٠
سورة الحجر		
﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾	٢	١٤٦
﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾	٥	٩٥
﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾	٢٠	٩١
﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾	٢٠-٢١	٨٩
﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٣٩	٢٠٨
﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى ﴾	٦٨	٦٣
سورة النحل		
﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾	٧٨	١٠٧
سورة الإسراء		

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ إلى قوله : ﴿ بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ ﴾	١	١٢٨
﴿ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾	٨	١٩٨
﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴾	١١	١٢٤
﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴾	١٨	١٣١
﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾	٢٩	١٥٠
﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴾	٣٣	١٣١
﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾	٣٦	٩١،٨٧
﴿ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴾	٤٥	٢٤٤
﴿ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴿٦٣﴾ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾	٦٣-٦٤	١٥٤
سورة الكهف		
﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾	٢٩	١٥٣
﴿ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا ﴾	٤١	٢٦٣
﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾	٦١	١٤٢
﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا	٨٠-	١٣٣

خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾	٨١	
سورة مريم		
﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾	٢٤	٢٠١
﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾	٦١	٢٤٧
﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ﴾	٦٨	١٩٠
﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾	٧٠-٧١	١٨٩
﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ ﴾	٧٥	١٦٠،١٦١
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾	٨٣	١٥٥
﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾	٨٨-٨٩	١٣٠
سورة طه		
﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾	١٤	٢١٢
﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾	٣٩	٥٠
﴿ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ ﴾	٤٠	٥٠
﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾	٧١	٢٠٦
﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾	٧٢	١٢٨
﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا ﴾	٧٣	١٢٨
﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾	١٢٤	٩٧
﴿ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ ﴾	١٣٠	٦٩

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾	١٣٢	٢٦٨
﴿ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾	٢٧١	٢١١
سورة الأنبياء		
﴿ خُلِقَ الْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُورِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾	٣٧	١٢٣
﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم ﴾	٥٧	٢٠١
﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾	٦٥	٨٦
﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ ﴾	٨٠	٩٩
سورة المؤمنين		
﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴾	٢٠	٢١٦
﴿ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ ﴾	٤٤	٩٥
﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾	٦٦-٦٧	٧٠
﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾	٩٩	٦٦
﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾	١١٥	٢١٣
سورة النور		
﴿ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ ﴾	٤٥	٨٧
سورة الفرقان		
﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾	١١	٩٤
﴿ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾	١٢	١٧١

﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾	١٢	٩٤
﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾	٢٤	٢٥٤،٢٥٦
﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾	٢٧-٣٠	١٤٨
﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾	٣٣	٢٥٤
﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾	٥٧	٢٣٦
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾	٦٢	٩٧
﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾	٧١	١٤٥
سورة الشعراء		
﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾	٤	١٤٦
﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٦	٦٣
﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ ﴾	٧٧	٦٤
﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٧٥-٧٧	٢٣٧
﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾	٢٢١-٢٢٣	٢٦٤
سورة النمل		

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾	١٨	٨٧
﴿ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾	٣٥	٦٦
﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾	٥٩	٢٥١
﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴾	٦٦	١٤٨
﴿ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴾	٨٧	٦٤
سورة القصص		
﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ ﴾	٢٣	٤٩
﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ ﴾	٥٨	١١٧
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ ﴾	٥٩	١٢٩
﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴾	٧٦	٧٦
﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ ﴾	٧٦	١١٧
سورة العنكبوت		
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي ﴾	٢٣	١٢٩
﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾	٤٥	٢٥٢

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾	٦٨	١٧٠
سورة الروم		
﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾	٢٧	٢٥٠
سورة السجدة		
﴿ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾	٧	١٠٨
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾	١٢	١٤٦
سورة الأحزاب		
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾	٣	١٦٦
﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٢٠	٢٦١
﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾	٣٠	٦٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ ﴾	٥٠	١٣٤
﴿ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ ﴾	٥٢	٢١٧
سورة سبأ		
﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾	٣٣	١١٨
﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى ﴾	٣٧	١٣٧
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ ﴾	٥١	١٤٦
سورة فاطر		

﴿ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ ﴾	٩	١٤٤
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾	٢٨	١٠٤
﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾	٣٢	١٠٩
﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾	٤٥	١٨٤
سورة يس		
﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾	٨	١٨٨
﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	٩-١٠	١٥٠
سورة الصافات		
﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾	١٢	٥٨
﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾	٩٣	٢٠١
﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾	٩٥	٢١٠
﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾	٩٦	٢١٠
سورة ص		
﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ ﴾	٢١	٦٢
﴿ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾	٢٢	٦٢
﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ﴾	٣١	١٨٥

﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾	٣٢	١٨٤
﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾	٦٥	٢٢٣
﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٨٢	٢٠٨
سورة الزمر		
﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾	٣	٨٨
﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾	٣٩	١٥٣
﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ ﴾	٦٦	١٠٩
سورة غافر		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴾	١٠	١١٠
﴿ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾	٦٧	٦٢
﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾	٧١ - ٧٢	١٥٠
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾	٧٨	٢٢٦
سورت فصلت		
﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾	١١	٨٦
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	٢٠	٨٠
﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾	٢١	٨١
﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾	٢١	٨٧

﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ ﴾	٤٠	١٥٣
سورة الشورى		
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴾	٢٥-٢٦	٢٢٨
﴿ وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ ﴾	٢٦	٢٢٩
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ﴾	٢٩	١٣٨
﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾	٤٠	١٨٠
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ﴾	٥٢	١٣٩
سورة الزخرف		
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴾	٣٨	١٨٢
﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾	٤٥	٥٩
﴿ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ ﴾	٥١	٢٠٢
﴿ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ ﴾	٥١-٥٢	٢٠٦
سورة الدخان		
﴿ حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا	١-٣	١٨٥

كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾		
سورة الجاثية		
﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾	٢٣	١٠٧
سورة الأحقاف		
﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾	٥	٨٨
﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ ﴾	١٠	٥٨
سورة محمد		
﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾	٢١	٥٤
سورة الفتح		
﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾	١٠	٣١
سورة ق		
﴿ قَعِيدٌ ﴾	١٧	٦٤
﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ ﴾	٢٤	٦٧
﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾	٣٠	١٧١
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ ﴾	٣٧	٢٦٥
سورة الطور		
﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور : ٣٥]	٣٥	٢١٣
سورة النجم		
﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾	١	٧٠

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾	٨	١٩٦
سورة القمر		
﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾	١	١٥١
﴿ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴾	٢	١٥١
﴿ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ﴾	٢٧-٢٨	٩٢
﴿ وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾	٢٨	٨٨
﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾	٤٩	٦٦
سورة الرحمن		
﴿ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴾	١٩	١٣٨
﴿ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴾	١٩	١٤٣
﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾	٣٣-٣٥	٦٩
﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾	٤٦	٧٤،٦٨
﴿ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴾	٤٨	٧٥
سورة الواقعة		
﴿ وَحُورٌ عِينٞ ﴾	٢٢	١٨٧
﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴾	٢٧	١٨٨
﴿ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ ﴾	٣٤-٣٦	١٨٧
﴿ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ﴾	٧٣	١٩٩

﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴾	٩٠-٩١	٥٥
سورة الحديد		
﴿ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾	٢٧	٢٣٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾	٢٨-٢٩	٢١٩
سورة المجادلة		
﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾	٣	٨٢
سورة الممتحنة		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ ﴾	١	٢٢٢
﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ ﴾	١٢	٩٧
سورة الطلاق		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾	١	٧٣

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴾	٦	١٦٢
سورة التحريم		
﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾	٤	٦٤
سورة الملك		
﴿ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾	٤	٧٥
سورة القلم		
﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾	٥-٦	٢٦٧،٢٢١
﴿ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾	٢٥	١٩٤
﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾	٤٢	٧٩
سورة الحاقة		
﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾	١٤	٦٣
﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾	٣٠-٣٢	١٢٠
﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾	٤٧	٢١٦
سورة المعارج		
﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ ﴾	١١	٢٠٣
سورة نوح		
﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ	٢١-	٩٠

وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾	٢٤	
سورة الجن		
﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ﴾	٢١-٢٣	٢٣٩
سورة المدثر		
﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾	٢	١٠٢
﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾	٣٥-٣٦	١٠٢
﴿ قَسْوَرَةٍ ﴾	٥١	١٩٦
سورة القيامة		
﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾	٩	٩٦
﴿ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾	١٤	١٠٤
﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾	٢٤	١٢٠
﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾	٣٣-٣٤	١٢٨
سورة الإنسان		
﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾	١	١٧٠
﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾	١٠	١١٩
سورة النبأ		
﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾	١	١٦٩
﴿ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾	٢	١٦٩
سورة النازعات		

﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ﴾	١٠	٢٤٦
﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾	٣٠	٢٠٦
سورة التكوير		
﴿ عَسۡعَسَ ﴾	١٧	١٩٦
﴿ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴾	٢٦	١٦٨
سورة الانفطار		
﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾	٨	٢١٦
سورة المطففين		
﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴾	١-٣	٣
﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ﴾	٢	٢٠٦
﴿ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴾	٣	٢٢٨
سورة الطارق		
﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴾	٦	٢٤٥
سورة الأعلى		
﴿ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾	١٩	١٠٨
سورة الغاشية		
﴿ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ﴾	٢٢-٢٤	٢٣٤
سورة الفجر		
﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ﴾	١-٣	١٩٦

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴾	٢٧-٢٨	١٦٤
سورة الشمس		
﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾	١-٣	١٨٥
﴿ أَشۡقَىٰهَا ﴾	١٢	٦٥
سورة الليل		
﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾	٥	٥٣
﴿ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴾	١٤-١٦	٢٥٥
﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾	١٩-٢٠	١٢٢
سورة الضحى		
﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾	٥	٥١
﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴾	٧	٥٣
سورة القدر		
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾	١	١٨٥
سورة الزلزلة		
﴿ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾	٤-٦	١١٢
سورة العاديات		
﴿ وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ﴾	١-٤	١٩٠

سورة الهمزة		
﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾	٣	١٤٧

((فهرس الأحاديث والآثار))

الحديث	الراوي ﷺ	الصفحة
إن اللهَ تعالى يصنع كُل صانِعٍ وصنعته	حذيفة ﷺ	٢١١
أن رسول الله ﷺ لما قال هذا الكلام أوحى الله إليه : يـا محمد لا تقَنطْ عبادي	عمر بن الخطاب ﷺ	١٥٦
أن قوماً يخسف بهم ، قيل : وفيهم الـصالحون ؟ فقيـل : يبعثُونَ علَى نِياتهم	عائشة - رضي الله عنها -	١٧٣
أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم	سعد بن أبي وقاص ﷺ	٢٥١
أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذَا كَثُر الخَبثُ	زينب بنت جحش - رضي الله عنها -	١٧٣
جنتان من فضة آنِيتهما وما فيهما ، وجنتان مـن ذَهـبٍ آنِيتهما وما فيهما ... الحديث .	أبو موسى الأشعري ﷺ	٧٥
لَا تزالُ جهنم تقُولُ : هل من مزيد حتى يضع رب الْعـزة فيها قَدمه فَتقُولُ : قَطْ قَطْ ، وعزتك ، ويزوى بعـضها إلى بعضٍ	أنس بن مالك ﷺ	١٧١
لا يمل اللهُ حتى تملوا	عائشة- رضي الله عنها -	١٨٠
لو تعلمونَ ما أعلم لبكَيتم كثيرا ولَضحكْتم قَليلاً	أبو هريرة ﷺ	١٥٦
يغسلُ من بولِ الجَارِية ، ويرش من بولِ الغلامِ	أبو السمح ﷺ	١٥٩
يكْشف ربنا عن ساقه فَيسجد له كُل مؤمنٍ ومؤمنة ويبقـى كُل من كان يسجد في الدنيا رِياءً وسمعةً فَيذْهب ليـسجد فَيعود ظَهره طَبقًا واحدا	أبو سعيد الخدري ﷺ	٨٠

الأثـر	الراوي	الصفحة
أن الله - تعالى - يبعث الأصنام ويخلق لها أرواحا معها شياطينها ، فيؤمر بالكل إلى النار	-	٨٩
التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفـه العـرب مـن كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله	ابن عباس رضي الله عنه	٣

((فهرس الأبيات الشعرية))

الأبيات	الشاعر	الصفحة
ما بالُ عينِك منها الماءُ ينسكب ...	ذو الرمة	١٠٦
فمن يك أمسى بالمدينة رحله : فإني وقَيار بهـا لغـريب	ضابئ بن الحارث	١٣٦
كأنّ هندا ثناياها وبهجتها : يوم التقينا على أدحالِ دبابِ	الراعي	١٠٨
خليلي مرا بي على أم جندبِ : نقَضي لُبانات الفؤاد المعذبِ	امرؤ القيس	٦٧
أمرتك الخير فافعلْ ما أمرت بِه : فقد تركتك ذا مالٍ وذا نشبِ	عمرو بن معدي كرب	٢٢٥
ألم تر أني كلما جئت طارقا : وجدت بها طيبا وإن لم تطَيبِ	امرؤ القيس	٦٧
أسيئي بِنا أو أحسِنِي لا ملُومةً : لَدينا ولا مـقْليةً أنْ تقَلـت	كثير عزة	١٢٧ ، ١٦٠
ألستم خير من ركب المطايا : وأندى العالمين بطونَ راحِ	جرير	١٧٠
إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمةٌ : لم تجدي من أنْ تقري بها بدا	زائد بن صعصعة	١٤٤
يا أخبثَ الناسِ كل الناس قد علموا : لو تستطيعان كنا مثلَ معضاد	-	٦٥
ما كان حينك والشقاءُ لينتهي : حـتى أزورك في مغارٍ محصـد	جرير	١٣٧
فتلك سبيلٌ لست فيها بأوحد	الإمام الشافعي	٢٥٠
وشبابٍ حسنٍ أوجههم : من إياد بن نِزارٍ بن معد	الحارث الإيادي	٦٣
إن أخا المجلود من صبرا	-	٢٦٤
من طالبين لبعران لنا رفضت : كيلا يحسون من بعراتنا أثرا	ابن أحمر	٥١
مثل القنافذ هداجونَ قد بلغت : نجرانَ أو بلغت سوآتهم هجر	الأخطل	١١٦

الأبيات	الشاعر	الصفحة
فما ألوم البِيض ألا تسخرا : لما رأين الشمطَ القَفَندرا	أبو نجم	٢١٥
نغالي اللحم للأضياف نيئاً : ونبذُلُه إذا نضج القُدور	رجل من قيس	٢٢٥
أخذنا بآفاقِ السماءِ عليكُم : لنا قَمراها والنجوم الطوالع	الفرزدق	١٨١
حسبت بغام راحلتي عناقاً : وما هي ويب غيرِك بالعناق	ذو الخرق الطهوي	٤٩
جاء الشتاءُ وقميصى أخلاق : شراذم يضحك منه التـواق	أبو الجراح العقيلي	٧٢
ضخم تعلق أشناق الديات به : إذا المئُونَ أُمرت فوقَه حملا	الأخطل	١٠٨
حتى إذا لم يتركوا لعظامه : لحْماً ولا لفؤاده معقولا	الراعي	٢٦٤
لعمرك ما أدري وإني لأوجلُ : على أينا تعدو المَنِيةُ أولُ	معن بن أوس	٢٥٠
إنّ الذي سمك السماءَ بنى لنا : بيتاً دعائمه أعز وأطولُ	الفرزدق	٢٥١
وطَعني إليك الليلَ حضنيه إنني: لتلك إذا هاب الهدانُ فَعولُ	حميد بن ثور	١٠٨
أصبحت أمنحك الصدود وإنني : قسماً إليك مع الصدود لأميلُ	الأحوص	٢٥٠
أرى مر السنينِ أخذنَ مني : كما أخذ السرار من الهلال	جرير	٩٨
من البِيضِ لم تظْعن بعيداً ولم تطأ : على الأرضِ إلا ذَيلَ مرط مرحلِ	جرير	٢٣٣
لا راحم الناس ولا مرحوما	المخيس	٩٥
إن تميماً خلقت ملموماً	المخيس	٩٥
قوماً ترى واحدهم صهميما	المخيس	٩٥
ومقامة غُلْبِ الرقابِ كأنهم : جن لدى بابِ الحَصيرِ قيام	لبيد بن ربيعة	١٩٩

الأبيات	الشاعر	الصفحة
لقد لُمتنا يا أم غيلانَ في السرى : ونمت وما ليلُ المطي بنائم	جرير	١٢٣
كانت فريضةُ ما تقول كما : كان الزناءُ فريضةَ الرجمِ	النابغة الجعدي	١١٦
شطت مزار العاشقين فأصبحت : عسِراً عليّ طلابك ابنةَ مخرمِ	عنترة	١٢٧
فإذ شمرت لك عن ساقها : فَويهاً رييع ولا تسأمِ	قيس بن زهير	٧٩
تظلّ حِياده نوحاً عليه : مقلدةً أعنتها صفونا	عمرو بن كلثوم	٣٦٣
إنَّ شرخ الشبابِ والشعر الأسـ:ود ما لم يعاص كان جنونا	حسان بن ثابت	١٣٧
ألا لا يجهلَن أحد علينا : فنجهلَ فوق جهلِ الجاهلينا	عمرو بن كلثوم	١٧٧
ومهمين قَذَفَين مرتين : قطعته بالأم لا بالسمتين	خطام المجاشعي	٧٤،٦٨
يسعى بكيداء ولهذمين : قد جعل الأرطاةَ جنتينِ	خطام المجاشعي	٦٨،٧٤
وباتت تعد النجم في مستحيرة : سريعٍ بأيدي الآكلين جمودها	راعي الإبل	٧١
إن سراجا لكريم مفخره : تحلى به العين إذا ما تجهره	-	١١٦
قسموا البلاد فما بها لمقيلهم : تضغيثُ مفتصلٍ يباع فصيلُه	-	١٨١
فقُرى العراقِ مسيرةُ يومٍ واحد : فالبصرتان فواسطٌ تكميلُه	-	١٨١
تمززتها والديك يدعو صباحه : إذا ما بنو نعشٍ دنوا فتصوبوا	النابغة الجعدي	٨٦
مثلُ العصافيرِ أحلاماً ومقدرةً : لو يوزنون بزف الريشِ ما وزنوا	قعنب بن أم صاحب	١٤٩

الأبيات	الشاعر	الصفحة
إنْ يسمعوا رِيبة طاروا بها فرحاً : مني وما يسمعوا من صالح دفنوا	قعنب بن أم صاحب	١٤٤
إن المنيةَ والحُتوف كلاهما : يوفي المخارِم يرقبان سوادي	الأسود بن يعفر	٦٤
دعِ المكارم لا ترحل لبغيتها : واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي	الحطيئة	٢٤٣
رماني بأمرٍ كنت منه ووالدي : بريئاً ومن جول الطوِي رماني	عمرو بن أحمر الباهلي	١٤١
ولَقَد أمر على اللئيمِ يسبني : فَمضيت ثُمت قُلت لا يعنِيني	رجل من سلول	١٤٥
أألخـير الذي أنا أبتغـيه : أم الشر الذي لا يأتليني	المثقب العبدي	١٨٩
وما أدري إذا يممت وجهاً : أُريد الخير أيهما يليـني	المثقب العبدي	١٨٩

((فهرس الأعلام المترجم لهم))

العلم.....الصفحة

إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان (نفطويه) ٤٢
إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمرو بن ربيعة النخعي ٢٣٢
أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي ٣١
أبو عمرو بن العلاء التميمي.....١٧
أبو مالك غياث بن غوث التغلبي ١٠٨
أحمد بن الموفق بالله طلحة بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد الهاشمي العباسي أبو العباس٣٤
أحمد بن شعيب بن علي النسائي ٤٠
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية أبو العباس....١٩٦
أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المصري (ابن حجر) ١١٣
أحمد بن عمار المهدوي.....٨٤
أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين اللغوي القزويني ٧٨
أحمد بن محمد بن ابراهيم شمس الدين أبو العباس المعروف بأبن خلكان ٣٣
أحمد بن محمد بن الوليد والوليد يعرف بـ (ولاد) ٣٦
أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي أبو جعفر الطحاوي ٤٠
أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني أبو العباس ، المعروف بثعلب.....
إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الأزدي ٣٦
إسماعيلُ بن عمر بن كثير القيسي البصروي.....١٢٠
الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري ١٨
الحسن بن أبي الحسن واسمه يسار البصري أبو سعيد.....٨٣
الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان أبو علي الفارسي ٣٦
الحسين ين محمد بن إبراهيم الدامغاني أبو عبد الله.....١٩٧

الحسين بن مسعود بن محمد أبو محمد البغوي.....٨٣
الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم أبو عبد الرحمن البصري الفراهيدي ١٨
الضحاك بن مزاحم البلخي الهلالي أبو القاسم ١٤٠
القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد البغدادي ٣٠
القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد الحارثي ٣٤
المخيس بن أرطاة الأعرجي ٩٥
امرؤ القيس.....٦٧
بكر بن محمد بن بقية المازني ٢٦
ثمامة بن أشرس أبو معن النميري ٣٠
جرير بن عطية بن حذيفة أبي حزرةَ التميمي البصري ١٧٠
حذيفة بن اليمان أبو عبدالله العبسي ٢١٠
حسان بن ثَابِت بن المُنذر الخزرجي الأنصاي.....١٣٧
حصين بن عبد الرحمن السلمي ٤٩
حماد بن سلمة بن دينار.....٢٥
حميد بن ثور الهلالي ١٠٨
ذو الخرق الطُهوي قرط بن قرط ٤٩
ذو الرمة غيلان بن عقبة بن بهيش أبو الحارث العدوي.....١٠٦
سجاح بنت الحارث التميمية ٢٦٤
سعيد بن أوس بن ثابت بن حرام أبو زيد الأنصاري ٢٦
سعيد بن سالم القداح أبو عثمان ٢٤
سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ٣١
سلمة بن عاصم النحوي.....٣٢
سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم أبو حاتم السجستاني.....١٨
صالح بن إسحاق أبو عمر الجرمي ٢٦
طليحة بن خويلد ٢٦٤
عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية أبو محمد الغرناطي ٨٠

عبد الحميد بن عبد المجيد مولى قيس بن ثعلبة الأخفش الأكبر أبو الخطاب ١٧
عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر..... ١١٣
عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم الزجاجي ٣٦
عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد الخضيري الأسيوطي جلال الدين أبو الفضل ١٢٨
عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ابن الجوزي ١٥١
عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي الناصري.....٥٧
عبد العزيز بن عبد السلام أبو محمد عز الدين.....٥٤
عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ١٠٧
عبد الله بن أحمد بن حنبل ٣٦
عبد الله بن محمد بن هارون التوزي.....١٨
عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهري ٨٣
عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ (أبو زرعة) ٤٠
عبيد وقيل حصين بن معاوية من بني نمير أبو جندل المعروف بالراعي ٧٠
عطاء بن أبي رباح القرشي ٧٢
عكرمة مولى ابن عباس ١٥١
علي بن إبراهيم العكلي..... ٢٦٤
علي بن أبي طلحة سالم المخارق ١١٣
علي بن أحمد بن محمد أبو الحسن النيسابوري الواحدي ٣٧
علي بن المبارك الأحمر النحوي ٢٤
علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الإمام أبو الحسن الكسائي.....٣٢
علي بن سليمان بن الفضل المعروف بالأخفش الأصغر.....٢٣
علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي.....١٩
علي بن عيسى بن علي بن عبد الله النحوي أبو الحسن الرماني.....٣٧
علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى أبو الحسن القفطي.....٤١
عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) ٢٤
عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي ٢٦٣

عنترة بن عمرو بن شداد العبسي ١٢٧
عيسى بن عمر البصري الثقفي ١٧
غزوان الغفاري أبو مالك الكوفي ٤٩
قتادة بن دعامة السدوسي الحافظ أبو الخطاب البصري ١٨٨
كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة ١٢٧
لبيد بن ربيعة بن مالك العامري ١٩٨
مجاهد بن جبر أبو الحجاج ٧١
محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور ١٨٧
محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ١٩٧
محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي ٧٥
محمد بن أحمد بن الأزهر (الأزهري) ٣٠
محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح أبو منصور الأزهري الهروي..... ٢٠٣
محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ٤٢
محمد بن إدريس الشافعي ٨٣
محمد بن إسحاق أبو الفرج المشهور بابن النديم..... ١٨
محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو عبد الله البخاري ٢١٠
محمد بن الحسن بن أبي سارة أبو جعفر الرؤاسي..... ٣٢
محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري ٤٢
محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري ٧١
محمد بن سعدان أبو جعفر الضرير ٢٤
محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي..... ٤٨
محمد بن علي بن محمد النحوي أبو بكر الأدفُوي ٤٢
محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني..... ٨١
محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين الرازي ١٩٧
محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي أبو السعود..... ٢٦١
محمد بن مكرم بن علي الأنصاري جمال الدين أبو الفضل (ابن منظور) ١٢٥

محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري أبو العباس المبرد ٢٥
محمد بن يوسف بن علي أثير الدين أبو حيان الأندلسي..... ٢١٠
محمد عبدالله دراز..... ٢١٨
محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي..... ١٢١
محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري ١٢٣
مسيلمة الكذاب ٢٦٤
معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصارى الخزرجى..... ٢٢٩
المفضل بن محمد بن يعلى أبو عبد الرحمن الضبي.....٤٩
مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي.....٨٤
منذر بن سعيد بن عبدالله بن عبدالرحمن اليزيدي الكزني البلوطي.....٤٢
منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي السمعاني المروزي ٢١٤
نعيم بن مسعود بن عامر بن أُنيف أبو سلمة الأشجعي ٧٦
هشام بن عروة بن الزبير ١٧
هشيم بن بشير الواسطي ٤٩
همام بن غالب بن صعصة بن ناجية التميمي البصري ٢٥٠
ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس والمولد الحموي.....٤١
يعقوب بن إسحاق أبو يوسف بن السكيت ٣٢
يعقوب بن إسحاق بن زيد ٢٥
يونس بن حبيب أبو عبد الرحمن الضبي.....١٧

****

((المصادر والمراجع))

- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، لعبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت: ٦٦٥ هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، نشر: شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر .
- الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، لعلي بن عبد الكافي السبكي(ت: ٧٥٦)، تحقيق: جماعة من العلماء، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ .
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي (ت: ١١١٧ هـ)، تحقيق: أنس مهرة، نشر: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م .
- الأربعين في دلائل التوحيد، لعبد الله بن محمد الهروي (ت: ٤٨١هـ)، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥)، تحقيق: د. مصطفى أحمد النماس، نشر: مطبعة النسر الذهبي، ط (١)، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٥١ هـ)، نشر : دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- إرشاد الفحول في تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي للشوكاني، تحقيق: سامي بن العربي، نشر دار الفضيلة، الرياض، ط ١، ١٤٢٥ هـ .
- أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ)، نشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- استصحاب الأصل ومظاهره في النحو والصرف، لقاسم بمدماصي، رسالة ماجستير مقدمة في كلية اللغة العربية في جامعة الإمام بالرياض، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠ م .

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزري (ت: ٦٣٠ هـ)، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنـان، الطبعـة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
- أسرار البلاغة في علم البيان ،لعبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١ هـ)، تحقيق: هـ . ريتر نشر: مطبعة وزارة المعارف، استانبول، ١٩٥٤ م .
- أسلوب الحذف وأثره في إعجاز القرآن وبيان معانيه، لمصطفى شاهر خلوف، رسالة ماجستير، في كلية أصول الدين بجامعة الإمام بالرياض، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥ م .
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، للعز بن عبد السلام، تحقيق : رمزي سعد الدين دمشقية ،نشر:دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٧م .
- الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، تحقيق: طه عبد الرؤوف، نشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة .
- الأشباه والنظائر، للسيوطي، نشر: دار الكتب العلمية، بـيروت، ط (١)، ١٤٠٣ هـ .
- الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ،لمحمد نور الدين المنجـد، نشر : دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م .
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، تحقيق: علـي محمد البجاوي، نشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ – ١٩٩٢.
- الأصمعيات، لأبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملـك (ت: ٢١٦ هـ ـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر - عبد السلام محمد هارون، نشر: دار المعارف، مـصر، الطبعة: السابعة، ١٩٩٣م .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد بن المختـار الجكـني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣ هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، نـشر : دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ ،١٩٩٥م .
- الأعلام، لخير الدين الزركلي، نـشر : دار العلـم للملايـين، لبنـان، بـيروت، ط ١٢، ١٩٩٧ م .

- الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني (ت: ٣٥٦ هـ)، تحقيق: على مهنا وسمير جـابر، نشر: دار الفكر، لبنان .
- الأقوال الشاذة في التفسير نشأتها وأسبابها وآثارها، للدكتور عبد الرحمن بن صـالح الدهش، رسالة دكتوراه، في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمـد بـن سـعود الإسلامية بالرياض، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢ م.
- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، لأدورد فنديك، نشر: دار صادر، بيروت، ١٨٩٦م .
- الأمالي الشجرية، لهبة الله بن علي بن حمزة المعروف بابن الـشجري (ت : ٥٤٢ هـ)، نشر: دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، ط (١)، ١٣٤٩ هـ .
- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦ هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، نشر: المكتبة العلمية، لاهور، باكستان .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين أبي الحسين علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٢٤ هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،نشر : دار الفكر العربي، القـاهرة، ط (١)، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسـف القفطـي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: ١، دار الكتب المـصرية: القـاهرة: ١٣٦٩ هـ، ١٩٥٠ م .
- الأنساب، لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمـي الـسمعاني (ت: ٥٦٢ هـ)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، نشر: دار الفكر، بـيروت، الطبعـة: الأولى، ١٩٩٨م .
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات عبـد الرحمن الأنباري (ت: ٥٧٧ هـ)، نشر: دار الفكر، دمشق .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام الأنـصاري (ت: ٧٦١ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: دار الجيل، بـيروت، ط (٥)،١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م .

- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر جابر الجزائري، نشر: راسم للدعاية والإعلان، جدة، ط (٢)، ١٤٠٧ هـ، ١٩٧٨ م .
- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني (ت: ٧٣٩ هـ)، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي، نشر: دار إحياء العلوم، بيروت، ط (٤)، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م .
- البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي، تحقيق د . محمد تامر، نشر: دار الكتب العلمية بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧ م .
- البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي(ت: ٧٩٤ هـ)، تحقيق: د. محمد محمد تامر، نشر: دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م .
- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي(ت: ٧٧٤ هـ)، نشر: مكتبة المعارف، بيروت .
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، لمحمد بن يعقوب الفيروزأبادي (ت: ٨١٧ هـ)، تحقيق: محمد المصري، نشر: جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧.
- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، نشر: دار الهداية .
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى نشر: دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت ،الطبعة : الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م .
- تاريخ بغداد، لأحمد بن علي أبي بكر الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ)، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت .
- تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، لمحمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن زبر الربعي (ت: ٣٩٧ هـ)، تحقيق: د. عبد الله أحمد سليمان الحمد، نشر: دار العاصمة، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.

- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة شرح السيد أحمد صقر، نشر: دار التراث، لقاهرة، ط ٢، ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م .
- التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور ، نشر : دار سحنون .
- تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي(ت: ٧٤٨ هـ)، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى .
- تذكرة النحاة، لأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ)، تحقيق: د / عفيف عبد الرحمن، نشر: مؤسسة الرسالة: بيروت، ط (١)، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م .
- التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، (ت: ٧٤١ هـ)، نشر : دار الكتاب العربي، لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٣هـ ـ ، ١٩٨٣م .
- تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، نشر: دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م .
- تفسير البغوي (معالم التنزيل)، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦ هـ)، تحقيق :خالد عبد الرحمن العك، نشر : دار المعرفة، بيروت .
- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، عبد الله بن عمر البيضاوي (ت: ٦٩١ هـ)، نشر : دار الفكر، بيروت .
- تفسير الجلالين، لمحمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤ هـ)، وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، نشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى .
- تفسير السمرقندي (بحر العلوم)، لنصر بن محمد بن أحمد أبي الليث السمرقندي (ت: ٣٧٥ هـ)، تحقيق: د.محمود مطرجي، نشر: دار الفكر، بيروت .
- تفسير القرآن (اختصار النكت للماوردي)، لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت:٦٦٠ هـ)، تحقيق: الدكتور/ عبد الله بن إبراهيم الوهبي، نشر: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م .

- تفسير القرآن العزيز، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت: ٣٩٩ هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، نشر: الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م .
- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبي الفداء (ت: ٧٧٤ هـ)، نشر : دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـ .
- تفسير القرآن، لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت: ٣٢٧ هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، نشر : المكتبة العصرية، صيدا .
- تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني (ت: ٤٨٩ هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، نشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م .
- تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت: ٤٨٩ هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، نشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م .
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت: ٦٠٤)، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ ـ ، ٢٠٠٠م .
- التفسير اللغوي، للدكتور مساعد الطيار، نشر: دار ابن الجوزي في المملكة العربية السعودية، ط (١)، ١٤٢٢ هـ .
- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ضمن تفسير لباب التأويل للخازن)، لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت: ٧١٠ هـ)، نشر: مطبعة الاستقامة .
- تفسير مجاهد، لمجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبي الحجاج (ت: ١٠٤ هـ ـ)، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي، نشر: المنشورات العلمية، بيروت .

- تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠ هـ) تحقيق: أحمد فريد، نشر: دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م .
- تقريب التهذيب، لابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ)، تحقيق: محمد عوامة، نـشر: دار الرشيد، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦م .
- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ ـ)، نشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م .
- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، للفيروز آبادي، نشر: دار الكتب العلمية، لبنان .
- تهذيب الكمال، لأبي الحجاج المزي يوسف بن عبد الـرحمن (ت: ٧٤٢ هـ ـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعـة: الأولى، ١٤٠٠، ١٩٨٠ .
- تهذيب الكمال، ليوسف بن الزكي عبد الرحمن أبي الحجاج المزي (ت:٧٤٢ هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، نشر: مؤسسة الرسالة، بـيروت، الطبعـة: الأولى، ١٤٠٠، ١٩٨٠.
- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت: ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م .
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٣٣هـ)، نشر: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، نـشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م .
- التيسير في القراءات السبع، للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني (ت: ٤٤٤ هـ)، تحقيق: اوتو تريزل، نشر: دار الكتـاب العـربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م .

- الثقات، لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي (ت: ٣٥٤ هـ ـ)، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، نشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٣٩٥، ١٩٧٥ .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر الطبري، (ت: ٣١٠ هـ)، نشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر الطبري (ت: ٣١٠ هـ)، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: دار هجر، القاهرة، ط (١)، ١٤٢٢، ٢٠٠١ م .
- الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل البخاري(ت: ٢٥٦ هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، نشر: دار ابن كثير ، اليمامة، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ .
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، نشر: دار الشعب، القاهرة .
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، لابن القيم (ت:٧٥١هـ ـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، نشر: دار العروبة، الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧، ١٩٨٧ .
- جلاء الأفهام، لابن القيم، تحقيق زائد بن أحمد النشيري، نشر: دار عالم الفوائد ط١، ١٤٢٥ هـ .
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥ هـ)، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت .
- حاشية الخضيري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لمحمد مصطفى الخضيري (ت: ١٢٨٧ هـ)، شرح وتعليق: تركي فرحان، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م .
- حاشية العطار على جمع الجوامع ،لحسن العطار (ت: ١٢٥٠ هـ) بيروت، دار الكتب العلمية . ط: بدون .

- حاشية مقدمة التفسير، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي (ت: ١٣٩٢ هـ) ط: ٢ .
- الحذف البلاغي في القرآن الكريم، لمصطفى عبد السلام أبي شادي، نـشر: مكتبـة القرآن: القاهرة ١٤١٢هـ / ١٩٩١ م .
- حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي، لدياب عبد الجواد عطـا، ، نـشر: دار المنار، القاهرة .
- خزانة الأدب وغاية الأرب، لتقي الدين أبي بكر بن علي المعـروف بـابن حجـة الحموي (ت: ٨٣٧ هـ)، تحقيق: عصام شقيو، نشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت: ١٠٩٣ هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريفي وإميل بديع يعقوب، نشر: دار الكتب العلميـة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م .
- الخصائص، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢ هـ) ، تحقيق: محمد علي النجار، نشر المكتبة العلمية .
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد ين يوسف المعروف بالسمين الحلـبي (ت: ٧٥٦ هـ) تحقيق د . أحمد محمد الخـراط، نـشر دار القلـم: دمـشق، ط ١: ١٤٠٧ هـ، ١٩٧٨ م .
- الدر المنثور، لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين الـسيوطي (ت: ٩١١ هـ ـ)، نشر: دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م .
- دراسات في أسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عضيمة، نشر: دار الحـديث، القاهرة .
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عضيمة، نـشر: دار الحـديث القاهرة .

- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحـراني أبي العباس (ت: ٧٢٨ هـ)، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، نشر: مؤسـسة علـوم القرآن، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ .
- دلائل الإعجاز، للإمام عبد القاهر الجرجاني، (ت: ٥٤٧١ هـ ـ)، تحقيـق: د . التنجي، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .
- ديوان الأحوص، تحقيق: عادل سليمان جمال، نشر المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٧٧ م .
- ديوان الأخطل، تحقيق: د / فخر الدين قباوة، نشر دار الفكر، ط (٤)، دمـشق، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م .
- ديوان الأسود بن يعفر، صنعة نوري حمودي القيسي، منشورات مديرية الثقافة العامة التابعة لوزارة الإعلام ببغداد .
- ديوان الإمام الشافعي، جمعه: زهدي يكن، نشر: دار الثقافة، بيروت،١٩٦١ م .
- ديوان الحطيئة، نشر: دار صادر، بيروت، ١٣٨٧، ١٩٦٧ م .
- ديوان الراعي النميري، جمع: راينهرت فابيرت، نشر: دار النشر فـرانتس شـتاينز بفيسبان، بيروت، ١٤٠١ هـ، ١٩٨٠ م .
- ديوان الراعي النميري، جمعه: ناصر الحاني، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٨٣ هـ، ١٩٦٤ م .
- ديوان الفرزدق، شرح د / علي مهدي زيتون: ط ١، نشر: دار الجيل: بـيروت: ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م .
- ديوان المثقب العبدي، تحقيق: حسن كامل الصيرفي .
- ديوان امرئ القيس، حققه: حنا الفاخوري، نشر: دار الجيل، بيروت، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٥ م .
- ديوان جرير، جمع كرم البستاني، نشر: دار صادر ودار بيروت، بـيروت: ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤ م .
- ديوان حسان بن ثابت، نشر: دار صادر، بيروت .

- ديوان حميد بن ثور الهلالي، جمع عبد العزيز الميمني، نشر : دار الكتـب، القـاهرة، ١٣٧١ هـ ، ١٩٥١ م .
- ديوان ذي الرمة، نشر: المكتب الإسلامي، ط (١)، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤ م .
- ديوان عمرو بن كلثوم، جمع وتحقيق وشرح: د / إميل يعقوب، نشر:دار الكتـاب العربي، بيروت، ط (١)، ١٤١١ هـ، ١٩٩١ م .
- ديوان عنترة، تحقيق: محمد سعيد مولوي، نشر المكتب الإسلامي .
- ديوان كثير عزة، شرحه مجيد طراد، نشر: دار الكتاب العربي، بـيروت، ط (١)، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٥ م .
- ديوان لبيد، نشر: دار صادر، بيروت، ١٣٨٦ هـ، ١٩٦٦ م .
- ذيل طبقات الحفاظ (للذهبي)، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن ابـن أبي بكـر السيوطي(ت: ٩١١ هـ)، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت .
- رجال صحيح مسلم، لأبي بكر الأصبهاني أحمد بن علي بن منجويه(ت: ٢٨ هـ)، تحقيق: عبد الله الليثي، نشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ل شهاب الدين السيد محمـود الألوسي البغدادي، (ت: ١٢٧٠ هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، لمحمد بن عثمان بن صـالح، نشر : مطبعة الحلبي، القاهرة، ط (٢)، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م .
- زاد المسير في علم التفـسير، لعبـد الـرحمن بـن علـي بـن محمـد الجـوزي (ت: ٥٩٧ هـ)، نشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤ .
- الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر محمد بن القاسـم الأنبـاري (ت: ٣٢٨ هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢.
- زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، لهيفاء عثمـان عباس فدا، نشر : دار القاهرة .

- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبي داود السجـستاني الأزدي (ت: ٢٧٥)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: دار الفكر .
- السنن الكبرى، لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي(ت: ٣٠٣ هـ)، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، نشر: دار الكتب العلميـة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١، ١٩٩١ .
- سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الـذهبي أبي عبـد الله (ت: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي، نشر: مؤسـسة الرسالة، بيروت، الطبعة: التاسعة، ١٤١٣ .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بـن محمـد العكـري (ت: ١٠٨٩ هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، نـشر: دار بن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ .
- شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١ هـ ـ)، تحقيق: عبد الغني الدقر، نشر: الشركة المتحدة للتوزيـع، سـوريا ،١٤٠٤هـ ـ ، ١٩٨٤م .
- شرح ابن عقيل على الألفية، لبهاء الدين عبد الله بن عقيـل العقيلـي (ت: ٦٧٢ هـ)، نشر مكتبة طيبة، المدينة النبوية، ط: ١، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- شرح الإيضاح في علوم البلاغة، لعمر عبد المنعم الخفاجي . نشر: مكتبة الكليـات الأزهرية، ط ٢ .
- شرح اللمع، لعبد الواحد بن علي بن برهان العكبري (ت: ٤٥٦ هـ) ، تحقيق: فائز فارس، نشر: مطابع كويت تايمس التجارية، ط (١)، ١٤٠٤ هـ،١٩٨٤ م .
- شرح ديوان الأخطل، لإليا سليم الحاوي ،نشر: دار الثقافة: بيروت .
- شرح شافية ابن الحاجب، لرضي الدين الاستراباذي محمد بن الحـسن (ت: ٦٨٦ هـ) ،تحقيق: محمد الحسن، ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢، ١٩٩٨ م .

- شعر عمرو بن أحمر الباهلي، جمع وتحقيق د / حسين عطوان، نشر: مجمع اللغة العربية، دمشق .
- شعر عمرو بن معدي كرب، جمعه وحققه: مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية: دمشق: ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٤ م .
- الشعر والشعراء، لابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: ٢٧٦ هـ) تحقيق أحمد شاكر، نشر دار المعارف، مصر، ١٩٦٦ م .
- الصاحبي في فقه اللغة، لأحمد بن فارس (ت: ٣٩٥ هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر، نشر : مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة .
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي (ت: ٣٥٤ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤، ١٩٩٣ .
- صحيح سنن النسائي، للشيخ الألباني، نشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨ م .
- الضعفاء الصغير، لمحمد بن إسماعيل البخاري(ت: ٢٥٦ هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، نشر: دار الوعي ،حلب، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦ .
- الضعفاء والمتروكين، لابن الجوزي (ت: ٥٧٩ هـ)، تحقيق: عبد الله القاضي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ .
- طبقات الحفاظ، لأبي بكر السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣.
- طبقات الحفاظ، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت: ٩١١ هـ)، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى ،١٤٠٣ .
- طبقات الحنابلة، لمحمد بن أبي يعلى أبي الحسين (ت: ٥٢١ هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر: دار المعرفة، بيروت .

- طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (ت: ٨٥١ هـ)، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، نشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ .
- طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شـهبة(ت: ٨٥١ هـ)، تحقيق: د.الحافظ عبد العليم خان، نشر: عالم الكتب، بـيروت، الطبعـة: الأولى، ١٤٠٧ .
- طبقات الفقهاء الشافعية، لتقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الـصلاح (ت: ٦٤٣ هـ)، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، نشر: دار البشائر الإسـلامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٢م .
- طبقات الفقهاء لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت: ٤٧٦ هـ)، تحقيق: خليل الميس، نشر: دار القلم، بيروت .
- طبقات القراء، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: د / أحمد خان نشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط (١)، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨م .
- طبقات المعتزلة، لأحمد بن يحيى بن المرتضى، تحقيق: سوسنه ديفلد فلزر، نشر: جمعية المستشرقين الألمانية بألمانيا، بيروت – لبنان، ١٣٨٠ هـ، ١٩٦١ م .
- طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأدنهوي، (ت: القرن الحادي)، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، نشر: مكتبـة العلـوم والحكـم، الـسعودية، الطبعـة: الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م .
- طبقات المفسرين، للسيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: علي محمد عمـر، نـشر: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦.
- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بـن الحـسن الزبيـدي الأندلـسي (ت: ٣٧٩ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف: مصر- القاهرة .
- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي (ت: ٢٣١ هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، نشر: دار المدني، جدة .

- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، لطاهر سليمان حمودة، نشر: الـدار الجامعيـة، الإسكندرية ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٢ م .
- العبر في خبر من غبر، لشمس الدين الذهبي، (ت: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، نشر: مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة: ط٢، ١٩٨٤.
- علماء نجد خلال ثمانية قرون، لعبـد الله بـن عبـد الـرحمن البـسام، نـشر: دار العاصمة، الرياض، ط (٢)، ١٤١٩ هـ .
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت: ٨٥٥ هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجـر العـسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، نشر: دار المعرفة، بيروت .
- فتح الغفار بشرح المنار، لزين الدين بن إبراهيم الشهير بابن نجيم الحنفـي، نـشر: مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط (١)، ١٣٥٥ هـ، ١٩٦٣ م .
- فتح الغفار بشرح المنار، لزين الدين بن إبراهيم الشهير بابن نجيم الحنفـي، نـشر: مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط (١)، ١٣٥٥ هـ، ١٩٦٣ م .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت: ١٢٥٠ هـ)، نشر: دار الفكر، بيروت .
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمـد البغدادي (ت: ٤٢٩ هـ)، نشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الثانيـة، ١٩٧٧.
- فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي (ت: ٤٢٩)، تعليق: خالـد فهمـي، نشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤١٨، ١٩٩٨ .
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي بـن عبد الكبير الكتاني، تحقيق: د. إحسان عباس، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م .

- الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان، لابن القيم، نشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٩٨٧ م .
- فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي (ت: ٧٦٤ هـ)، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله وعادل أحمد عبد الموجود، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م .
- قضايا المذكر والمؤنث عند أبي عبيدة في مجاز القرآن، للسيد أحمد علي محمد، نشر: مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠ م .
- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، لمحمد صديق حسن خان القنوجي(ت: ١٣٠٧)، تحقيق: د. عاصم عبد الله القريوتي، نشر: شركة الشرق الأوسط للطباعة، ماركا الشمالية، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ .
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ،للذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: محمد عوامة، نشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ – ١٩٩٢ .
- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥ هـ ـ)، تحقيق:مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، نشر: دار ومكتبة الهلال .
- كتاب النعوت الأسماء والصفات، لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي(ت: ٣٠٣ هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، نشر: مكتبة العبيكان، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م .
- كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، نشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت: ٥٣٨ هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، نشر : دار إحياء التراث العربي، بيروت .

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي (ت: ١٠٦٧ هـ)، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣، ١٩٩٢ .
- الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت: ٤٢٧ هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م .
- الكناية: مفهومها وقيمتها البلاغية، لمحمود شاكر القطان، نشر : مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٩٣ م .
- اللآلي في شرح أمالي القالي، لعبد الله بن عبد العزيز البكري، نشر: دار الكتب العلمية، ط (١)، بيروت، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م .
- اللباب في تهذيب الأنساب، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الجزري، نشر: دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م .
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت: ٧١١ هـ)، نشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى .
- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، تحقيق: دائرة المعرف النظامية، الهند، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦م .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير (ت: ٦٣٧ هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، نشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٥م .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧ هـ)، نشر: دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي ،القاهرة ، بيروت، ١٤٠٧ .
- مجموع أشعار العرب، لوليم بن الورد، نشر: مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٠٣ م .

- المحتسب في تبيين وجوه القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢)، تحقيق: محمد بن عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت: ٥٤٦ هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر : دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- المحصول في علم أصول الفقه، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، تحقيق: د / طه جابر فياض العلواني ،نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (مطابع الفرزدق)، ط ١، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م .
- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي (ت: ٧٢١ هـ ـ)، تحقيق: محمود خاطر، نشر:مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة: طبعة جديدة، ١٤١٥، ١٩٩٥ .
- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه، تحقيق: ج برجشتر، المطبعة الرحمانية، ١٩٣٤ م .
- مختصر في شواذ القرآن، لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت: ٣٧٠)، تحقيق: ج . برجستراسر، نشر: المطبعة الرحمانية (مصر) ١٩٣٤ م .
- المخصص، لابن سيده أبي الحسن علي بن إسماعيل، تحقيق خليل إبراهيم جفال، نشر: دارا إحياء التراث، بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ .
- المذكر والمؤنث للفراء، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، نشر: مكتبة التراث، ١٩٧٠ م .
- مراتب النحويين لعبد الواحد بن علي أبي الطيب اللغوي (ت : ٣٥١ هـ ـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار نهضة ، مصر للطبع والنشر ، القاهرة، ط: ٢، ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٤ م .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السيوطي(ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م .

- المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، لأبي علي الفارسي (ت: ٣٧٧ هـ)، تحقيق صلاح الدين النسكاوي، بغداد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ١٩٨٣ .
- مسند الشاميين، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني (ت :٣٦٠ هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥، ١٩٨٤ .
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت: ٧٧٠ هـ)، نشر: المكتبة العلمية – بيروت .
- المصنف من الكلام على مغني ابن هشام (حاشية الشمني)، لتقي الدين أحمد بن محمد الشمني، نشر: المطبعة البهية بمصر .
- المطلع على أبواب المقنع، لمحمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي(ت: ٧٠٩ هـ)، تحقيق: محمد بشير الأدلبي، نشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١ - ١٩٨١ .
- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت: ٧٩٢ هـ) تحقيق د / عبد الحميد هنداوي، نشر:دار الكتب العلمية: بيروت، ط (١)، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م .
- المعارف، لابن قتيبة أبي محمد بن عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦ هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، نشر: دار المعارف، القاهرة .
- معاني القرآن الكريم، للأخفش سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، دراسة و تحقيق : د . عبد الأمير محمد أمين الورد، نشر: عالم الكتب ط: ١، ١٤٠٥ - ١٩٨٥ م .
- معاني القرآن الكريم، للنحاس (ت: ٣٣٨ هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، نشر: جامعة أم القرى، مكة المرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ .
- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري، شرح وتحقيق: د . عبد الجليل عبده شلبي .نشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى .
- معاني القرآن، لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء (ت: ٢٠٧ هـ)، نشر: عالم الكتب،لبنان، ط: ٣ ،إلا المجلد الثاني ط ٢ .

- معاهدة التنصيص، لعبد الرحيم أحمد العباسي (ت: ٩٦٣ هـ)، تحقيـق: محمـد محيي الدين عبد الحميد، نشر: عالم الكتب، بيروت، ١٣٦٧ هـ، ١٩٤٧ م .
- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦ هـ)، نشر: دار الكتب العلمية، بـيروت، الطبعـة: الأولى، ١٤١١ هـ، ١٩٩١م .
- المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطـبراني (ت: ٣٦٠)، تحقيـق: طارق بن عوض الله بن محمد ،وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، نشر: دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥.
- معجم الشعراء للمرزباني (ت: ٣٨٤)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، نـشر دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٩ هـ .
- معجم الشعراء، لمحمد بن عمران المرزباني (٣٨٤ هـ)، تصحيح وتعليـق : ف . كرنكو، نشر: مكتبة القدسي - القاهرة، ط بدون، ١٣٥٤ هـ .
- معجم القراءات القرآنية ،لـ د . أحمد مختار عمر و د . عبد العال سالم مكرم، نشر عالم الكتب: ط: ٣، ١٩٩٧ م .
- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة ،نشر: دار إحياء التراث العربي: بيروت .
- المعجم المفصل في شواهد العربية، لإميل بديع يعقوب، نشر : دار الكتب العلميـة: بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ م .
- المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، لإميل بديع يعقوب . ط: ٢، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
- معجم شواهد العربية، لعبد السلام هارون، نـشر: مكتبـة الخـانجي - مـصر، ط: ١، ١٣٩٢ هـ، ١٩٧٢ م .
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لعبد الله بن عبـد العزيـز البكـري الأندلسي أبي عبيد (ت: ٤٨٧ هـ) ،تحقيق: مصطفى السقا، نشر: عالم الكتـب بيروت، ط (٣)، ١٤٠٣ هـ .

- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لمحمد بن عثمان الـذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ .
- معن بن أوس (حياته شعره أخباره)، جمعه كمال مصطفى نشر: مطبعة النهـضة، مصر، ط: ١، ١٩٢٧ م .
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لأحمد بن مصطفى، المعروف بـ طاش كبرى زاده، تحقيق: كامل بكري، وعبد الوهاب أبو النـور، نـشر: دار الكتب الحديثة، مصر .
- المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، تأليف: محمد بن عبـد الـرحمن المغراوي، نشر: مؤسسة الرسالة، لبنان- بيروت، ط(١)، ١٤٢٠ هـ،٢٠٠٠ م .
- مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥)، تحقيـق عبـد السلام هارون، نشر دار الجيل، بيروت، لبنان، ط: ٢، ١٤٢٠ هـ .
- مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥ هـ)، تحقيـق: عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الجيل، بـيروت، لبنـان، الطبعـة: الثانيـة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت: ٢٨٥ هـ)، تحقيق: محمد عبـد الخالق عضيمة، نشر: عالم الكتب، بيروت .
- مناهج اللغويين في تقرير العقيدة (أصله رسالة دكتوراه)، لمحمد الشيخ عليو محمـد نشر: دار المنهاج: الرياض ـ المملكة العربية السعودية، ط: ١ : ١٤٢٧ هـ .
- المنتظم، لابـن الجـوزي (ت: ٥٩٧ هـ ـ) ،نـشر: دار صـادر، بـيروت، ط (١)، ١٣٥٨ هـ .
- منهج الزجاج في اختياراته في التفسير ،لعادل بن محمد العمرى، رسالة ماجـستير، كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٢٥ هـ ـ ١٤٢٦ هـ .

- موقف الطبري النحوي في تفسيره من الأخفش في معانيه، لماجد بن محمد بن عبد الله الزامل ،رسالة ماجستير مقدمة في كلية اللغة العربية، قسم النحو وفقه اللغة بجامعة الإمام بالرياض ١٤٢٥ هـ .
- النبأ العظيم، تأليف: د. محمد دراز، نشر: دار القلم، الكويت، ط (٣)، ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٤ م .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت: ٨٧٤ هـ)، نشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي(ت: ٨٧٤ هـ)، نشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي - مصر .
- نزهة الألباب في الألقاب، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، نشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي(ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، نشر: المكتبة التوفيقية، مصر .
- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤ هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، نشر: دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م .
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعلي بن أحمد الواحدي أبي الحسن (ت : ٤٦٨ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، نشر: دار القلم ، الدار الشامية، دمشق ، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان (ت: ٦٨١ هـ)، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار الثقافة، لبنان .

فهـرس الـموضوعات

الموضوع.....الصفحة

مقدمة البحث.....٣
أهمية البحث وأسباب اختياره.....٥
أهداف البحث.....٥
الدراسات السابقة.....٥
الفرق بين هذه الدراسة والدراسات السابقة.....٧
الإضافة التي سيقدمها البحث.....٨
منهج البحث وحدوده.....٨
خطةالبحث.....٩

تمهيد في شرح العنوان والتعريف بكتب المعاني الخمسة

أولا : شرح عنوان الرسالة.....١٣
المقصود بالأساليب العربية.....١٣
الأثر المراد بحثه.....١٣
المقصود بكتب المعاني.....١٤

ثانيا : نبذة عن كتب المعاني ومؤلفيها

١ - مجاز القرآن لأبي عبيدة.....١٦
أ - التعريف بأبي عبيدة.....١٦
- اسمه ونسبه ومولده ووفاته..... ١٦
- عقيدته..... ١٦
أبرز شيوخه وتلاميذه.....١٧
مؤلفاته..... ١٨
مكانته العلمية.....١٩
ب - كتاب مجاز القرآن.....٢٠

معنى كلمة (مجاز) في كتاب أبي عبيدة.....٢٠
منهج أبي عبيدة في الكتاب.....٢١
مميزاته والمآخذ عليه.....٢٢
مكانة الكتاب عند العلماء.....٢٢
٢- معاني القرآن للأخفش.....٢٣
أ - التعريف بالأخفش.....٢٣
اسمه ونسبه ومولده ووفاته.....٢٣
عقيدته.....٢٣
مكانته العلمية وصفاته.....٢٤
شيوخه وتلاميذه.....٢٥
مصنفاته.....٢٦
ب - كتاب معاني القرآن للأخفش.....٢٧
لمحة عن منهج المؤلف في معانيه.....٢٧
٣ - معاني القرآن للفراء.....٢٩
أ - التعريف بالفراء.....٢٩
نسبه ومولده ونشأته ووفاته.....٢٩
مكانته العلمية.....٢٩
عقيدته.....٣٠
شيوخه وتلاميذه.....٣١
مؤلفاته.....٣٢
ب - كتاب معاني القرآن للفراء.....٣٢
٤ - معاني القرآن وإعرابه للزجاج.....٣٤
أ - التعريف بالزجاج.....٣٤
اسمه ونسبه.....٣٤
مولده ونشأته ووفاته.....٣٤

عقيدته.....٣٥
مكانته العلمية.....٣٥
شيوخه وتلاميذه.....٣٦
مصنفاته.....٣٧
كتابه (معاني القرآن وإعرابه).....٣٧
مكانة الكتاب وقيمته العلمية واستفادة العلماء منه.....٣٧
منهج المؤلف في معانيه.....٣٨
٥ - معاني القرآن للنحاس
أ - التعريف بالنحاس.....٤٠
اسمه ونسبه ولقبه وكنيته.....٤٠
مولده ووفاته.....٤٠
عقيدته.....٤١
مكانته العلمية.....٤١
شيوخه وتلاميذه.....٤٢
مصنفاته.....٤٣
ب - كتابه معاني القرآن.....٤٣
أ - مكانة الكتاب وقيمته العلمية.....٤٣
الفصل الأول : أساليب الخطاب وأثرها في التفسير
المبحث الأول : أسلوب الحذف وأثره في التفسير.....٤٧
أولا : لمحة عن أسلوب الحذف.....٤٧
أ - تعريف الحذف.....٤٨
ب - أنواعه وأقسامه.....٤٨
ج - شروط الحذف وضوابطه.....٥٢
د - فوائد الحذف وأغراضه.....٥٣
هـ - مذاهب العلماء في التعامل مع أسلوب الحذف.....٥٣

ثانيا : أثر أسلوب الحذف في التفسير.....٥٤
الصورة الأولى : فهم المعنى واتضاحه والخلاف بين المفسرين.....٥٤
الصورة الثانية : ساعد على الخلاف في الآية.....٥٥
الصورة الثالثة : سعة معنى الآية وتعدد معانيها.....٥٦
مثال آخر للصورة الثالثة.....٥٨
الصورة الرابعة : توجيه القراءات.....٥٨
الصورة الخامسة : تخريج الآيات المشكلة.....٥٩
المبحث الثاني : أسلوب إطلاق المفرد والمثنى والجمع كلٌ على الآخر....٦١
أولا : لمحة عن الأسلوب.....٦١
١+ ٢ أحوال إطلاق لفظ الواحد وإرادة المثنى أو الجمع.....٦٢
٣ - أحوال إطلاق الجمع على الواحد وله أحوال منها.....٦٥
٤ - أحوال إطلاق المثنى على الواحد، ومن أحواله.....٦٧
٥ - أحوال إطلاق لفظ المثنى على الجمع.....٦٨
٦ - أحوال إطلاق لفظ الجمع على المثنى.....٦٩
ثانيا : أثر أسلوب إطلاق الواحد والمثنى والجمع كل واحد منها على الآخر.....٧٠
الصورة الأولى: وضوح المعنى وتجليه.....٧٠
الصورة الثانية : ساعد على الخلاف في معنى اللفظة القرءانية.....٧٠
الصورة الثالثة : توجيه القراءات بما يناسب قول المفسر.....٧٢
الصورة الرابعة :تعدد احتمال مرجع الضمير.....٧٣
الصورة الخامسة: الشذوذ في التفسير.....٧٤
مثال آخر للصورة الخامسة.....٧٦
المبحث الثالث : أسلـوب الكنـاية.....٧٨
أولا : لمحة عن الأسلوب.....٧٨
تعريف الكناية لغة.....٧٨

تعريف الكناية في الاصطلاح.....٧٨
ثانيا : أثر أسلوب الكناية في التفسير.....٧٩
الأثر الأول : تعدد معاني الآية واتساعها.....٧٩
الأثر الثاني : في الخلاف بين المفسرين.....٨٠
الأثر الثالث : في الشذوذ في التفسير.....٨١
الأثر الرابع : في خلاف المفسرين في استنباط الأحكام الفقهية.....٨٢
الأثر الخامس : ظهور أقوال ضعيفة في التفسير.....٨٤
المبحث الرابع : أسلوب إجراءِ غيرِ العاقلِ مجرى العاقل.....٨٦
أولا : لمحة عن الأسلوب.....٨٦
ثانيا : أثر الأسلوب في التفسير.....٨٩
الصورة الأولى : في الخلاف في مرجع الضمير.....٨٩
الصورة الثانية : الترجيح في مرجع الضمير.....٩٠
الصورة الثالثة : الإجابة عما يشكل في القرآن الكريم.....٩١
الصورة الرابعة : توجيه أقوال السلف.....٩٢
المبحث الخامس : التعبير عن المُذَكر بلفظ المؤنث والعكس.....٩٤
أولا : لمحة عن الأسلوب.....٩٤
أسباب تأنيث الكلمات المذكرة أو العكس.....٩٤
١- الحمل على المعنى.....٩٤
٢ - أن تكون الكلمة مما يذكر ويؤنث في لغات العرب.....٩٦
٣- أحيانا يغلب حكم المذكر على المؤنث إذا اجتمعا.....٩٦
٤ - المصدر يلزم حالا واحدة في وصف المذكر والمؤنث.....٩٦
٥ – يجوز أن يؤنث الفعل ويذكر مع الفاعل الواحد في مواضع.....٩٧
٦ - أحيانا يكتسب المذكر التأنيث إذا كان مضافاً إلى مؤنث.....٩٨
٧ - وأحيانا يذكر المؤنث بإلقاء علامة التأنيث استغناء.....٩٨
٨ - أن تكون علامة التأنيث في المذكر للمبالغة.....٩٨

ثانيا : أثر هذا الأسلوب في التفسير
الصورة الأولى : في توجيه القراءات القرآنية.....٩٩
الصورة الثانية : تغير المعنى والخلاف.....١٠٠
مثال آخر للصورة الثانية.....١٠٢
ومثالها كذلك.....١٠٣
الصورة الثالثة : تعدد معاني الآية.....١٠٤
المبحث السادس : أسـلوب التقديم والتأخير.....١٠٦
أولا لمحة عن الأسلوب.....١٠٦
أ - أقسامه.....١٠٧
الأول : المقدم وهو في المعنى أو في النية مؤخر.....١٠٧
الثاني : ما قدم لا على نية التأخير.....١٠٧
ب - أسبابه ومقتضياته.....١٠٩
ج - شرط القول بالتقديم والتأخير.....١٠٩
ثانيا : أثر أسلوب التقديم والتأخير في التفسير.....١١٠
الأثر الأول : فهم المعنى واتضاحه.....١١٠
الأثر الثاني : تعدد معاني الآية الواحدة.....١١٠
مثاله أيضا.....١١١
الأثر الثالث : تغير المعنى والخلاف..... ١١٢
الأثر الرابع : الشذوذ في التفسير.....١١٣
المبحث السابع : أسـ ـلوب القلـ ـب.....١١٥
أولا : لمحة عن أسلوب القلب.....١١٥
أ - تعريفه.....١١٥
ب – أنواعه.....١١٦
١ - إسناد الفعل إلى المفعول وترك الفاعل.....١١٦
٢ - إسناد الشيء إلى الفاعل والمعنى للمفعول.....١١٧

٣ - إسناد الفعل المتعدي بنفسه إلى المجرور وجر المفعول به.....١١٨
٤ - إسناد الفعل إلى الظرف الذي وقع فيه وترك الفاعل.....١١٨
ج - أقوال العلماء فيه.....١١٩
ثانيا : أثر أسلوب القلب في التفسير.....١١٩
الصورة الأولى : في تعدد المعاني.....١١٩
الصورة الثانية : فهم المعنى.....١٢٠
الصورة الثالثة :اتساع معنى الآية.....١٢٢
الصورة الرابعة : الإجابة عما يشكل.....١٢٢
الصورة الخامسة : الخروج على أقوال أئمة المفسرين والشذوذ.....١٢٣
المبحث الثامن : أسـلوب الالتفـات.....١٢٦
أولا نبذة عن الأسلوب.....١٢٦
أ - تعريف الالتفات.....١٢٦
ب - صور الالتفات.....١٢٧
٣ ـ شروط الالتفات.....١٢٩
٤ - فوائد الالتفات.....١٢٩
ثانيا : أثر الالتفات في التفسير
الوجه الأول : توجيه القراءات..... ١٣١
ومثاله أيضا.....١٣١
الوجه الثاني من أثر أسلوب الالتفات : ساعد على الترجيح بين الأقوال..... ١٣٢
ومثاله أيضا على الترجيح.....١٣٣
الوجه الثالث لأثر الأسلوب : الأثر البلاغي..... ١٣٤
المبحث التاسع : قصر لفظ الخبر لأشياء متعاطفة على بعض دون بعض..... ١٣٦
أولا لمحة عن الأسلوب..... ١٣٦
صور لهذا الأسلوب.....١٣٦
الصورة الأولى.....١٣٦

الصورة الثانية.....١٣٧
ثانيا : أثر أسلوب قصر لفظ الخبر في التفسير..... ١٣٨
الأثر الأول : اختلاف المفسرين..... ١٣٨
ومثاله أيضا.....١٣٩
ومثاله أيضا..... ١٤١
الأثر الثاني : ويتمثل في دفع ما الإشكالات..... ١٤١
ومثاله أيضا..... ١٤٢
المبحث العاشر : الخطاب بصيغة الماضي لأمر مستقبل والعكس.....١٤٤
أولا لمحة عن الأسلوب.....١٤٤
مسوغات وأسباب التعبير بصيغة الماضي عن المستقبل.....١٤٥
الأمر الأول.....١٤٥
الثاني.....١٤٥
الثالث.....١٤٦
ثانيا : أثر أسلوب الخطاب بلفظ المستقبل لأمر قد مضى في التفسير.....١٤٧
النموذج الأول : فهم المعنى واتضاحه.....١٤٧
النموذج الثاني: توجيه القراءات..... ١٤٨
النموذج الثالث : الخلاف والترجيح.....١٤٨
ومثاله أيضا.....١٥٠
النموذج الرابع : الخلاف والشذوذ.....١٥١
المبحث الحادي عشر : إخراج الأمر مخرج الوعيد والتهديد.....١٥٣
أولا : لمحة عن الأسلوب.....١٥٣
ثانيا : أثر أسلوب إخراج الأمر مخرج الوعيد والتهديد في التفسير.....١٥٤
الصورة الأولى : تعدد معاني الآية والخلاف.....١٥٤
ومثالها أيضا.....١٥٥
الصورة الثانية: توجيه القراءات.....١٥٧

الصورة الثالثة : فهم المعنى واتضاحه.....١٥٨
المبحث الثاني عشر: أسلوب الخبر بمعنى الأمر وعكسه.....١٥٩
أولا : لمحة عن الأسلوب.....١٥٩
ثانيا :أثر أسلوب الخبر بمعنى الأمر والعكس في التفسير.....١٦١
الأثر الأول : الخلاف في معنى الآية وتعدد معانيها.....١٦١
ومثاله أيضا :.....١٦٢
الأثر الثاني :الإجابة عن الإشكالات.....١٦٤
الأثر الثالث : الشذوذ في التفسير..... ١٦٥
ومثاله أيضا.....١٦٦
المبحث الثالث عشر: أسـلوب الاستـفهـام.....١٦٨
أولا : لمحة عن الأسلوب.....١٦٨
معاني الاستفهام.....١٦٨
ثانيا : أثر أسلوب الاستفهام.....١٧١
الصورة الأولى : الخلاف وتعدد معاني الآية.....١٧١
ومن أمثلتها أيضا.....١٧٢
ومثالها أيضا.....١٧٣
ومثالها أيضا.....١٧٤
الصورة الثانية : في دفع ما يشكل.....١٧٦
المبحث الرابع عشر: الجزاءُ عن الفعل بمثل لفْظه مع اختلاف المعنى...١٧٧
أولا: لمحة عن الأسلوب.....١٧٧
ثانيا : أثر أسلوب الجزاء عن الفعل بمثل لفظه مع اختلاف المعنى في التفسير.....١٧٨
الصورة الأولى: كان أداة لتأويل آيات الصفات.....١٧٨
الصورة الثانية : دفع ما يشكل.....١٨٠
المبحث١٥:الاسمان المُصطَحبان يضم أحدهما إلى صاحبه فيسميان به جميعا.....١٨١

أولا : لمحة عن الأسلوب.....١٨١
ثانيا :أثره في التفسير.....١٨٢
المبحث ١٦: التكْنِيةُ عن الشيءِ الذي عرف اسمه وإنْ لم يجر له ذكْر.....١٨٤
أولا : لمحة عن الأسلوب.....١٨٤
ثانيا :أثره في التفسير.....١٨٥
الأثر الأول الخلاف بين المفسرين.....١٨٥
ومثاله أيضا.....١٨٧
الأثر الثاني: في توجيه القراءات والخلاف.....١٨٨
الأثر الثالث : الخلاف والخروج عن أقوال المفسرين.....١٨٩
الأثر الرابع :تعدد معاني الآية.....١٩٠
الفصل الثاني : أساليب المعاني وأثرها في التفسير
المبحث الأول: المُشـترك اللفـظي.....١٩٤
أولا : لمحة عن الأسلوب.....١٩٤
أقسام الألفاظ وعلاقتها بالمعاني.....١٩٤
أ - تعريف المشترك اللفظي (وفيه إشارة إلى أسبابه.....١٩٤
ب – أقسامه.....١٩٥
ج - حكم استعمال المشترك اللفظي في جميع معانيه في آن واحد.....١٩٦
د - علاقته بعلم الوجوه والنظائر.....١٩٧
ثانيا : أثر المشترك اللفظي في التفسير.....١٩٨
الأثر الأول : تعدد معاني الآية واتساع معانيه.....١٩٨
الأثر الثاني : الخلاف.....١٩٩
ومثاله أيضا.....٢٠١
ومثاله أيضا.....٢٠١

الأثر الثالث : الخروج عن أقوال أهل التفسير.....٢٠٢
المبحث الثاني: تعدد معاني الحروف والأدوات.....٢٠٥
أولا لمحة عن الأسلوب.....٢٠٥
أ - المقصود بالحروف والأدوات.....٢٠٥
ب - أقسام الحروف.....٢٠٧
ثانيا: أثر تعدد معاني الحروف في التفسير.....٢٠٨
الصورة الأولى : تغير والمعنى والخلاف بين المفسرين.....٢٠٨
ومثاله أيضا.....٢١٠
ومثاله أيضا.....٢١١
الصورة الثانية : سعة معاني الآية.....٢١٢
ومثاله أيضا.....٢١٣
المبحث الثالث: زيـادة الحـروف.....٢١٥
أولا :لمحة عن الأسلوب.....٢١٥
المراد بزيادة الحروف.....٢١٥
أ ـ فائدتها.....٢١٦
ب - موقف العلماء من زيادة الحروف.....٢١٨
ثانيا : أثر زيادة الحروف في التفسير.....٢١٩
الأثر الأول : فهم المعنى واتضاحه.....٢١٩
الأثر الثاني : توجيه القراءات.....٢٢٠
الأثر الثالث : في الخلاف.....٢٢١
ومثاله أيضا.....٢٢٢
ومثاله أيضا.....٢٢٣
المبحث الرابع: تعـدي الفـعـل.....٢٢٥
أولا :لمحة عن الأسلوب.....٢٢٥
ثانيا : أثر تعدي الفعل في التفسير.....٢٢٦

الصورة الأولى : وضوح المعنى.....٢٢٧
الصورة الثانية : الخلاف بين المفسرين.....٢٢٨
ومثاله أيضا في الخلاف وبلاغة القرآن.....٢٣٠
الصورة الثالثة :في دفع ما يشكل.....٢٣١
المبحث الخامس: استثناءُ الشيءِ من الشيء وليس منه.....٢٣٣
أو لا : لمحة **عن الأسلوب**.....٢٣٣
ثانيا : أثر أسلوب الاستثناء في **التفسير**
المثال الأول.....٢٣٥
ومثال ثاني.....٢٣٦
ومثال ثالث أيضا.....٢٣٧
ومثال رابع.....٢٣٨
ومثال خامس.....٢٣٩
الفصل الثالث : الأساليب المتعلقة بالصيغ وأثرها في **التفسير**
المبحث الأول: إطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل.....٢٤٣
أولا :لمحة **عن الأسلوب.....٢٤٣**
ثانيا : أثر إطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل.....٢٤٤
الوجه الأول : سعة معنى اللفظة القرآنية.....٢٤٤
مثال آخر.....٢٤٥
الوجه الثاني : تغير المعنى وتوجيه كلام السلف.....٢٤٦
الوجه الثالث : ساعد على الخلاف.....٢٤٧
الوجه الرابع : الإجابة عما يشكل.....٢٤٨
المبحث الثاني:وضع أفْعل التفضيل موضع اسم الفاعل.....٢٥٠
أولا :لمحة عن الأسلوب.....٢٥٠
ثانيا: أثر وضع أفعل التفضيل موضع اسم الفاعل في التفسير.....٢٥١
النموذج الأول : في تخريج كثير من الإشكالات.....٢٥١

النموذج الثاني : ظهور أقوال ضعيفة.....٢٥٢
ومثاله أيضا.....٢٥٤
النموذج الثالث : الخروج بالآية عن معناها الراجح.....٢٥٥
النموذج الرابع : تغير المعنى والخلاف.....٢٥٦
المبحث الثالث:مجيءُ صيغة (المُفاعلة) المقتضية للاشتراك من طرفين لطرف واحد.....٢٥٨
أولا : لمحة عن الأسلوب.....٢٥٨
ثانيا أثره في التفسير.....٢٥٩
الأثر الأول : تغير المعنى وإضافة معنى آخر للآية تأويل آيات الصفات.....٢٥٩
الأثر الثاني : ظهور أقوال ضعيفة.....٢٦٠
الأثر الثالث : توجيه القراءات.....٢٦١
المبحث الرابع:إتيان المصدر في موضع الاسم أو الصفة.....٢٦٣
أولا : لمحة عن الأسلوب.....٢٦٣
ثانيا :أثره في التفسير.....٢٦٤
الوجه الأول : تعدد المعاني للآية.....٢٦٤
الوجه الثاني : الفرق في المعنى والخلاف بين المفسرين.....٢٦٥
الوجه الثالث: أثره في بلاغة القرآن واتضاح المعنى.....٢٦٧
ومثاله أيضا في اتضاح المعنى.....٢٦٨
الخاتمة.....٢٧٠

الفهارس العامة

فهرس الآيات.....٢٧٤
فهرس الأحاديث والآثار.....٣٠١
فهرس الأبيات الشعرية.....٣٠٣
فهرس الأعلام.....٣٠٧
المصادر والمراجع.....٣١٢

فهرس الموضوعات.....٣٣٤